كلمات

وأحاديث الجمعة

العلامة المجاهد الشيخ

محمد الحامد

كلمات وأحاديث الجمعة

العلامة المجاهد الشيخ
محمد الحامد

كلمة

* امتازت كتابات العلامة الشيخ محمد الحامد ومقالاته وخطبه بدقة العبارة وتحري الصواب وسعة الاطلاع؛ ممزوجة بالإخلاص والتقوى والورع، وكان الشيخ - رحمه الله - عالماً ومرشداً ربانياً؛ من القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم، إذا نَظَروا أَسْعَدوا، وإذا رُؤوا ذُكر الله عز وجل، تجد فيه هيبة العالم وجلال الذاكر وخشوع العابد.

* وكان العلم أمضى وأهم أسلحته التي دافع بها عن حياض الشريعة، وهو الذي كان يردد قائلاً: «العلم أمير على التصوف؛ لنفيه عنه بدعاً ودخائل، قد تعلق به على الأيام والدهور...».

* وكان يقرر عقيدة أهل السنة والجماعة من خلال تفسيره لآيات القرآن الكريم ويقول: «الاعتقاد الحق هو الأصل الأصيل، وهو الركن الركين، وهو الأول الأول؛ والعمل الصالح يقع ثانياً في المرتبة..».

* وكان يحب الحديث النبوي الشريف بمقدار شغفه وحبه العظيم لرسول الله ﷺ، فاعتنى به عناية كبيرة، وكان يقول: «النبي ﷺ سراج منير، أنى سار أنار، وحيثما اتجه أضاء، قوله شرع، وفعله شرع، وتقريره شرع». وكان يتأسى بأخلاق النبوة في جوانب حياته كلها.

* وكان الفقه الإسلامي يحتل المكانة الأولى في حياته العلمية؛ درساً وتدريساً وتحقيقاً، وكان يلتزم فيه آراء أئمة المذاهب الفقهية ويحترمها ويقول: «إن أفكار الأئمة أبعد من أنظارنا وأعمق، قد أسرجوا لنا الفقه وألجموه، فما علينا إلا أن نتبع ما قرروه،.. فاقتحام لجة الاجتهاد مهلكة على الضعفاء».

* كل هذا جعل منه قدوة يقتدي به الناس؛ ومرجعاً يرجعون إليه في أمور دينهم، فكانت تنهال عليه الأسئلة من مختلف أقطار المسلمين.

* ولعل من حسن الحظ أن احتفظ بجزء من كتاباته في أخريات أيامه، تحقيقاً للفائدة وتعميماً لها حتى لا تكون مقصورة على سائلها وسامعها، وهذا الكتاب جزء مما احتفظ به - رحمه الله تعالى- مِنْ كلماتٍ وأحاديثِ الجمعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله. وأشهد أن لا إله إلا الله. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد فإن الصلاة لا تجهل منزلتها، إذ هي عماد الدين، وركنه الركين. وهي طريق الفلاح، وسلم النجاح، وهي للتقوى أساسها، ولخشية الله تعالى نبراسها. شرعها الله تعالى مكررة بالليل والنهار لمزيد فضلها فهي خير الأعمال. وأشرف الأفعال. وهي للصالحات الأس المتين فمن أتى بها فعلى التقوى أسس بنيانه. واستفتح باب القبول عند الله ونال رضوانه وجنانه. وحيزت له الخيرات إذ أقامها. وسيقت له المبرات تحفه به وتنشر عليه أعلامها. ألا إن الصلاة هي الصلة العظمى بين العبد وربه، فمن تركها فقد قطع صلته بمولاه، ومن قطع صلته به سبحانه باء بغضب منه ولعنة، فكان من المطرودين المبعدين المخزيين في الدنيا والآخرة.

إن الله تعالى أنعم علينا بأن أذن لنا أن نقف بين يديه ونناجيه، وهذه نعمة كبرى لا يعرف قدرها إلا الموفقون، الذين تقبلوها بانشراح صدر وارتياح قلب فقاموا لربهم وتلذذوا بمناجاته. ونالوا القسط الكبير من رحماته. سكنوا إليها إذ لولاها لذابت قلوبهم من الشوق إلى بارئهم واحترقوا بنار محبته، فرحمهم فجعل لهم تنفسات بها ترتاح أرواحهم المشتاقة. وتسكن بها همهم التواقة. هذه التنفسات هي أوقات الوقوف بين يديه. وهل لا يرتاح إلى مناجاة الحبيب وعرض الشكوى عليه فبالصلاة قرت عيونهم فظهروا على معارج القرب وبلغوا مناهم. (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم). قال سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة).

فيا ويح المحرومين الذين هم ليسوا من هذه الحال في ورد ولا صدر.

يا أيها العبد! ليكن منك على بال أن نعم الله تعالى عليك كل لحظة لا تحصى. وبركاته عليك لا تستقصى. وقد ندبك للصلاة شكراً له على إحسانه المتوالي، وإنعامه المتتالي فكيف تعرض عنه وهو يطلبك. أم كيف تنأى بجنبك عن عبادته وهو يدعوك إليها. هل هذا إلا لؤم يواجه الكرم. وكفران يقابل الإحسان. على أنك مهما عملت ادخر لك الثواب وأوفاك أحوج ما تكون إليه. فهو سبحانه مع عظيم فضله عليك

صفحة من مخطوط الكتاب، بخط المؤلف الشيخ محمد الحامد رحمه الله

كلمات

التَّصوفُ والصّوفيّةُ

لم يكن هذا الاسم شائعاً في زمن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فقد كان القومُ عبّاداً زُهاداً، لم يختصَّ فريق منهم بشعارٍ ولا نِحْلَةٍ يمتازون بها عن البقية، بل كان الجميعُ على مَحَجَّةِ الهدى الواضحة، يُحيون ما أَحْياهُ القرآن ويُميتُون ما أماته، تَقَيَّدوا بِنُصوصِه وأوامِره فاتَّبَعوها، وحَمَلوا أنفسهم على لُزُومِ الاتِّباعِ والمَيْلِ عن الابتداعِ، فكانَ عصرُهم أرقى العُصور وأزهاها.

بَيْدَ أَنَّهُ لَمّا تَطاولَ الزَّمَنُ بعدَ عصرِ الصحابةِ، وفُتحتِ الدُّنْيا على النَّاسِ، فَمالتْ بِهم ومالُوا بها، ورَضَعوا منها واتَّخذوها أُمّاً، وظهرتْ بوادرُ الفسادِ، وكَثُرَ البَغْيُ والعِنادُ، بَقي فريقٌ مِنَ النّاسِ مُتَّبعين خَطَّ السَّلَفِ ناهِجين نَهْجَهم عامِلين على إحْياءِ السُّنَنِ وإمَاتَةِ البِدَعِ، صَرَفُوا قلوبَهم عن الدّنيا وزُخْرُفِها، وزَهِدُوا فيها زُهْداً حَقِيقياً، فإنْ حازُوا على شيءٍ منها فهو بأَيْدِيهم لا بِقُلوبهم. عُرِفَتْ هذهِ الفئةُ مِنَ النَّاسِ (بالصُّوفِيَّةِ). وهو اسمٌ مُحْدَثٌ - كَما عَلِمْتَ - والأَقْرَبُ أَنَّهم إنَّما سُمّوا بِهِ لأنَّ شِعارَهم كانَ لُبْسَ الصُّوفِ.

طَريقةُ هؤلاءِ القومِ: أوَائِلُها قطْعُ العَلاَئِقِ عَمّا سِوى الله، وتَخْلِيةُ القَلْبِ عَنِ الشَّواغِلِ، والفِرَارُ إلى الله تعالى، والإقبالُ عَليه سُبحانَهُ بالكُلِّية حتّى يَظْفَروا لَدِيْهِ بالقَبُولِ، وهُوَ عِنْدَهُمُ المَأْمُولُ.

دَرَجوا على هذا، وَرَقُوا في مَعارِجِ الكمالِ، ورَتَعُوا في رياضِ القُرْبِ، وجَنَوْا مِن ثِمارِ المعرفةِ ما غَيْرُهم بهِ جاهِلونَ، عُنُوا بأَحْوالِ القَلْبِ وتَخْلِيَتِه من الرَّذائلِ وتَحْلِيتهِ بالفضَائِلِ عِنَايَةً هِي أَسْمى ما وَصَلَ إليهِ العَقْلُ، وهو في الحقيقةِ رُوحُ الشَّرْعِ. وإنَّكَ لَتَرى العَجَبَ في مُحاسَبِتِهم نُفوسَهم ومُجاهدتِها بأنواعِ المُخالَفاتِ وحَمْلِها على سلوكِ المَحَجَّةِ القَويمةِ بِلا زَيْغٍ ولا اعْوِجاجٍ، فكانُوا بذلك خُلَّصَ عبادِ الله وخيارَهم، وحَسْبُكَ بالإمامِ أبي القاسمِ الجُنَيْدِ وأَضْرابِهِ رضي الله تعالى عَنْهم، مِمَّنْ تَحَلَّتْ بهم صفحةُ التّاريخ، وَعَطَّروا عُصورهم ومَلؤوها

طِيباً وأرجاً، وكانُوا نِبْراسِ الهُدى وأعلامَ التَّقوى، داعين إلى الله تعالى بِلسانِ الحالِ والْمَقالِ، تَفَجَّرَتْ ينابيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قُلُوبِهم فَفاهُوا بالدُّرِّ النَّظيم مِمَّا هُوَ حَرِيٌّ أن يُكْتَبَ بِماءِ الذَّهَبِ. وأَقوالُهم مَحْفُوظةٌ، فيها الهُدى للمُسْتَرْشِدِ، والحقُّ لِطالبِهِ، إذْ هِيَ صادِرَةٌ عَنْ قُلُوبٍ أُشْرِبَتْ حُبَّ مَوْلاها فَأَفَاضَ عليها أنواعَ المعارِفِ مما لا يَحْصُرُه عِلْمٌ ولا يُدْرِكُهُ تَعْرِيفٌ.

على أنَّ طَرِيقَة الصُّوفيَّةِ لم تَخْلُ من مُتَعَسِّفِينَ أدْعياءَ، انْتَحُلوا هذا الاسْمَ، وحادُوا عَمَّا كانَ عليه السّلفُ الصّالحُ، فَضَلُّوا وأضَلّوا، ولم يَعْرِفوا الغايةَ مِنَ التَّصوفِ، فلم يُمِيتُوا نُفوسهم، ولِم يُرْغِموها على لُزوم الخطّةِ العادلة، بَلْ أحْيَوْها بِحُبِّ الشُّهْرَةِ والسُّمْعَةِ، وَغَذَّوْها بالتَّعالي على النَّاسِ، وَظَهَرُوا بِمَظْهَرِ التُّقى والوَرَع والزُّهْدِ في الدُّنْيا، وهِي قَدْ شَغَفَتْهُم حُبَّاً، وعَلقَ ذلك في قُلوبهم، فَجَعلوا طرِيقَهم أحبُولةً يَتَصَيَّدُونَ بها حُطامَ الدُّنْيا، ويُسَيْطِرُون على ضِعافِ العُقولِ، لم يَعْرِفوا مِنَ التَّصوفِ إلاَّ كلماتٍ يُرَدِّدونها أمامَ مُرِيديهم وأتْباعِهم لِيُوهِموهم أنَّهم على شيءٍ، وهُمْ خَلِيُّون. وإنَّ مِنْ أَهَمِّ شيءٍ في الطَّرِيق - لو علموا - قَطْعُ عَقَباتِ النَّفْسِ، والخُلُوصُ من رُعوناتِها، وإخراجُ حُبِّ الدُّنيا مِن القلبِ:

رَضُوا بالأماني وابْتُلُوا بِحُظُوظِهم   وخَاضُوا بحارَ الْحُبِّ دَعْوى فَما ابْتَلُّوا
فَهُمْ في السُّرى لم يَبْرحوا مِنْ مكانِهم   وما ظَعَنوا في السَّيْرِ عنه وقدْ كَلُّوا

على أنَّ فِيمنْ يَنْتَسِبُ إلى الصُّوفيةِ في عصرنا الحاضر الخِيارَ الصالحين، لم يَزالُوا يَترَسَّمون خُطُواتِ السَّلَفِ، ويَجْهَدُونَ على الاقْتداءِ بِهِمْ، فَلَسْتُ أتناولُ بِكلامِي هذا هؤلاءِ، وإنِّي أَبْرأ إلى الله تعالى مِنَ الوَقِيعةِ بهِم، وأُواليهم في نَفْسي وإنْ كانَتِ الأَشْياحُ مُتَبايِنَةً، إنَّما كَلامِي في أُولئكَ الذينَ يَقولونَ ما لا يَفْعلونَ، ويَفْعلونَ ما لا يُؤْمَرون، فَإنْ صاحَ بِهِم صائِحٌ: وَيْلَكُم، هذا ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ الله ولا رَسُولُهُ ﷺ أقَامُوا عليه النَّكِيرَ ورَمَوهُ بالزَّنْدَقَةِ والتَّكْفِيرِ، كأنَّما رَحْمَةُ الله

تعالى فِي أَيْدِيهِمْ يَقْسِمُونها بينَ النَّاسِ، والله أَكْبَرُ مِمَّا يَظُنُّونَ، ودِينُهُ فَوقَ ما يَتَوَهَّمُون.

كانَ شِعارُ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ الإخلاصَ لله في كلِّ أُمُورِهِم، فَلَمْ يُبالُوا بالنَّاسِ، وراقَبوا الله تعالى، وجَعَلُوا ما بينهم وبينه سُبحانه صالحاً، كما قالَ القائِلُ:

وَلَيْتَ الـذِي بَـيْنِي وبـينَـك عـامِـرٌ وبَـيْنِي وبـينَ الـعـالَمِـيْن خَـرابُ
إذا صَـحَّ مِـنْـكَ الـوُدُّ فـالـكُـلُّ هَـيِّنٌ وكُـلُّ الـذِي فـوقَ الـتُّرابِ تُـرابُ

مَلأتْ خَشْيةُ الله تعالى قُلُوبَهم، فَلم تَأْخذْهم في ربِّهِم لَومَةُ لائمٍ، فَلم يَهابوا سَطْوةَ المُلوكِ ولا قُوةَ السَّلاطين. نَعَمْ قَصَرُوا نَظَرَهم على أنفسِهم؛ ولكنَّهم مَعَ هذا لَم يَكونوا مِمَّن لا يهتمّون لأُمورِ المُسْلِمين، بَلْ كانوا يُفادُون في سبيلِ الله حتى بِأنفسِهم.

وإليكَ ما أَقُصُّه عليك مِنْ بَعْضِ وَقائِعِهم، وفِيه يَتَبَيَّنُ لكَ صِدْقُهم في خِدمةِ ربِّهم سبْحانهُ وأَنَّهم عبادُ الله المُخْلِصُون: لَمَّا اسْتوى المأمونُ على عرشِ الخِلافَةِ ومَلَكَ الأَمْرَ بَعْدَ قَتْلِ أخِيهِ الأمينِ حدثَ أن اجْتمعَ قومٌ من الصّوفيةِ في أَحَدِ المساجدِ في أطرافِ بغدادَ، وتَذاكَروا أمرَه بينهم، وقالُوا: هلْ وَلِيَ هذا الرجلُ الخلافةَ بِعَهْدٍ أَمْ بِمشُورةٍ واتِّفاقٍ بين المسلمين؟ فإنْ لم يكنْ شيءٌ مِن ذلكَ وإنما لم تَكُنْ ولايتُه بعهدٍ وإنْ كانَ عَهِدَ الرَّشيدُ لَهُ بعدَ الأمينِ، إلاَّ أَنَّ الأَمينَ قُتِل فلم يَكُن العَهْدُ مَمْشِيّاً عليه كَمَا نَصَّ، فَلِمَ اغْتَصَبَ الأَمْرَ وكيفَ يَحِقُّ له ذلك؟ ثُمَّ رَأَوا أنْ يُرسلوا إليه رَجُلَيْنِ منهم يَسْألانِهِ عن الحقَيقَةِ لِيعرفوا ما عنده، فَفَعلوا، ولَمَّا وَرَدا بابَه اسْتَأْذَنا في الدَّخولِ عليه، وكانَ عند المأمونِ القاضي يَحْيى بنْ أَكْثَمَ، فَلم يَرَ أنْ يأذنَ لهما المأمونُ إذْ أنْه أحسَّ أنَّهما آتيانِ لمناقشةِ الخليفة في شيءٍ مِمَّا يتعلقُ بِشُؤونِ المسلمينَ، ولكنَّ المأمونَ شاءَ إِدْخالَهما، فَأَذِنَ لهما، فدَخَلا وهما على حالِ البسَاطَةِ واضعين نعالَهما تحت آباطِهما، ولَمَّا أخذا

مجْلِسَهما سَأَلَهُما المأمونُ عمَّا أقْدَمَهما إليه، فَقَالا لَهُ: جِئْنا نَسْأَلُكَ عَنْ هذا الأمْرِ، هل وُلِّيتَه بعهدٍ أمْ بمشورةٍ واتفاقٍ؟ فقالَ: لا عَنْ واحدٍ منهما، ولكنْ لمّا قُتل الخليفةُ ولم يكنْ للمسلمينَ بُدٌّ من إمامٍ يَسدُّ الثُّغورَ ويُؤَمِّن السُّبلَ ويَنْشُرُ العَدْلَ جَلَسْتُ مجْلِسي هذا حتى يختارَ المسلمونَ لهم مَنْ يَرْضَوْنَه ويَتفقونَ على ولايته، فأسلِّمُ الأمرَ إليه، فقالا لَهُ: ما قُلْت إلاَّ حقاً، وانْصَرفَا، فأمر المأمونُ حاجِبَهُ أن يَتْبَعَهُما إلى مَقَرِّهما ويُحْصيَ لَهُ أقوال أصْحابِهما، فَتَبِعهما الحاجبُ مِنْ حيثُ لا يَريانه، حتى أتَوا ذلكَ المسجدَ، فاسْتَنْبَأَهُما أصْحابُهما عَمَّا جَرى، فحدَّثاهم حديثَ المأمونِ، فقالوا: ما قالَ إلاَّ حقاً، فانْصَرفَ الحاجبُ وأخْبَرَ المأمونَ بما فاهُوا بِهِ، وهنا قالَ المأمونُ لِيَحْيى: إنِّي لو لم آذَنْ لِوَفْدِهم لأَثَارَوا فِتْنَةً لا نَدْرِي عاقِبَتَها، وأنتَ ترى أنِّي وَعَدْتُهم أنِّي أتَنازلُ عن الخِلافةِ مَتى اجْتَمَعَ المسلمونَ على رجُلٍ، ومتى يكونُ هذا؟ فهلْ رَأْيِي خيرٌ أم رَأْيُك؟ فقالَ القاضي يَحيى: بَلْ رأيُ أميرِ المؤمنينَ أحْسَنُ وأصوبُ.

هذا مثالٌ مِنْ أحْوالِ السادةِ الصوفية، وعسى أنْ يُوَفَّقَ مُتصوفةُ عصرِنا لاقْتِفاءِ آثارِ سَلَفِهم فيكونوا خيرَ خَلَفٍ لِخَيرِ سلفٍ، والله ناصرُ المؤمنينَ، وهو يَتَولّى الصالحينَ.

جوابُ سؤالٍ عَنْ (تَصَرُّفاتِ بَعْضِ شُيوخِ الطُّرُقِ)

التَّصَدُّرُ للإرْشادِ لا يَسُوغُ لِكُلِّ أحَدٍ، فَإنَّ له شروطاً لا تتحققُ في كثيرٍ مِن الْمُتَشَيِّخِينَ، ولاسيَّما في هذا الزمانِ. إنِّي لا أَخُصَّ شيخَكَ أيُّها الأخُ بالذِّكْرِ، بَلِ الذي أقْصِدُ إليه هو السَّيْرُ في نَهْجِ الشَّرِيعةِ الغَرّاءِ مع التَّمَكنِ من العِلْم والرُّسُوخِ فيهِ ليكونَ على بصيرةٍ مِن أمرِه، فلا يَعْوَجُّ في سَيْرِهِ، ثم الأخْذُ بالعَمَلِ في حدودِ الوُسْعِ والاسْتِطاعةِ، ثُمَّ القَبْضُ على ناصِيَةِ الحالِ فلا يَخْرُجُ بهِ عَنْ سَنَنِ السُّنَّةِ إلى مَخْرَقَةِ البِدْعَةِ، ولا عِبْرَةَ بالفَيْضِ والمَدَدِ ما لَمْ يكنْ مُتَرَسِّماً سَيْرَ النَّبِيِّ وصحبِهِ وأئمةِ

السلوكِ عليه وعليهم أفضلُ الصّلاةِ والسّلام، فَإِنْ لَمْ يُحْكِمْ هذا إِحْكاماً صَحِيحاً كانَ مُسْتَدْرَجاً مَمْكوراً بهِ، والعياذُ بالله تعالى، ولله السّيدُ الرَّوّاسُ حيث يقولُ مِنْ قَصِيدةٍ:

لَوْ تَقَطَّعْتُ بِوَجْدِي إرَباً   قَدَمِي عَنْ نَهْجِكُمْ مازَلَقا

وذِرَاعِي لَوْ بِسَيْفٍ قُطِعَتْ   أبداً وَجْهَ السِّوى ما طَرَقا

والكلمةُ السَّائدةُ عند أهْلِ السَّيْرِ إلى الله تعالى: لو رَأَيْتُم رَجُلاً أُعْطِيَ مِنَ الكَرَامَةِ حتى تَرَبَّعَ فِي الهَوَاء فلا تَغْتَرّوا به حتى تَنْظُروا كيفَ وُقوفُه عِند حدودِ الله عزَّ وجلَّ.

وجاءَ أبو يَزيد البسطامِيّ - قُدِّس سرُّهُ - إلى رجلٍ قد اشْتُهِرَ بالوَلايةِ فَتَنَخَّمَ هذا في وجْهِ القِبْلَةِ، فقالَ أبو يزيد لِمريدٍ كانَ معه: قُمْ بِنا من عِنْدِ هذا فإنَّه غيرُ مأمونٍ على أدبٍ مِنْ آدابِ رسولِ الله ﷺ، فكيفَ يكونُ مأموناً على ما يَدَّعي؟!

يَحْرُمُ على المرأةِ مصافحةُ شيخِها وتقبيلُها يَدَهُ وغسلُها رِجْلَيهِ إذا كانا شابَّيْن أَو كَهْلَيْن، أمّا المرأةُ العجوزُ جداً فقد تَكَلَّم الفقهاءُ في جوازِ مُصافحتِها والسَّلامِ عليها وَرَدِّه أيضاً وتَشْمِيتِها إذا عَطَسَتْ، لكنْ بِشرطِ أمنِ الفتنةِ عليه وعليها جميعاً، وإلاَّ حَرُمَ هذا كُلُّه.

والأصْلُ فِي هذا قولُ سيدِنا رسولِ الله ﷺ: «مَنْ مَسَّ كَفَّ امرأةٍ لَيْسَ مِنها بِسَبِيلٍ وُضِعَ على كَفِّه الجَمْرُ يومَ القِيامَةِ». ومَعْنَى لَيْسَ مِنْها بِسَبيلٍ أَيْ لَيْسَتْ زَوْجَةً لَهُ ولا أُمَّهُ، ولا مَحْرَماً له. والمَحرمُ - وهي التي لا يجوزُ نكاحُها أبداً كَأُمِّهِ وابْنَتِه - يَجوزُ مسُّ ما يُباحُ له النَّظَرُ مِنْها بِشرطِ أَمْنِ الفِتْنَةِ عليه وعليها.

ولِي في مَنْعِ مُصافَحةِ المرأةِ الأجنبية رسالةٌ مَطْبُوعَةٌ متداولة وهي حافِلةٌ بالحَقِّ، تَقْرِيراً له واسْتِدْلالاً عليه، رَدَدْتُ فِيها على زائغٍ كَتَبَ رِسالةً في جَوَازِها وَمُخَرِّقٍ مَخْرَقَةً فَظِيعةً فَأَلقمْتُه الحَجَرَ بِعونِ الله تَعالى وحُسْنِ تَأْيِيدِه. فانْظُرْها وإِنْ لَمْ

تَكُنْ عِنْدَكَ فَاكْتُبْ إِلَيَّ حتى أَبْعَثَ بِها إِليكَ، إِنَّها تُباعُ فِي المَكْتباتِ العامَّةِ.

فالمطلوبُ مِنْ شَيخِ الطريقةِ أن يَتنزهَ عن المَكْروهاتِ بَلْه المُحَرَّماتِ، وَيَتَأَكَّدُ عليه التَّرَفُّعُ عَنْ مالِ المُريد، فَإِنَّ أَكْلَ الدُّنيا بالدّينِ حَرامٌ، إلاَّ إذا كان إهداءً عَنْ طِيبِ نَفْسٍ وخُلُوصِ نِيَّةٍ وبُعْدٍ عَن الاغْترار. وفِي الحَقِّ أَنْ التَّشَيُّخَ فِي الطَّرِيقةِ أَضحى مُنْهَدَّ الأَرْكانِ في هذا الزمانِ، اللَّهُمَّ إلاَّ عِنْد بَقِيةٍ صالحةٍ مُخْلِصَةٍ مُوَفَّقَةٍ.

جوابُ سُؤالٍ عَنْ (تَمَشْيُخ الأُميّ الجَاهِلِ)

المُرشِدُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ كامِلاً ذَا مَدَدٍ رُوحيٍّ عظيم ومعرفةٍ قلبيةٍ بِمَراحِلِ الطَّرِيقَةِ، وهذا مِنْ شَرْطِهِ العِلْمُ الواسعُ والتَّحْقِيقُ العَمِيقُ والمَعْرِفَةُ الغَزِيرَةُ كَشَيْخِنا الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ أَبِي النَّضرِ النَّقْشَبَنْدِيِّ - قُدِّس سرُّه -.

وإِمّا أنْ يَكونَ (شَيْخَ بَرَكَةٍ) يُلَقِّنُ الذِّكْرَ كَما تَلَقَّنَهُ مِنْ شَيخِهِ، وهذا يُصارُ إليه حتى الظَّفَرِ بالمُرشِدِ الكاملِ؛ لكنَّ مِنْ شُروطِهِ أيضاً أَنْ يَكُونَ على عِلْمٍ واطِّلاعٍ حَتى لا يُضِلَّ مُرِيدَهُ فينعكسُ المشروعُ وينقلبُ الموضوعُ، أَمَّا الأُمِّيُّ الجاهلُ فلا يَسُوغُ له مُطْلَقاً دَعْوى الشَّيْخُوخَةِ في الطَّرِيقَةِ لأَنَّ ما يُفْسِدُهُ أَكْثَرُ بِكَثِيرٍ مِمَّا يُصْلِحُهُ.

جَوابُ سُؤالٍ عَنْ (اسْتِعْمَالِ الخوارِقِ وإِجْرَائِها)

أَكْرمَ الله سَيِّدَنا الشيخَ أحمدَ الرِّفَاعيَّ بِإِخْضَاعِ الحَيّاتِ والأَساوِدِ لَهُ ولأَتْباعِهِ، وبِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَحْفَظُهُمْ مِن الاحْتِراقِ بالنَّارِ، ويَحْفَظُهُم مِنْ مَعَرَّةِ السِّلاحِ، وقد كَفَّ الله بِهِم في الماضي شَرَّ التَّتارِ العَادِينَ على الإِسْلاَم حَتَّى كانُوا سَبَباً فِي إِسْلامِهِمْ. وعلى هذا يَجُوزُ إِظْهَارُ هذِهِ الخَوارِقِ لِدَفْعِ شَرِّ المُعْتَدِي على الإِسْلام، لأَنَّ كثِيراً مِنَ الدَّهْمَاءِ يَعْقِلُونَ خَوارِقَ العاداتِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعقلُونَ البَيِّنَاتِ. كَما يَجُوزُ إِظْهارُها فِي إِخْلاصٍ أَيضاً لِمَنْ عَوَّدَهُ الله حُسْنَ العَوائِدِ، مِنْ أَجْلِ تَنْمِيَةِ يَقِينِ المُرِيدِ في شَيْخِهِ، إِذْ بِمِقْدارِ اعْتِقَادِهِ بِهِ يَكونُ انْتِفاعُهُ:

إنَّ الفَتى حَسْبَ اعْتِقَادِهِ نُفِعْ   وكُلُّ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ لَمْ يَنْتَفِعْ

أَمَّا لِغَيْرِ هذَيْنِ الْمَقصِدَيْنِ السَّامِيَيْنِ فَلا يَجُوزُ، كالَّذِي يكونُ لاقْتِناصِ الدُّنْيا ونَيْلِ الحُطامِ العاجِلَةِ، أَوِ الوَجَاهَةِ فِي النَّاسِ.

المَنْعُ مِنَ الذِّكْرِ المُحرَّفِ[1]

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضلُ الصَّلاةِ وأتمُّ التسليمِ على سيدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعدُ: فلقد سُئلتُ غيرَ مرةٍ عن جوازِ الذِّكْر المحرفِ، وإنِّي أُجيبُ مستعيناً بالله القويِّ العزيزِ فأقول: قد يتعلق أصحابُ الذِّكرِ المحرَّفِ بأنَّ اللغةَ غيرُ مقصودةٍ لِذاتها، بل هي لِمَحْضِ التَّفاهم، وأنَّ المعنى هو الذي عليه التَّعْويلُ وَ«إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ»، فلا ينبغي التشديد في هذا الأمر، لأنَّ اشْتراطَ النُّطْقِ بالاسم الكريم باللغة الفصحى يُقْعِدُ كثيراً من الناس عن التّعبّدِ، وذا يتنافى ومقصد الشارع، وإنه من التكلف، ولا ضير في تركه ما دام الإخلاصُ حاصلاً، وحُسْنُ القصد ماثلاً، وقد يُعَزِّزُونَ دعواهم بأنّ اللَّحْنَ في القرآن الكريم غيرُ ضارٍّ في بعضِ المسائل، وأن افتتاح الصلاةِ بغير العربية لا يُؤَثِّر في صحتها، وأن قراءة ترجمة سورة الفاتحة الشريفة تجوز بها الصلاة، وأنّ الدعاء بغيرِ العربية سائغٌ.. إلى آخرِ ما يستَظْهِرون به على جوازِ ما هم مُتَلَبِّسونَ به مِنْ عدم مراعاة النُّطق حالَ الذِّكْرِ باسمِ الله الكريم واضحاً غير مُحَرَّفٍ.

وقبل أن أشرع في تركيز الحقيقة الدينية في وُجوبِ النُّطق بالاسم الكريم كما أنزله الله سبحانه إلينا - أحِبُّ أنْ يَعْلَمَ الذاكرون - أني لا أتهمهم في إخلاصهم، ولا أُصادِرُهم في قصدهم، فإن الإخلاص سرٌّ بين العبد وربِّه

---

(١) مقولة نشرها كاملة الأستاذ محمد أديب كلكل في كتابه (تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر)، جواباً له حول الموضوع، وطلب من الشيخ الحامد إلحاقها بكتابه فأذن له بذلك، ولأهميتها الشرعية أعاد نشرها الأستاذ عبدالحميد طهماز في كتابه (الفقه الحنفي في ثوبه الجديد).

تعالى، وليس من الحقِّ التّحَكُّم في الضّمائر، ولا من الإِنْصَافِ التَّهجُم على السرائرِ، بلْ إِني لأراهم في نَفْسِي خيراً منِّي، وإِني أحمد إليهم سمتهم الطيب، وسَيْرَهم الحميد، وخُشوعَهم لله، وخضوعهم لأمره، وابتعادَهم عن المنكرات، وانْطِواءَهم على الذَّواتِ، كما أَنِّي لا أجحد منازلات السَّائرينَ إلى الله تعالى والسّالكين سبيلَ التَّصْفيةِ، فإِنَّها حقائق مقررة لا يَجْحَدُها إلا الجهولُ الَّذي لم يَشَمَّ لِلْقُرْبِ من الله رائحةً، ولم تَعْبَقْ في رُوحِه منه فائحةٌ.

إن السادة الصوفية لهم مِنْ هذا النَّصِيبُ الأوْفى، والحظُّ الأوفر، والله المسؤول أن يُعيدَ علينا مِنْ بَرَكاتِهم، ويحشرنا في زُمَرهم وجماعاتهم آمين.

لكنَّ هذا كُلَّهُ لا يمنعُ قائِلَ الحقِّ مِنْ قوله، وإِنَّ الله فرض علينا التَّواصيَ بالحقِّ، والتَّواصي بالصَّبرِ، وقَديماً قالَ العارِفون بالله سبحانه: «لا يزَالُ الصوفيةُ بخيرِ ما تَناكَروا». إِن الغيرة على اسم الله المجيد تحمل صاحبها على النُّصْح بالتزام تصحيح حروفه، والنطق به تاماً كاملاً، فإِنَّه أكرمُ الأسماء وأمجدها، وإنَّ المرءَ ليغضب إذا نودي باسْمِه الشخصي محرَّفاً فكيف باسم الله المجيد؟ وهو سبحانه أحبّ إلى المؤمن من نفسه، ومن كانَ كذلك ذاقَ حلاوةَ الإيمان على ما جاء في الحديثِ النبويِّ الشّريف[١]

وعن هذا يمنع التطريب في الأذان، وهو إخراج كلماته عن وضعها بزيادة المدِّ والتَّمْطيط، وقد ذكر المحققُ الشيخ كمال الدِّين ابن الهمام الحنفي في كتابه (فتح القدير) الذي شرح به كتاب (الهداية) في فقه الحنفية: ذكر فيه أن الإمام أحمد سُئل عن هذا في القراءة فكرهَه ومنعه. فقيل له: لمَ؟ فقال للسائل: ما اسمك؟ قال: مُحمدٌ، فقال: أَيُعْجِبُك أن يُقال لك: (يا مُوحامَّدُ؟) وإذا لم يحلّ

(١) وهو حديث صحيح متفق عليه ولفظه: «ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسولهُ أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وأن يكره أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار».

هذا في الأذان، ففي قراءة القرآن أَوْلَى.. وقد نقله عنه الشيخ الشَّلَبِيُّ في حاشيته على (شرح الكنز) للزيلعي وأقرّه.

وإذا كان ممنوعاً في القراءة فهو ممنوعٌ حالَ الذِّكر أيضاً، والتفريقُ بينهما تَحَكُّم مَحْضٌ، ومن المعلوم أن لام الجلالة في الاسم الكريم تُفَخَّمُ تارةً وتُرَقَّقُ أخرى، ولا يجوز الترقيقُ في مقام التفخيم، ولا التفخيم في مكان الترقيق، وكلُّ هذا من الحقِّ المتلقى عن سيدنا رسول الله ﷺ، ولا يجوزُ العُدولُ عنه بحالٍ، اللهم إلاَّ إذا فَقَدَ الذّاكِرُ تماسكه وغشيته حالٌ شديدةٌ جرى معها لسانُه بما لا ينطق به لولاها، فهذا يغتفر له ما لا يغتفر للمُتزن المتماسك، وقد يتلبس بحركات كحركات المرتعش، فيكون منه اضطراب وصياح، وقد يمزّق ثيابه وَجْداً وهُياماً، وشوقاً حارّاً إلى الله يلتهب به الْتهاباً محرّقاً ممزِّقاً؛ فمثل هذا تُسَلَّمُ له حالُهُ الصَّادِقةُ، ولا يعترضُ عليه إلاَّ الأجنبيُّ عن هذه النفحاتِ الأقدسِيةِ التي تضرع قلوب إلى الله تعالى أن يُبْقِيَ بابها مفتوحاً، وفَيْضَها ممنوحاً.

ولا ضير على من نزلت به هذه الحالُ في كل حركة يأتيها، فإنَّ الممنوعَ من الحركات ما كان على النحو غير المشروعِ المأذونِ فيه، والشرع إنَّما يأذن بما ليس فيه تثنٍّ وتكسُّرٌ وما إليها..

أما ادّعاؤهم بأن اللَّحن المتعمد في القرآن الكريم غيرُ ضارٍّ في بعض المسائل فهو من الغرابة بمكانٍ، إذ كيف يُسَوَّغُ اللَّحْنُ المتعمد في كلام الله عز وجل؟! اللحن الذي لا يَضرُّ هو ما يزلُّ به لسانُ القارئ في الصّلاة من غير عمدٍ على نحو ما ذكره الفقهاء رضي الله تعالى عنهم في فصل: (زَلّةُ القارئ من باب مفسِدات الصّلاة)، على أنه يغتفر للعامي منها ما لا يغتفر للفقيه العَالِم، فقد تفسد في حقِّ إنسانٍ، ولا تُفسد في حقٍّ آخر. والتحريف في الذِّكر ليس مَن هذا في وِردٍ ولا صَدَرٍ من حيث إنَّهُ متعمد متلقف، فقياسه على زلة القارئ لا يتمُّ

لأن الفارق بينهما قائم، والقياس يعمل عمله عند التَّشابه التام بين المقيس والمقِيس عليه، وعند اتِّحاد العلّة أيضاً ليكون الْحُكْمُ فيهما واحداً، وشرطه أنْ لا يكونَ في المقيسِ نصٌ وإلا فلا قياس، ونصوص الدِّين تمنع تحريف اسم الله تعالى، وهل شُرِعَ عِلْمُ التَّجْويد إلاَّ لإعطاء الحروف حقَّها ومستحقها من المخارج والصِّفاتِ؟ واسم الله الكريم أَحق من سائر الكلمات بهذه المراعاة المفروضة..

* * *

وأما افتتاح الصلاة بغير العربية، فأمر مختلف فيه، فأبو حنيفة يجيزه للقادر على العربية مع الإثم وكراهة التَّحريم، لأن التكبير واجب في أولِّ الشُّروع، وتارك الواجب واقع في كراهة التحريم التي يستحق مقارفها العقوبة بالنّار لأنها إلى الحرامِ أقرب، بخلاف كراهة التَّنزيه فإنها إلى الحلِّ أقرب.

والصلاة التي دخلتها كراهة التحريم تُعادُ وُجوباً في الوقت، بل وبعده على الأصح؛ نعم لا تكون الصلاة باطلةً بترك الواجب إذ البُطْلانُ يَنْجُمُ عن ترك الفرض، وإن كانا مشتركين في الإثم، والحظر على تفاوت بينهما فيهما، قال الشيخ ابن عابدين في حاشيته (ردّ المحتار على الدُّرِّ المختار) بعد أن ذكر جواز الشروع في الصلاة بالفارسية على قولِ الإمام لأن المطلوب الذِّكْرُ والتَّعْظيمُ، وذلك حاصل بأيِّ لَفِظٍ كان وأي لسانٍ كانَ، قالَ: «نعم لَفْظ الله أكبر واجب للمواظبة عليه لا فرض».

والجواز لا يتنافى مع كراهة التَّحريم لترك الواجب كما هو مُقررٌ في الفقه. أمّا صاحباه أبو يُوسُف ومحمدٌ - رحمها الله تعالى - فإنَّهما لا يجوِّزان الشروعِ فيها إلا بالعربية للقادر عليها، ويُجُوِّزانه للعاجز عنها، فهما يشترطان العجز لجواز الشروع، كما في (الدر المختار).

فما لم يكن لم يكن، على أن هذا قياس مع الفارق أيضاً لأنَّ الكلام في منع ذِكْرِ اسم الله بحروفه العربية المحرفة لا في لغةٍ أخرى فليتنبه إلى هذا.

وأما جواز الصلاة بقراءة ترجمة سورة الفاتحة بغير العربية فلا يفيدهم شيئاً، ذلك أنَّ هذا الجواز مقيَّد بالعجز عن قراءتها بالعربية إلى أن يتعلمها، وهذا هو الذي عليه الفتوى، إذ الأصحُّ أن الإمام أبا حنيفة - رحمه الله تعالى - رجع إلى قول صاحبيه أبي يوسف ومحمد - رحمها الله تعالى - بأنَّ قراءتها بالفارسية ونحوها لا تجوز بها الصلاة إلا عند العجز عن قراءتها بالعربية. وقد كان الإمام أولاً يقول بجوازها مطلقاً، ثم رجع إلى قولهما كما في (**الدُّر** المختار **وردُّ** المحتار) من كتب الحنفية، والقول المرجوع عنه لا يصحُّ اعتماده والعمل به ولو للمرء في خاصَّة نَفْسِهِ فَضلاً عن الاحتجاج به كدليل.

* * *

وأمَّا تسويغُ الدُّعاء بغير العربية فلا وجه للاستدلال به على جوازِ الذِّكْرِ المحرَّف لأن الدعاء ضراعة إلى الله تعالى، وذلّة له سبحانه، ومَنْ ذا الذي يمنع الأعجميَّ أن يبسط كفّ الضّراعةِ إلى خالقه، ويَذلَ له طالباً منه سبحانه قضاءَ حاجتهِ، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويحقق له رجاءه؟! إنه سبحانه المَدْعُوُّ بِكُلِّ لسان، والمرْجُوُّ في كلِّ آن، وقد طلب إلى خَلْقِهِ أن يدعوه ليستجيب لهم. على أَنَّ عَوامَّ العرب إذا دعوا ربَّهم بلغتهم العامِّيَّة غير الفصحى فإنهم ينطقون باسم الذّات فصيحاً بـ (يا الله) و(اللّهُمَّ) و(يا رَبّنا)، وما إلى هذا مما ليس لتحريف الحروف فيه سلوك، وأمّا باقي كلماتهم فهي أوعيةٌ للمعاني التي يَشْكُونَ بها بَثَّهُم وحُزنهم إلى الله، والله عليم بالمقاصد والنَّوايا، وما انطوت عليه الصدور من أسرارٍ وخفايا.

وأَمَّا الذِّكْرُ بلفظ (آه) طَيّاً لِما في القلب مِن اسم (الله) وحبساً للنَّفَسَ بالهمزة

منه، ثم تصريفاً له بالهاء الصاعدة من القلب للتفريج عن قلوب المنتهين، ولتحريك قلوب المبتدئين، وللاستعانة على سرعة الاستحضار فأمرٌ متوقف على ورود الشرع بأنَّ لفظ (آه) من أسمائه تعالى التي هي توقيفيَّةٌ ليس للاختراع إليها سبيل، نعم يُنسَبُ إلى بعض الصُّوفية أنهم يُثْبِتُونه اسْماً له تعالى، ويا ليتهم بيَّنوا دليل هذه التسمية من دليلٍ سمعيٍّ مِنْ كتابٍ أو سُنَّةٍ، فَإِنَّ الأمر من حيث هو متوقف عليهما.

* * *

وَبَعْدُ، فما الذي يَضرُّ إخواننا الذّاكرين لله تعالى أن يَدَعوا ما فيه شبهةٌ إلى ما ليس فيه شبهةٌ، وقد قال فقهاؤنا - رضي الله تعالى عنهم -: إذا تردّدنا في شيءٍ بين كونه بِدعةً أو سُنَّةً فَتَرْكُهُ لازمٌ.

وإلى الفقهاء الرُّجوع في الأحكام لا إلى المفسرين والمحَدِّثين والصُّوفيَّة على احترامنا لهم. وفي الحديث الشريف الذي رواه سيدنا أمير المؤمنين الحسن ابن أمير المؤمنين عليّ رضي الله تعالى عنهما وكرّم وجهَيْهما عن سيدنا جدِّه المُصْطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام أنه قال: «دَعْ ما يَريبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ»، رواه الترمذيُّ والنَّسائيُّ وقالَ التِّرمذي: حديث حسن صحيح.

هذه نصيحة أملاها عليٌّ النصح للإخوة في الدين والله وليّ المؤمنين.

جوابُ سائل عن (بعض ما ورد في كتب التصوف)

وبعد: فإن التصوف حالٌ أكثر منه قالٌ، وإن من سلك سبيل القوم بصدق ذاق ما ذاقوه إن شاء الله تعالى له ذلك. وإنَّ مِنْ أدبِ المُريد أن لا يَسْبِقَ علمه ذوقه فلا يتكلف معرفة منزلة قبل أن ينازلها ويبلُغها؛ وإنْ تكلف ذلك فقد يفهم غير مرادِ القومِ مِنْ كلامِهِم فيضِلّ، وهم منعوا غيرهم - مَنْ لَمْ يَبْلُغ منازلهم - من مطالعة كلماتهم وقراءة كتبهم لهذا الملحظ، إذ هو بين أن يُكفرهم إنْ أَسَاءَ

بهم الظَّنَّ وبَيْنَ أنْ يُتابع فَهْمَهُ السَّيِّء الذي لم يريدوه فَيَفْسُدُ اعتقاده ويعزب عنه رشاده، وبعض ما في كتبهم مَدْسُوسٌ عليهم، وقد نَبَّهَ العلماء عليه، وبَيَّنُوا دسَّه، وإن لدينا فيما نُسِبَ إليهم ميزان الشَّريعة، فَكُلُّ ما لَمْ يقبل التأويل بشكلٍ صحيحٍ فهو مَدْسوسٌ عليهم. وإنِّي آخذٌ نَفْسي ومن لقنته طريق السادة النَّقْشَبَنْدِيَّةِ بالامتناع عن مطالعة الكتب التي أَلَّفَها القوم لأنفسهم ولأمثالهم، أَخَذْتُهُم ونَفْسي بهذا حرصاً على سلامة الاعتقاد وإبقاءً على حُسْنِ الظن بالقومِ رحمهم الله تعالى.

وعلى هذا فلن تجد عندي جواباً لما سألتني عنه وإنِّي أرى الاشتغال بالتَّفْسير والحديث والفقه أجْدَى علينا وعلى الأمة من الاشتغال بهذه الدَّقائق التي قَلَّ أن يخرج المشتغل بها سليماً إن كان من المبتدئين. وقد سمعت سيدي ومرشدي السيد الأستاذ الشيخ محمداً أبا النصر رحمه الله تعالى وقدَّس سره يقول: طعامُ الكبار يَضُرُّ الصغار. ويعني به هذه المسْطورات في كتب القوم إذا طالعها السّالِكون المبتدئون. فلنقبل هذا، ولنعمل عليه حتى يوافينا فتح الله علينا، والله قريب مجيب.

وبعد: فرجائي إليك أنْ تُعْفَيني من كثرة الأسئلة فَإنِّي مَشْغولٌ بأعمالٍ علمية عديدةٍ مطلوبةٍ منِّي فارحمني رحمك الله وبَاركَ عليك صومك وعبادتك.

أُحِبُ الإِخْلاص، وَالإِخْلاصَ فِي الإِخْلاصِ

كتب - رحمه الله تعالى - رسالةً إلى شَيْخِهِ يَسْتَرْشِدُهُ في خُطْبَتِهِ الْجُمُعَةَ:

«سيدِي ومُرْشِدي: أُقَبِّلُ يَدِيكم الشريفتين، وأسأل الله تعالى لكم مزيد الإحسان والإنعامِ، وبعد: فقد توجهتْ على الفقير ولدكم خطبة الجمعة في جامع الأشقر، بعد أن عرضتْ عليَّ فرفضتها، ولكنّ المشايخ - حفظهم الله تعالى - أصرّوا على قرارهم، وعملوا جهدهم لإقناعي، فقبلت وخطبتُ في الجامع المذكور يوم الجمعة الماضي،

وإنِّي أَحْمَدُ الله تعالى على توفيقه، الذي لا شكَّ في حصوله ببركةِ انْتمائي إليكم، وانتسابي لِسُدتكم العالية. وقد طَلَبَ مني جيران المسجد درساً عقِب الصّلاةِ، كما كان يفعل الخطيبُ السابِق، ففعلت ولطف الله تعالى بي، وله سبحانه الحمدُ على كُلِّ حالٍ. غيرَ أَنِّي يا سيدي ذاكِرٌ لكم في كِتابي أمراً هو مِنْكُم ومِنْ ولدكم على بالٍ؛ ذاكَ أَنِّي لم أكُنْ ذا طمعٍ شديدٍ في المالِ، ولا في الجاهِ، وما رَضِيتُ بالوظيفةِ حُبّاً بأحدهما، وإنْ كنتُ صُعْلُوكاً فَقِيراً، بل إنما قَبِلْتُ بها رجاءَ أنْ يخلقَ الله تعالى على يَدَيَّ شيئاً من النفع، أكون فيه عاملاً لربي جَلَّ وعلا، ولا يَخْفى على مولاي - قُدِّس سِرُّهُ - أنَّ ذلك لا يَحْصُلُ ما لم يكن القائمُ بالأمر مُخْلصاً في عمله لله تعالى، وإلاَّ فَإنَّ ما يُفْسِدُه أكثرُ مما يُصلحُه، وإنِّي أرى نَفْسي قد ركنت بعض الرُّكونِ إلى قبول النّاس لها، وهي لا تَزالُ تَدَّعي الإخلاص، فَأَمْتَحِنُها، فَأَجِدُها كاذبة، كما قال القائل:

كُلُّ مَنْ يَدَّعي بما ليس فيه كَذَّبَتْهُ شَواهدُ الامتحان

فرأيت أن أخبركم بأمري عسى أن تَلْحَظُوني بنظرِكم الشَّريف، وتَرْعَوني بقلبكُمُ الطّاهر، وتتوجَّهُوا إلى الله تعالى بأن يقذف نور الإخلاص في قلبي، ويُطَهِّر سرِّي، فأكون مِن خدام حضرته.

إنني يا مولاي إلى الآن، أُحِبُّ الإفلات مِنْ هذا القيد الذي أخشى أن يُفْسِد عليَّ قلبي، ولولا إصرار الشيوخ وإكْراهُ أخي بدرٍ، ما قَبِلْتُ بِهذا الأمرِ، وإنْ كُنْتُ أرجو نفع الناس، لأنِّي أعلمُ غشَّ نَفْسي لي وخِداعها، فلا يخفى عليَّ تلبيسُها ومكرُها، وإني لولا خوفي مِنْ غضبِكم على ولدكم، لفررْتُ مِنْ حماة قبل يومِ الجمعةِ، وإنْ غضب أخي بَدْرٌ.

والآن إنِّي أقول لكم بصراحةٍ تامّةٍ: إنِّي منتظرٌ ثلاثَ جُمَعٍ، فَإن صَلَحَتْ سريرتي اسْتَقَمْت، وإنْ فَسَدَتْ تَركت حماة إلى حيث شاء الله تعالى، فلست في حاجةٍ إلى أنْ أُكْتَبَ عند الله تعالى في جريدة المرائين، فأكون تحت غضبه ومقته

سبحانه وتعالى، ولست شديد الحرص على المشيخة، وإنّي واثق بوعد ربي بأن يرزقني.

أُحِبُّ الإخلاص، والإِخلاص في الإخلاص، حتى أكون عاملاً لربي جل وعلا، لا عاملاً لنفسي وشيطاني.

وإنّي أظن أن الله تعالى لا يخيبكم في طلبكم منه لي العلم الكثير النافع مع العمل، والإخلاص مع عدم الغرور والكبر والعُجْبِ، وقد طهّر سبحانه بكم قلوباً كثيرة، وأرجو أن يكون قلبي واحداً منها.. اهـ ».

وفي حاشية هذه الرسالة، كتب رحمه الله تعالى:

«لي أسوةٌ بترك الوظيفة إذا لم أكن مُخلصاً بالإمام الغزاليِّ، فقد تَرَكَ التدريسَ بالمدرسة النظامية، وبأحد أصحاب أبي حنيفة، فقد ترك الكلام في العلم، وهو يشتاقه اشتياق الظمآنِ إلى الماء البارد، وببشرِ الحافي، فإنه ترك التَّحديث، فقيل له: لو سألك الله تعالى عن ذلك ما تقول؟ فقال: أقول: إني ما وجدت في قلبي الإخلاص، وقد امتنع ابن سيرين من الصلاة على الحسن البصري، وقال: ليس لي ظَفَرٌ بالنيَّة.

فأنا إن تركت هذا الأمر، فلي أسوةٌ بهؤلاء الأكابر، وإن قال الناس: عني مجنون، فقد قيلت لرسول الله ﷺ».

(زيد بن حارثة) عربي من قبيلة (كَلْبٍ)

الحمدُ لله والصلاةُ والسَّلام على سَيدنا رسولِ الله وعلى آله وصحبِهِ.

وبَعْدُ: فقد جاء في كلمة الأمسِ (مِنْ قصصِ النُّبوةِ والإِسلامِ) عند الكلامِ على زيدٍ مولى رسولِ الله ﷺ ما يلي: «وعادتْ تُسائِلُ أمَّها عن هذا المولى الذي اختارها الرسول له، وأرادَ بذلكَ أن يَمْزُجَ بهذِه الزِّيجةِ المتفاوتِةِ النَّسَب الصَّريح العربي بنسبٍ غير صريح أجنبي اهـ».

والذي أريد إيضاحه من هذا المقطع هُو أنَّ نسبَ زَيْدٍ أضحى معروفاً بعد مجيء أبيهِ وقومِهِ إلى مَكة في طلبه، وقد كانوا فقدُوه صغيراً حِينَ عَدَتْ عليه خَيل في الباديةِ، فَسَبَتْهُ، وكانت أمُّهُ تقصِدُ بهِ أخواله في زيارةٍ لهم، فهو من قبيلة كَلْبٍ التي تسكن شمالي جزيرةِ العربِ، وأبوه حارثةُ بْنُ شُراحيل.

وقد كانت خديجة رضي الله عنها أوصَت ابن أخيها حكيم بن حِزَام أن يشتري لها غلاماً ذكيّاً، فابتاعه لها من سوقِ عكاظٍ، ثم وهبته إلى النبي ﷺ، وكانَ ما كان بعدُ مِنْ أمرهِ كما ذكرته الكاتبة الموفَّقة صاحبة مقال الأمس.

فليس نسب زيدٍ غَيْرَ صريحٍ، وليس أجنبياً غَيْرَ عربي، كلا بل هو عربي مِن قَبيلةِ كَلْبٍ المعروفةِ، وإن لم يكن من قريشٍ، ولعلَّ الكاتبة عنت هذا، ولها شكري العظيمُ على ما بينت من حقيقةٍ ناصعةٍ بددت بها الأوهامَ الكاذبةَ التي افتراها المغرضون الأفَّاكون على جَدِّها العظيم سيدِنا رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وعلى آلِه وذُرِّيته وسَلَّم تسليماً، وفرع الشَّجرة منها.

وأُحبُّ بعدَ هذا لفت النَّظر إلى العقيدة وتصحيحها بتنزيه الله تعالى عن اللذة والألم وهياج الغضب والرأسِ واليدينِ والركبتين والتَّقْبيل والضَّم وما إلى هذا من نعوتِ المخلوقين وصفاتِهم، فالله تعالى وتبارك مخالِفٌ في ذاتِهِ وصفاته وأفعالِهِ لذواتِ المخلوقين وصفاتهم وأفعالِهم، فليَكن هذا على بالٍ منّا، فإنْ وَرَدَ في بَعْضِ القصائدِ ما لا يوافق التَّنْزِيه الواجب للإله جل وعلا، فلنذكر أنه خيال شاعرٍ، وليس الخيال بموافقٍ للحقيقةِ ولا بمسايرٍ لها، فالله تعالى مخالف للمخلوقات.

جواب السؤال عن (غَرَارَةِ المؤمن وكَيَاسَتِهِ)

جاء في الحديث الشريف الَّذي رواهُ أَبو داود والترمذيُّ والحاكِمُ عن أبي هريرة رضِي الله تعالى عنه عن سَيِّدنا رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قالَ: «المُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ،

والْمنافِقُ خِبٌّ لَئِيمٌ». وجاءَ في الحدِيثِ الآخر الَّذي رواه الشَّيْخان والإمام أحمدُ وأبو داود وابن ماجة عنه رضي الله تعالى عنه عن سيدِنا رسول الله ﷺ أنَّه قال: «لا يُلْدَغُ الْمؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ».

وأمَّا حديث «الْمؤمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ» فقد رواه القُضاعيُّ، لكنْ ذكر المناوي أن في سَندِه كذّاباً. نعم جاء في الحدِيث الشريف الَّذي رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم عن شدَّاد بن أوسٍ رضي الله تعالى عنه عن سيدنا رسولِ الله ﷺ أنَّه قالَ: «الكَيِّسُ مَنْ دانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْموْتِ، والعاجِزُ مَنْ أتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاها وتَمَنَّى على الله الأمَانِيَّ».

فالكِيَاسَةُ تعني النَّظَر في النتائِجِ وأن يَحْسبَ للعواقب حسابها فَيقْهَرَ نَفْسَهُ على طاعَةِ الله تعالى، ويَسْعى للآخرَةِ سَعْيَها الطيِّب، فهو عاقِلٌ فطِنٌ حاذِقٌ حَذِرٌ من الشيطانِ والنفس والهوى آخذٌ بالحيطة، إنْ أصابه ضُرٌّ من وَجْهٍ ابْتَعَدَ عنه فلا يصيبه منه تارةً أخرى، وذا شأن المؤمنِ الكاملِ القويِّ، أما المؤمن الضعيفُ فقد يَعْثُرُ الْمرَّة إثر المرَّةِ، ويتوالى عليه الشَّرُ وتتتابُعُ الكوارثُ وليس فيه حِذْقُ الكامِلِ المحترسِ الذي لا يُلدغُ من جُحْرٍ مرَّتين.. وغَرارَةُ المؤمنِ تعني سلامة صدره، وطيبة نفسه، وحُسْنَ ظنه، وانقياده، ولين جانبه وأنَّه غير عَمِيق البحثِ عنِ الشر لعدم سَعْيه في الأرضِ فساداً، فقدْ ينخَدِعُ أَوّل مرةٍ، ثم ينتبهُ لِمَكْرِ الماكِرِ وخِداعِ الخَادِعِ فلا ينزلِقُ. بل يَأْخُذُ حِذْرَهُ. وقدْ أَمَرهُ الله به. وبذا يتبين أن لا تضارب بين الأحاديث الشريفة؛ كَلاَّ، إنَّها مجموعةُ الشَّملِ لِمَنْ أمعنَ النَّظر ولم يكن سطحيّاً في تَلقِّيه الأمور.

أما حديث «إنَّما أَقولُ ما أقولُ» وقد رَواه الإمامُ أحمد عن أبي أُمامَةَ عن رسولِ الله ﷺ فالَّذي يَتَّجِهُ لي من فهمه: أَنيِّ إنَّما أقُولُ ما أقول وَحْياً من الله تعالى إلَيَّ، فما أنا بقائلٍ عن هوىً فلتسمعوا ولتطيعوا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

إصلاح

أطلعني طالب ثانوي متدين من أهلِ بلدِنا (حماة) على كلمة في صحيفةِ (الكفاحِ الإسلاميَّةِ) زاد الله القائمين عليها توفيقاً وهدىً ورشاداً، وعنوان تِلك (أيُّ المِهَنِ خَيْرٌ؟) وقَدْ أنْحَى كاتِبها - عفا الله عنه - باللائمة على العلماء في تفضِيلهم بعض مسالك الكسب على بعضٍ وتفضيلهم خصوص الاتِّجار في البُرِّ بالذِّكْرِ، مُحتجين بالحديث «خَيْرُ تجارَتكم البُرُّ» واسترسل ولم يصحح هذا التفضيل، بل عدَّهُ مِن سقطِ القول - كما قال - معتمداً قيامه على المصلحة العامة التي تختلف زماناً ومكاناً إلخ..

وجاء فِي كلامه على عمل النبيِّ ﷺ تاجِراً بِمَالِ السيدة خدِيجة رضي الله تعالى عنها أنه عمل عندها أجِيراً إلخ... ثُمَّ ذكر أنَّ البِيئة لها عملها فِي توجيه النّاس إلى أعمالٍ خَاصَّةٍ قد لا تكون فاضلةً، وضرب لها مثلاً رعايته ﷺ الغنم لقومِهِ زاعماً أن البيئَةَ فرضت عليه هذا العمل فرضاً إلخ.. وخلص آخراً إلى أن حديث «خَيْرُ تِجارَتكم البُرُّ» من أقوال النبيِّ ﷺ الدنيوية لا التشريعية، لأنه أثَرُ تجربة قد يفوقه فيها غيره، وقد يخطئ كما يخطئ غيره في رأيه الشخصي، إلى آخر ما زعم الكاتبُ وقال.

وقد رأيت في هذه الكلمة ما يقتضي التعليق عليها بِشيء مِن البيان العلمي دفعاً لِلَّبْسِ ومنعاً للاشتباه وقياماً بواجب النصح، والله المستعان.

أولاً: بَحْثتُ عَنْ هذا الحديث «خَيْرُ تِجارتِكُم البُرُّ» فِيما لَديَّ مِن كتبِ الحدِيث الشريف فلم أجده بهذا اللَّفظ سوى أن المُحدِّث الشيخَ إسماعِيلَ العَجْلُوني الجراحي صاحبَ (كَشْفُ الخَفاءِ ومُزِيل الإِلباسِ عما اشتهر من الحديثِ على ألسنة النَّاسِ) ذكره بلفظِ «خَيْرُ تَجارَتِكم البَزُّ، وخَيْرُ صَنائِعِكُم الخَرُّ» وقالَ: قالَ العِراقيُّ: لَمْ أَقِفْ له على سندٍ، وَذَكَرَهُ صاحب (مسند الفردوسِ) مِن حَدِيث علي رضي الله تعالى عنه. والبَزُّ بالزّاي المعجمةِ الثِّيابُ أي أن تِجارةَ الثِّيابِ خير تِجارة، وبهذا تكون حَمْلَةُ الأخِ الكاتبِ على مُفضِّلي تجارةِ البُرِّ بالرّاءِ المُهْمَلَةِ وهو القَمْحُ لِخصُوص احتجاجهم بالحديث غير واردة، لأن الحديث في البَزِّ بالزّاي، لا في البُرِّ بالراء، ولكنه أطلق

القَوْلَ في أنَّ هذا التفضيل مِنْ سَقَطِ القول، ولو على تقدير ورودِ الحديثِ، وهذه جرأةٌ كان الواجِب عليه تنزيه قلمه عنها والاحْتِفاظ بالقولِ السليم والمنطِقِ السديد، وكيف ساغ له التعبيرُ عنه بالسقط دون النظر في أن الحديث له أصل أم لا؟

الأدب مع النبي ﷺ في الخطاب: على أن الحديث إنْ صح[1] ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ١٢/٧٦] لَمْ يَكُنْ لنا مِنْ قَبُوله بُدٌ، ولا محِيد عَنْهُ، ولَسْنا نَسْلُكُ فيه مسلك القولِ بِأنَّهُ مِنْ أقوالهِ ﷺ التَّجريبيَّة التي قَدْ يَفوقُهُ فيها غيرهُ مِنَ التُّجارِ - كما زَعَمَ الكاتبُ - دُون أن نرمُقَهُ باحْترام لأنَّهُ صادِر عَنْ مِشكَاةِ النبوةِ ومُنَوِّر نُورها، والأدبُ يقتضينا صَوْنَ القُلوبِ والألسِنَةِ والأقلام عَنْ إطْلاَق القَوْلِ بِأنَّهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يُخْطِئ كَما يُخْطِئ غيْرُهُ، وما كانَ مِنْ تَنْبيهِ الله إياهُ إلى الصَّوابِ في بَعضِ أُمُورِ اجتهد فيها بَعْدَ اسْتِلْبَاثِ الوَحْي عَنْهُ وتَأخُّرِهِ، واسْتقرارِ رَأيه على وَجْهٍ يعلم الله الحِكْمَة في غَيْرِهِ - ما كانَ مِنْ هذا لا يبرر إطْلاَقَ القَوْلِ في أنَّهُ يُخْطِئُ كَغَيْرِهِ، فشَتّانَ ما بينَ المسلَكين، وأنَّ هذا الإِطْلاَقَ بَشِعٌ، وفي الإمْكَانِ أن يقال: إن الله العَلِيم الحكِيم يُوحي إليه بالحق مُنَبِّهاً إلى ما هُوَ صَوَابٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ والله أعْلَمُ وَأحْكَم، وفي هذا أداء للمرادِ في الأدب مَعَ إمَام البرايا وسيد الخلق وأفضل النبيين عليه وعليهم الصَّلاةُ والسَّلام وأكْرَمهم على رَبِّه تَبارَكَ وتَعالى. والأدب معه عليه صلوات الله وسلامُهُ أدَبٌ مَعَ الله سُبحانه وهو سلم الوصول وعُروةُ القبُولِ، مَن استَمْسَكَ بِه فَازَ ومَنْ فارقه خَسر، وَلله درُّ بعضِ العارِفين بالله إذ يقول: «ما فَازَ مَنْ فَازَ إلا بالأدب، وما سقط مَنْ سَقَطَ إلاَّ بترْكِ الأدَبِ».

وَبَعْد، فإن التجارةَ بالبِرِّ - ولو لم يرد فِيها حديثٌ - إذا كانت بِقصدِ إعاشَةِ عبادِ الله وإغاثَتِهم وتفرِيجِ كُرباتِهم، تجارةٌ رابحةٌ رائجةٌ، إنَّها عملٌ مشكورٌ،

---

(١) لا يتوهم إمكانية تصحيحه، لاسيما وقد صرح إمام جهبذ بوضعه، كالحافظ العراقي في قوله: لم أقف له على سند.

وثَوابُها عند الله مذخورٌ، لأنَّ للقُوت فَضْلهُ عَلى الحياة، ونَحْنُ نرى أَنَّ البُرَّ رُكْن الطَعام الركين وعمادُه المَتين، والإدام ثانَويُّ الدرجَةِ بالنِّسبةِ إلَيْهِ فالرَّغيفُ هُوَ المطلُوبُ الأوَّلُ للعيشِ، ولعلك تُدرك أَيُّها القارئُ سرَّ تقدِيم الله الحَبَّ على الجَنَّات مِنَ النَّخيلِ والأعْنابِ في قولِهِ الكريم: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْناها وَأَخْرَجْنا مِنْها حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلونَ ، وَجَعَلْنا فِيها جَنّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنابٍ وَفَجَّرْنا فِيها مِنَ الْعُيُونِ﴾ [يس: ٣٦/٣٣-٣٤]. وَتأمَّل فِيما هُو كالحَصْر فِي ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلونَ﴾ لأَنَّه مُعْظَمُ المقْصُودِ للأكْلِ. ويكْون الحَبُّ مُعْظَمَ ما يُؤكل لِحفظِ الحَيَاة، جاءَ الوَعِيد الشَّديدُ فِي أحاديث سيدنا رسولِ الله ﷺ على احتِكارِهِ تتهدد المحتكر بالجذام والإفلاسِ وَأَنْ يَبْرَأَ الله مِنْهُ وأَنْ يُقْعِدَهُ في معظمِ النَّارِ يَوْمَ القيامة، ولَمْ يَرِدْ في احْتِكارِ غير قُوت البَشر والبهائم مِثلُ هذا الوَعِيد، وإنْ كانَ القاضي أبو يوسف صاحب الإمام أبِي حنفيةَ - رَحِمَهُما الله تعالى - يرى أن احتِكار كل ما يشتد الحاجةُ إلَيْهِ إثم أَيْضاً كالأدويةِ مثلاً، وقولُه هذا لَهُ وَجْهٌ وَجِيه إلا أَنَّ احْتكارِ القوتِ أفظع إثماً وأشنع جرماً.

ولعلك أيها القارئ الكريم تدرك احترام الإسلام للبُرِّ خاصّةً مِنْ حُكْم شَرعيٍّ نَفيس أَذْكُرُه لكَ ولِتَزْداد إيماناً بسمو الإِسْلام وعُمْق الحِكْمَة في تَشْريعاته. إنَّ إطْعَام المساكين في كفاراتِ اليمينِ والقَتْلِ خطأً والظِّهارِ مِنْ الزوجة والإفطار في رَمَضان عَمْداً بلا عُذْر أكلتان مشبعتان غَدَاءً وعشاءً أو غَداءِينَ أَو عَشَاءين أو عَشاءً وسحوراً يكفي في هذا كله لإبْراء الذِّمَّة خُبْزُ البُرِّ فَقَطْ، أَيْ وَلَوْ بلا إدام، وإنْ كانَ الأَفْضَل، والأَفْضَلُ أنْ يَكُونَ مَصْحُوباً بِهِ، أَمَّا إذا كان الخبز من غَيْرِ البُرِّ كالشعِير وكالذرة فلابدَّ مِن الإدام معه كَيْ تَبرأ الذمةُ وتصِحَّ الكفَّارةُ، وإلا فَإنَّها ما زالتْ بَعْدُ قائمة لَمْ تَسْقُطْ. وسِرُّ هذا طَبْعاً أَنَّ البُرَّ فِيه كُلُّ ما يَحْتاجُهُ الجسَدُ مِن الغِذاءِ لِقيامِهِ، وليسَ هذا لسائِر الحبوب غير البُرِّ.

ولَئِنْ كان لزِراعة البُرّ فضلُها العظيم وثوابها الجسيم الذي يُكتب للزّارِع مَهْما أكلَ النّاسُ والطيرُ والدواب منه كَما في الحديث الصحيح(١) فإِنَّ الاتِّجار به نَقْلاً وتَوْزيعاً، فيمنْ قَرُبَ ومَنْ بَعُدَ رَأفةً بخلقِ الله ورحمةً لهم، عملٌ رفيعُ القدْرِ عالي المنزلةِ، وشأنُ المؤمنِ صلاحُ النيةِ واستقامةُ القَصْدِ «إنَّما الأعمالُ بالنياتِ وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نَوى» حديث متفق عليه.

ثانياً: إطلاقُ الكاتبِ القولَ في أنَّ النبيَّ ﷺ عملَ عندَ السَّيدةِ خديجةَ أجيراً، هذا الإطلاقُ لا يتناسب والأدبَ مع العظمةِ النبويةِ، وكانَ لِزاماً عليهِ أن يذكر الخبرَ كَما هوَ في كتبِ السيرةِ النبوية من أنها رضي الله تعالى عنها كانتْ تَسْتأجرُ الرجالَ ليتَّجروا في مالِها على أَساسِ المُضارَبَةِ التي هي نوع شَرِكَةٍ من الشركاتِ يكونُ فيها المال من جانبٍ والعملُ من جانبٍ، والرِّبح بينهما على ما يَشْترطانِ. فالمضارب إذاً أَرْقى من مجرد الأجير وأعلا، ولما بلغها رضي الله عنها عن السّيد الكريمِ صَلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آلِه ما بلغها أرسلت إليه ليكون تاجِراً في مالِها وتعطيه أفضل مما تعطي غيره، أيْ أَنَّ الأمر كان مضاربةً، والله تعالى أعلم.

ثالثاً: زعمه أن البيئة هي التي فرضت على النَّبيِّ ﷺ رِعايةَ الغنمِ: هذا الزعم غير صحيح. ذلك أنَّ الله تعالَى وتبارك أنشأ نَبيهُ الكريمَ عليه وعلى آلِهِ الصَّلاةُ والسَّلام أكمل إنشاءٍ، واختار له أكرم الأعمال، ووجهه أحسن توجيه، وقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «أَدَّبَني ربِّي فأَحْسَنَ تأْدِيبي»(٢) ومَعَاذَ الله أن يَختار لِنبيِّه ﷺ عملاً غير فاضل، وإِنَّ رِعايةَ الغنمِ عملٌ كريمٌ يُهذبُ النفسَ

---

(١) لعله أشار إلى حديث أنس في فضل الزراعة، وهو كما عند البخاري «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كان له به صدقة».

(٢) أخرجه ابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال المناوي في (فيض القدير): فيه ضعف.

مِنَ الحِدَّةِ الغَرِيزية، ويَملأُ القلبَ رَأفةً ولُطفاً وعطفاً على خلقِ الله، ويُوحي بِحُسْنِ قيادِهِ لهم مِن حيث إنَّ الغنم أضعفُ البهائمِ وفيها العَجْفاءُ والعَرْجاءُ والثّولاءُ التي لا تهتدي إلى الرّعي، كما أنّ فيها الكِبَاشَ النَّطوحة التي تتجهُ إلى ما هو أَضْعَفُ مِنها بالأذى، فإلقاءُ البال إلى مَجْموعتها ولَمُّ شعثِها وهديُها إلى المرعى والسَّيرُ فيها بِسيرِ أضعفها وكفُّ أذى بعضها عن بعضٍ وارتيادُ الكلأ وتوفيرُ الماء لها، كلُّ هذا له أثره في القلب السَّليم، وسيدُنا رسولُ الله ﷺ سَيدُ أربابِ القلوبِ السليمةِ من قبلٍ ومن بعدُ، فاختيار الله له هذا العملَ كان تَأْهيلاً له لأنْ يَرعى البشر رؤوفاً رحيماً جالباً للنفع دارِئاً لِلضّرر محققاً للمصالح عامِّها وخاصِّها، والله عليم حكيمٌ. على أنَّه عليهِ وعلى آلِه الصَّلاةُ والسَّلام لم ينفرد مِن الأنبياء عليهم الصَّلاةُ والسَّلام بِرعاية الغنم، فقد أخبرَ - وهو الصادقُ المصدوق- في حديثٍ شريفٍ رواه البُخاريُّ في صَحيحه أنه ما مِن نبيٍّ إلا رَعاها، وإليك أحاديثَ شريفةً في رعاية الأنبياء للغنم.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ما بَعَثَ الله نَبِياً إلاَّ رَعى الغَنَمَ»، فقال له أصحابُه: وأنْت يا رسولَ الله؟ قالَ: «وَأَنَا رَعَيْتُها لأَهْلِ مَكَّة بالقَرارِيطِ» أخرجه البخاري، وهي مِنْ أجزاء الدَّارهم والدَّنانير، تشترى بها الحوائج الصغيرة، ووقع الافتخارُ بين أصْحاب الإبل وأصحابِ الغَنَم عِند النبيِّ ﷺ فاستطال أصحاب الإِبل، فقالَ رسولِ الله ﷺ: «بُعِثَ مُوسى وهُو راعِي غَنم وبُعِثَ داوُدُ وهو رَاعِي غنمٍ، وبُعِثْتُ وأَنا راعِي غَنم أَهْلِي بِأجيادٍ، وهُوَ مَوْضِعٌ بأَسْفلِ مَكةِ مِنْ شِعابِها».

وقَالَ ﷺ: «الغَنَمُ بَرَكةٌ، والإِبْلُ عِزٌ لأَهْلِها» أخرجه البزار عن حذيفة رضي الله عنه. وقالَ في الغَنَم: «مِنْهَا مَعاشُنا، وصُوفُها رِياشُنا، ودِفْؤُها كِساؤُنا» وفي روايةٍ: «سَمْنُها مَعاشٌ، وصُوفُها رِياشٌ». وفي الحديث الشريف: «الفَخْرُ والخُيَلاءُ في أصحاب الإِبْلِ، والسكنية والوقار في أهلِ الغنم» أخرجه الإمام

أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه. وعن جابر رضي الله تعالى عنه قالَ: كُنا مع رسُولِ الله ﷺ نجني الكبَاثَ - وهُوَ النَّضيجُ مِن ثَمَرِ الأراك - فقالَ ﷺ: «عَلَيْكُم بالأَسْودِ مِنْ ثَمَرِ الأرَاكِ فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ، فَإِنِّي أَجْتَنيهِ إذْ كُنْتُ أَرْعَى الغَنَمَ»، قُلْنا: وكُنتَ تَرْعَى الغَنَمَ يا رَسُولَ الله؟ قال: «نَعَمْ، وما مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ وقَدْ رَعَاها» أخرجه البخاري.

هذا، والمُقررُ في العلم أنَّهُ لا يَسُوغُ الاحتجاجُ بِرعاية الأَنبياءِ عليهم الصّلاةُ والسّلامُ الغنم إنْ كان تَعْييرٌ بها من السُّفَهاء، فَمَنِ احْتَجَّ بِها عُزِّر وأَدِّبَ لأن ذلك يُوهم نقصاً عند مَن لا يعلمُ، والله تعالى جَعَلَ تِلك الرِّعايةَ كمالاً لهم عليهم الصَّلاةُ والسَلام.

وخِتاماً أرجو من الأخ الكاتب أنْ يتقبلَ هذِهِ النصيحةَ الدِّينيةَ «الدِّينُ النَّصيحةُ» و«النَّصيحةُ خَشِنَةٌ لا يَقْبَلُها إلاَّ الجسد السَّلِيمُ». وأسأَلُ الله لِي وله ولِجَماعةِ المسلمين العافِية في الدُّنيا والآخرةِ، والله سميعٌ عليمٌ.

لا جنسية في الإسلام

ابتدئ الكلام بِذكر آية من كتاب الله تعالى وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يا أَيُّها النّاسُ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَميعاً﴾ [الأعراف: ١٥٨/٧] وهي كما ترى لا تَخُصُّ جنساً دون جنسٍ، ولا أمةً دون أخرى. أَرسلَ الله تعالى سيدنا مُحمداً ﷺ بالهُدى ودين الحقِّ، فأوضح سبيل السعادةِ لِطالبها، وانْحَطَّ على الباطل بلسانه وسِنانه فانْهَزم أمام قُوة الحقَّ، فأنقذ النَّاس مِنَ الهلاك، وأخرجهم مِن الظُّلُماتِ إلى النُّورِ، وطَهَّر نفوسهم من الرذائل، وحلاّها بالفضائل، وأزال منها التَّعصُّبَ للجنسيّة وجعله للدِّينِ، وقد كان العرب فِي الجاهليَّة في شَرٍّ حالٍ من جَرَّاءِ هذا التعصب الذي كان يَضْرِبُ القبائل بَعضَها ببعضٍ، ويكون سبباً لتطاحُنها، وقد يكون ذلك بسبب العصبيةِ الممقوتة.

كان من قواعدِهم قولهم: (انْصُرْ أخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً) فَأبقاه الشرع في المظْلُوم على أصلِهِ وجَعَله في الظَّالم بالأخذِ على يديهِ ومنعه من ظلمه، فأنت ترى أنه أَمَرَ بالكَوْن مع الحقِّ في كلِّ حالٍ. وعلى هذا درج السَّلفُ، فقد كانوا قوّامين بالقسْطِ.

فَلَمَّا جاءَ الإِسلام أبطل هذه الأمور وجعل النَّاس سواسيةً لا يتفاضلون إلاَّ بالتَّقوى، فالعربيُّ والعجميُّ والأبيضُ والأسودُ كُلُّهم في نَظرِ الشرعِ سَواءٌ. وفي قصة جَبَلَةَ بْنِ الأيهم مع سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه غِنىً عن البيان. دَرج المسلمونُ على هذا رَدحاً من الزمن دخل فيه أمم كثيرةٌ في الإسلام مِنْ غير العربِ واندمجوا فيهم ونَصَروا الإسلام نصراً مؤزراً، وخَدموا الدِّين خدماتٍ جُلَّى، وظَهَر منهم العلماء الفطاحلُ والأئمة الجهابذ، فأعلوا منار الإسلام، فمنهم المُحَدِّثونَ والمُفَسِّرون والفقهاء واللُّغَويُّونَ والمُتَأدِّبونَ، وفَضْلُهم على أهل الإسلام عظيمٌ لا سبيل إلى جحوده ونكرانه.

عاشَ المسلمون بِوِفاقٍ ووئام، رائِدُهم النَّصْرُ والغَلَبَةُ على أعْدائِهم، لا تَهُزُّهُم إلا حَمِيَّةُ الدِّين، ولا يتعاطفون بغير عاطفته، فهم كالجسم الواحدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى. ولكنَّ الأعداء فتحوا ثلمةً في هيكل الإسلام، وولجوها، ونَفَثُوا سُمومهم الفتاكة، وبَثُّوا رُوح التّفرقة بين الأجناسِ التي تَدينُ بالإسلام، فَحلَّ البغض مَحلَّ الحبِّ والتَّنافُرُ مَكان التَّآلُفِ، فتفرّقوا شِيعاً يُقاتِلُ بعضهم بعضاً، فَتَمَّ للعدوِّ ما أراد، واستولى على مُعْظمهم، حتى إِنَّك لو نظرت اليوم إلى المسلمين وكيف أنَّ عدوَّهم رَكبَ أكتافَهم وسيطر عليهم لَدَمِيَ قلبك ولأخذك الأسفُ على ما آلتْ إليه حالُهم.

ما هذه النَّزَوَاتُ وما هذه النَّعَراتُ الشّيطانية التي مصدرُها الأعداءُ يستدرجون بها ضعافَ العقول لقتال إخوانهم، ولَوْ عَقَلُوا وتَأَمَّلوا دِينهم لوجدوه ينهى أشدَّ النَّهي عن ذلك. هذا رسولِ الله ﷺ يقولُ: «لا فَضْلَ لِعَربيٍّ

على أعْجِميّ إلاّ بالتَّقْوى». ووقَعَ مرّة شِجارٌ بينَ بعضِ أصحابِهِ الكرامِ، فصار المهاجرون يُنادُون: يا للمهاجرينَ، والأَنْصارُ يُنادُونَ: يا للأنصارِ، فخرج عليهم ﷺ وقالَ: «ما بالُ دَعْوى الجاهِليّةِ».

لا تستطيع أَيّةُ قوةٍ فِي الأرض أن تَغْلِبَ المسلمين إذا اتَّبعُوا تعاليم دينهم، ونبذوا الخلاف والشِّقاق. يجب علينا أن نترك هذه الدَّعاوى المنتنة ونكون إخواناً لنجني ثمار السعادة في الدّنيا والآخرة.

راعنا ما أصِيب به إِخواننا الطَّرابلسيُّون المغارِبةُ مِما يُكْلِمُ الأفئدة ويُدْمِي القلوب، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أي امْرئٍ فِي قلبه مثقالُ حبةٍ مِنْ خردَل من إيمانٍ يَسْمَعُ بتلْكَ النَّكْبَةِ ولا يَتملَّكُه الحُزْنُ والأسى على قومٍ مُسلمين نزل العدو بِساحتهم، وأجْلَبَ عليهم بِخَيْلِهِ ورَجِلِهِ، وأنزل بهم من صُنوفِ العذاب ما يَحْمَرُّ له وجه الإنسانية خَجلاً، ويشمئزّ منه كُلُّ دينٍ سَماويٍّ أو وضعيٍّ، يلوذون ولا ملاذ، ويستجيرون ولا مُجير، ويَسْتَنصِرون ولا نصير، وأَنَّى لهم ذلك وقد جاءهم العَدُّو من فَوْقِهِم ومن تحتِ أرْجُلِهِم، ولَمْ يُبْقِ لهم مَطْمَعاً فِي نصرٍ أو رجاءً في نجاةٍ. إن ما فعله الطِّلْيانُ بالمغارِبَةِ لَمِمّا يُذَكِّرُنا بمظالِمِ القرونِ الوسطى، بل هو أفظعُ، ولا تَلِدُ الحَيَّةُ إلاّ الحَيَّةَ، وإنَّ هؤلاء الوحوشِ هم أبناءُ أولئك، غيرَ أَنَّ هؤلاءِ أَرْبَوْا في الظُّلم على أسلافهم وازدادوا تَفَنُّناً في إِزْهاقِ الأمم وسحقها، وعُتُوّاً في الأرضِ وفساداً، على أنّهم يَدَّعونَ التَّمَدُّنَ والتَّرَقِّي، فَتَبّاً لَهم من جَائرين ظالمين.

هَا إِن مأساة الأندلسِ تجري مرّةً ثانيةً، وها هم الصَّلِيبيّونَ قد أعادوا الكَّرةَ على الإسلام يُريدون القضاء عليه، فهل بقيت ريبةٌ لِمرتَابٍ فِي مَقاصِدِهِم، فَقَد أَفْصَحَ الصُّبْحُ وبانَ، والشَّكُّ بَعْدَ هَذا زُورٌ وبُهْتانٌ. والله لو أُتِيح لهم لأصْلَونا حَرْباً ضَرُوساً ولَمَحَوا آثارنا من الوجودِ، ولو ساعدهم المَقْدُور لأعادُوها جَذْعَةَ

تُزِيلُ اسْمَ الإِسْلامِ مِنَ الأَرْضِ، فَإِلامَ التِّيهُ وقد بَدا لنا مِنهم ما بَدا، وما تُخْفِي صُدورُهم أكبُر.

أيُّها المُسْلِمون: لا تُزْرُوا على التَّقادير وأَنْتمُ المُسيئونَ، ولا تَتَظَلَّموا وأنْتُم الظَّالمونَ ﴿إِنَّ الله لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤/٤٠] أَنْتُم أَضَعْتُمُ الإِسْلاَمَ، وأَنْكرتُموه بَعْد إِذْ عَرَفتُموه، أَنْتُمْ تَنَصَّلتُم منهُ وتَركْتُموه، والله لو حَفِظْتُموه لَحَفِظَكم، ولَوْ لَمْ تُضَيِّعُوه لَمَا ضَيَّعكم.

يا مَعْشَرَ المُسلمينَ: هَلْ فُقِدت الحَميَّةُ الإسلاميّةُ مِنْ نُفوسِكم؟ وهَل طارَتْ النَّخوةُ الدِّينيةُ مِنْ رؤوسكم؟ الإِسلامُ يُمَزَّقُ وأَنتم سُكوتٌ لا تُبْدُونَ ولا تُعيدُونَ، والأَعْداءُ يَكِيدُونَ لَكم وأَنْتُم نائِمون، وتَرْجونَ النَّصْرَ بِغَير أَخْذٍ بِأَسْبابِه، وما كانَ الله تعالى لِيُغَيِّرَ سُنَنَهُ مِنْ أَجْلنا فَيَنْصُرنا ونحنُ على اللَّهْوِ عَاكِفونَ وفي الباطل خائِضون، وهُوَ القائِلُ ﴿إِنْ تَنْصُرُوا الله يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾ [محمد: ٤٧/٧] لَسْنَا أَكْرَمَ على الله تعالى مِنْ رَسُولِهِ ﷺ، ولَاصَحابَتِهِ الكِرَام رضي الله عنهم، فَقَدْ خَاضُوا المَعامِعَ، واسْتَبَقُوا إلى الجِهادِ، وما كانُوا مِثْلَنا أَمْواتاً، أَلْفنا الذُّلَّ والخُنوعَ، واثَّاقَلْنا إلى الأَرْضِ ورَضِينا بالحياةِ الدُّنْيا مِن الآخرةِ.

يا معشرَ المسلمينَ: طاعةً لله ورَسولِهِ ﷺ، أُنْفُضُوا غُبارَ الذّلِّ عنكم، وفُكُّوا قُيُودَهُ، وانْهَضُوا نَهْضَةَ اللَّيْثِ الهَصُورِ، واطْلُبُوا المَوْتَ، وانْفِرُوا إلى قِرَاعِ عَدُوِّ الله وعَدُوِّكم، فَإِنَّما هِيَ إِحْدى الحُسْنَيَيْنِ، واقتِدُوا بِسَيِّدِ الخَلْقِ ﷺ فَقَدْ كَانَ رِزْقُهُ تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِهِ، قَادَ الجُيُوشَ، وكَتَّبَ الكتائِبَ، وغَزا باسْم الله، ونَصَرَ الله، وأَيَّدَ دِينَهُ، ومَحَقَ الكُفْرَ والكَافِرينَ، فَهَيّا اتَّبِعُوهُ واحْذُوا حَذْوَهُ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣/٣١].

واأَسَفاهُ، مَا مِنْ مُجيبٍ، فَيَا ضَيْعَةَ الإِسْلاَمِ، وتَعْساً لأُمَّةٍ لا تَعْلَمُ رُشْدَهَا مِنْ

غيّها، وسَيَبْلُغُ الكِتابُ أَجلَهُ، وسَنَنْدَمُ وَلاَتَ ساعَةَ مَنْدَمٍ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

التَّغَافُلُ

لا أُرِيدُ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ مَسْلُوبَ الحِسِّ والمُرُوءَةِ، لا تُحَرِّكُهُ نَخْوَةٌ، ولا يَهُزُّهُ وِجْدَانٌ، مَغْلُوباً عَلى أمْرِهِ، لا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ بِيَدٍ وَلا بِلِسَانٍ، كلاّ، بَلْ مَنْ كانَ كَذلِكَ فَهُوَ خَلِيقٌ أَلاَّ يَكُونَ مِنَ الرِّجَالِ الكَامِلِينَ.

التَّغَافُلُ أَنْ لا يَتَّبِعَ العاقِلُ مَجْرَى الأمور تَتَبُّعاً دَقِيقاً، بِحَيْثُ لا تَفُوتُهُ مِنْها شَارِدَةٌ وَلا وَارِدَةٌ، وأَنْ يُغضِيَ الطَّرْفَ على القَذَى قانِعاً مِن النَّاسِ بِمَنْحِهِم لَهُ وُدَّهُم وكَفِّهِمْ أَذَاهُمْ عَنْهُ، وأَنْ لا يَتَكَلَّفَ التَّطَلُّعَ إلى ضَمَائِرِهِم وكَشْفِ خَبَايَاهُمْ، ومَنْ رَامَ ذَلِكَ رُمِيَ بالْمَقْتِ والكَمَدِ، وعَاشَ دَهْرَهُ فَرِيداً، ولله دَرُّ القائِلِ:

وَعَـيْنُكَ إنْ أَبْـدَتْ إِلَيْكَ مَـعَـايِـبـاً ... فَصُنْـهـا وَقُلْ يا عَيْنُ لِلنّاسِ أعْيُنُ

الدُّنْيا مَملوءةٌ بالشُّرورِ، فَمِنَ المَهْدِ إلى اللَّحْدِ تُمُرُّ على الإِنسانِ سَيِّئاتٌ مَحْضَةٌ وحَسَناتٌ شِيبَتْ بالسُّوءِ، وإِنْ كانَ فِي بُكاءِ الطِّفْلِ حِينَ بُرُوزِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ لَدَلِيلاً واضِحاً على أَنَّها مُرَّةُ العَيْشِ، مَشُوبٌ سُرُورُها بالكَدَرِ، وفَرَحُها بالحُزْنِ، وبالجُمْلَةِ فَهِيَ دارُ تَعبٍ وعَناءٍ لا دارُ راحَةٍ وهَنَاءٍ. وإذا كانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ وَجَبَ على مَنْ أرادَ قَطْعَ مَراحِلِها بِسَلامٍ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ صَبْرِهِ دِرْعاً ومِنْ حِلْمِهِ سِرْبَالاً، وأَنْ يَكُونَ كَمَا قالَ الشَّاعِرُ:

وكُـنْـتُ إذا أَصَـابَـتْنِي سِـهَـامٌ ... تَـكَـسَّرَتِ النِّـصَـالُ عـلى النِّـصَـالِ

وإِذَا عَوَّدَ نَفْسَه عَلى السُّكُونِ، وَراضَها على تَحَمُّلِ الصَّدَمَاتِ يَسْلُسُ لَهُ قِيادُها، ويَهُونُ عليه قَطْعُ الصِّعابِ بِمَا أَحَبَّ مِنْ صَبْرٍ وسُكُونٍ، ويَعِيشُ في الدُّنيا قَرِير العَيْنِ هادِئَ البَالِ، ويَرْحَمُ الله أبا الطَّيِّبِ حَيْثُ يَقولُ:

مَـنْ يَهُـنْ يَـسْـهُـلِ الهَـوَانُ عَـلَيْهِ   مَـا لِجُـرْحٍ بِـمَـيِّـتٍ إِيـلامُ

عَلى أَنَّ الْمُؤمِنَ بالله تَعالى، وَأَنَّ الأُمورَ بِقضاءٍ مقَدَّرٍ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَهْنأُ عَيْشاً وأَنْعَمُ بالاً مِنْ غَيْرِهِ، فهو في كلِّ شُؤونهِ مُتَوَكِّلٌ عَلى رَبِّه، يَرْجُو منه الخَيْرَ، ويَعُوذُ بِهِ مِنْ الشَّرِّ، ولَيْتَ شِعْرِي أَيُّ شَيءٍ أَنْفَعُ لِلْقَلْبِ مِنْ هذا!!

قَدْ يُصَابُ المرءُ بعظيم حتَّى تَضيقَ عَلَيْهِ الأَرضُ بما رَحُبَتْ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَذْكُرُ أَنَّ ما أَصَابَهُ كانَ قَضاءً مُبْرَماً وقَدراً مُحَتَّماً، فَتَسْكُنُ ثائِرَةُ نَفْسِهِ، ويَذْهَبُ حُزْنُهُ إلاَّ قَلِيلاً مِمَّا هُوَ فِطْرِيٌّ فِي النَّفْسِ، وبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ.

ضَرَرُ الخَمْرِ

لَو اسْتَعْرَضْنا المُنْكَراتِ بِوَجْهٍ عَامٍّ، وبَحَثنا عَمَّا لِكُلٍّ مِنْها مِنَ الآثارِ السَّيِّئَةِ والإِضْرارِ بالهَيْئَةِ الاجْتِماعِيَّةِ، وَنَقَّبْنا عَنْ ذَلكَ تَنْقِيباً دَقِيقاً لَكانَتِ الخَمْرُ أَوْفاها نصيباً وأوفرها حَظاً، ونَتَحَقَّقُ حِينَئِذٍ أَنَّ تَسْمِيَتَها فِي الشَّرْعِ الشَّرِيفِ (بِأُمِّ الخَبائِثِ) تَسْمِيَةٌ حَقِيقيَّةٌ لَيْس فِيها أَدْنَى مُغَالاَةٍ، ولا يَشُوبُها شَيءٌ مِنَ المُبَالَغَةِ.

وضَرَرُ الخَمْرَةِ إنْ في الحَالِ الخَاصَّةِ أَو العَامَّةِ، لا يَحْتَاجُ إِثْبَاتُهُ إلى كَبِيرِ حُجَّةٍ ولا غَوْصٍ في الدَّلِيل، إذ الأَمْرُ ظاهِرٌ جَلِيٌّ لا يُنْكِرُهُ إلا مَنْ حرِمَ النُّورَ القَلبِيَّ الَّذي به يُدْرَكُ الحَقُّ مِنَ البَاطِلِ والغَثُّ من السَّمِين، فَهُو يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْوَاء غَيْرَ مُقِيم لِلْعَقْلِ والنَّقَلْ وَزْناً، على أَنَّا مُبَرْهِنُونَ بِعَوْنِ الله تعالى بِحَسْبِ الطَّاقَةِ على ما لِلْخَمْرِ مِنْ الآثَارِ السَّيئةِ في الدُّنيا قَدِيماً وحدِيثاً، فَنقُولُ: يَتَنَوَّعُ ضَرَرُها إلى أَرْبعَة أَنْواعٍ: فِي الدِّين، والعَقْلِ، والمَالِ، والجِسْمِ.

أَمَّا الضَّرَرُ الدِّينِيُّ فَحَسْبُك آيُ القُرآنِ العظيم وأحاديثُ سيدنا رسولِ الله ﷺ، فَفِيهما شِفاءٌ لِصَدْرِ المُؤمنِ ومُقْنِعٌ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذلِكَ إلاَّ تَسْمِيتُها بِأُمِّ الخَبَائِثِ لَكَفى، إذْ مَنْ حَقَّق فِي المَنَاكِيرِ والفَوَاحِشِ لَوَجَدَ جُلَّها صادراً عَنْهَا وبِسَبِبها، ورَدعاً للنَّاسِ عَنْها وَجَبَ الحَدُّ على شَارِبِها، والمُسْلِمونَ سَلَفاً وخَلَفاً

مُجْمِعُونَ على اسْتِنْكارِها وعَدِّها من الكَبائِر، وكَوْنُ قِسْم عظيم مِنَ المَعَاصي مُتَفَرِّعاً عَنْها غَيْرُ خَفِيٍّ، فَإِنَّ شارِبَها مَتى انْتَشَى أَخَذَتْ نَفْسُهُ البَهِيمِيَّةُ تَتَطَلَّبُ مِنْهُ ما هُوَ مِنْ مُقْتَضَياتِها، فيَسُبُّ ويَشْتُمُ وقَدْ يَقْتُلُ النَّفْس ويَزْني ويَأْتِي بِأَنْوَاعِ الفَوَاحِشِ غَيْرَ مُتَحَرِّجٍ ولا مُتَّقٍ إِثْماً.

وأَمَّا ضَرَرُها فِي العَقْلِ فَإِنَّها إِنَّما سُمِّيَتْ خَمْراً لِمُخامَرَتِها العَقْلَ وسَتْرِها إِيَّاهُ، فَهُوَ بِها مُعَطَّلٌ عَمَّا خُلِقَ لأَجْلِهِ، وشَارِبُها رَضِي بِأَنْ يَلْتَحِق بالحَيَواناتِ الخَالِيَةِ مِنَ العَقْلِ، بَلْ قَدْ يَنْحطُّ عَنْها كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ مِنْ شَارِبِيها، فَهَو يَسْعى لِلْجُنونِ، ويَبْذُلُ فِي سَبيلِهِ مالَهُ، تَاللهِ إِنَّ هَذا لَهُوَ الحُمْقُ العَظِيمُ مَنْ يَسْعى في إِزَالةِ عقْلِهِ الذي هُوَ أَكْبَرُ نِعْمَةٍ مِنَ اللهِ تعالى عَلى عِبادِهِ بَعْدَ الإيمانِ بهِ. لَوْ لَمْ يَرِدِ الشَّرْعُ بِتَحْرِيمِها فَالعَقْلُ كافٍ لِلحُكْم عليها بالشَّنَاعَةِ، بَلْ ولِلْقَطْعِ بِخُبْثِها. يُذْكر أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الجاهِلِيَّةِ شَرِبَها فَلَمَّا سَكِرَ صارَ يُبْدِي حَرَكَاتٍ وإِشاراتٍ مُخِلَّةٍ بِمَقَامِهِ ومُزْرِيَةٍ بِهِ، فَلَمَّا صَحا أُخْبِرَ بِما كانَ مِنْهُ فَحَرَّمَهَا على نَفْسِهِ مَعَ ما كانَ عَلَيْهِ العَرَبُ مِنْ مَحَبَّةِ الخَمْرِ والعُكُوفِ عَلَيْها، وتِلْكَ أَشْعَارُهم مَلِيئَةٌ بِذِكْرِها والتَّرَنُّمِ بِها.

هَذا وإِنْ إِدْمانَها يُؤَثِّرُ على العَقْلِ ويُحْدِثُ فِيه خَلَلاً يُوَرِّثُهُ لأَعْقابِهِ، كَما يُقالُ: «الآباءُ يأْكُلونَ الحِصْرِمَ والأبناءُ يَضْرَسُونَ». فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ شارِبَ الخَمْرِ لَمْ يَقْتَصِرْ ضَرَرَهُ على نفسِه بلْ تَعَدّى إلى غيره، فهو جُرثومةُ شَرٍّ عَظيمةٌ. وثَمَّ أَمْرٌ مهِمٌّ يَجِبُ التَّنَبُّهُ لَهُ، وَهُوَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ للإِنْسانِ أَسْرارٌ مَكْنُونَةٌ فِي صَدْرِهِ لا يَبُوحُ بِها حالَ صَحْوِهِ إِذْ عَقْلُهُ يَحْجُزُه عَنْ إِفْشائِها، فإذا فَقَدَ صَوابَه بالسُّكْرِ رُبَّما يَبوحُ بِها، ورُبَّما كَانَتْ عظيمةً تُؤَدِي إلى أُمورٍ شَرُّها مُسْتَطِيرٌ، فَهُناكَ بَعْدَ الصَّحْوِ يَعَضُّ أَنامِلَ النَّدمِ ولاتَ ساعةَ مَنْدَمِ.

وأَمَّا ضَرَرُها في المالِ فَظاهِرٌ، فإِنّ السِّكيرَ مَتى تَمَلَّكَتْهُ النَّشْوَةُ عَدا طَوْرَ العَقْلِ، وزادَ فِي التبذير، وأَنْفَقَ مِنْ مالِهِ فِي سُبُلِ الضَّلالِ ما لَو كانَ صاحِياً

لكانَ به ضَنيناً، ولا يَتَّفقُ السُّكْرُ والإِمْسَاكُ، فَإِنَّ شارِبَها له أَخْدانٌ وأَصْحابٌ ونَدامَى تُعْقَدُ لهم مَجالسُ الشَّرابِ ومَوَائدُ فِيها المَأْكُولُ والمَنْظُورُ والمَشمومُ، وقِوامُها المالُ، وإِنَّ المجلْسَ الواحدَ لَيُكَلِّفُ صاحبه باهِظَ المصارِيفِ، فَكَيْفَ بالمجالسِ الكثيرةِ التي رُبَّما تَأْتِي على مالِهِ، بَلْ كَثيراً ما كانَ هذا وسَمِعَ به الناسُ، وقدْ بَلَغَ الحالُ بِكثيرٍ مِنْ أربابِ الثَّراءِ الذين أَنْفقوا أموالَهم على الكأْسِ والنَّديمِ أَنْ أَعْوَزَهُم القُوتُ فلم يَجِدُوه.

وأَمَّا الضَّرَرُ في الجِسم فهاتِ رَجلاً مُعافىً مِنْ شُرْبِ الخَمْرِ وآخَر واقِعاً فيه، ثُمَّ افْحَصهما فَحْصاً طبّياً، وانْظر أَيُّهما أَصَحُّ وأَسْلَمُ، لا رَيبُ أَنَّ الأَوّل أَقْوى وأَمْتَنُ، تَعْلُوه الصَّباحةُ والإِشْراقُ، والثّاني ضعيفُ الجِسم مَنْهوكُ القُوى شاحبُ اللّونِ مُظْلمُ الوجْهِ، وقدْ ثَبَتَ طِبّاً أَنَّ الخَمْرَةَ تُؤثرُ على الجِهازِ الهَضْمِّي فتُضْعِفُه، إِذْ أَنَّها عَسِرَةُ الهضم بِلا نَفْعٍ ولا جَدْوى.

حَسْبُكَ ما سَرَدْتُ لَكَ في أَمْرِ الخَمْرِ، وحَرِيٌّ بالعاقِلِ بَعْدَ هذا أن يَفرَّ مِنها فرارَهُ مِنَ الأَسَدِ، وأَنْ لا يكونَ قاتلاً نَفْسَه بيدِه، ورُبَّما يَعْتَذِرُ بَعْضُ النَّاسِ بِأَنَّهُمْ اعْتَادُوا عَلَيْها وَأَنَّهُم لا يَسْتَطِيعُونَ تَرْكَها ونَحْو ذلكَ مِنَ الأَعْذارِ الوَاهِيةِ المَرْدُودَةِ؛ إِنَّ الأَمْرَ لا يَحْتاجُ إِلاَّ إِلى عَزْمَةٍ صادِقةٍ فَإِذا هُم مِنْ شَرِّهَا خالِصُونَ.

عَارٌ على المُسْلِمين أَنَّ بَعْضَ الأُمَمِ الغَرْبِيَّةِ حَظَرتْها، وهُمْ عَلَيْها عاكِفونَ، معَ أَنَّ شَرْعَهُمْ المُطَهَّرَ قَضَى بِتَحْرِيمِها، فَأَيْنَ الدِّيْنُ، وأَيْنَ العَقْلُ، بَلْ أَيْنَ الإِيمانُ الراسِخُ الذي يَرْبَأُ صاحِبُهُ بِنَفْسِهِ أَنْ يَزُجَّ بها في المَهالِكِ. رَضي الله تَعالى عَنِ الصَّحابَةِ الكِرام لَمّا نَزَلَ القُرآنُ الكريمُ بتَحْريمها أُرِيقَتْ دِنانُ الخَمْرِ حَتَّى جَرَتْ في أَزِقَّةِ المدِينةِ الشَّرِيفةِ طاعَةً لِرَبِّهِم سُبْحانَهُ وامْتِثالاً لأَوامِرِهِ قَوْلاً وفِعْلاً، فَلا غَرْوَ إِذا أَكْرَمَهُم وأَحْسَنَ مَثْواهم وجَعَلَهم لَدَيْهِ مِنَ الأَخْيار. فَهَلُمَّ إِلى الاقْتِداءِ بِهِم وانْتِهاجِ سَبِيلِهم، فَهُوَ السَّبيلُ القَويمُ.

ضَرَرُ الغِيبَةِ

لو قُلنا إِنَّه لا يَخلو مجلسٌ يضمُّ اثْنينِ فَأَكثر عَن الغِيبةِ لا نكونُ مُغالِينَ في قَولِنا هذا، لأَنَّ المجالسَ السالمةَ منها نادرةٌ جِداً، والنّادرُ جِداً لا حُكْمَ لَه.

يا تُرى ما يستفيدُ المُغْتابُ من غِيبتِه؟ وهل ينتفعُ بشيءٍ فِيما لو وقعَ في النّاسِ وذكرَ مَثالِبَهم وأكلِ لُحومهم وشربَ مِنْ دِمائِهم؟ وإذا كانَ عَملُه هذا لا يعودُ عليه بالنَّفعِ فَفِيم وُلُوغُهُ إذاً فِيها؟ الجوابُ: لو أمْعَنّا النَّظرَ وأَبصرنا الحقائقِ بنورِ البصيرةِ لا نجدُ لعملِهِ هذا مُبَرِّراً، بْل لا يَنْطبقُ على العَقْلِ والمنطقِ، كما لا ينطبقُ على الشّرع الحَنيفِ.

الأمورُ التي تُوقعُ في الغيبة مَنْشؤُها مرضُ القلبِ وعدمُ سلامةِ الصّدرِ، إذْ لو كانَ الصّدرُ سليماً لصَفحَ صاحبُه وعَفا عَن السيئاتِ، ولم يَعْتَلجْ حِقْدُه في صَدرِه فَيَقَعُ فِيمنْ أساءَ إليه.

الغِيبةُ في الحقيقةِ سلاحُ الضّعيفِ، يَتَشَفّى به مِن عَدوِّه، وليس بِضائِره شيئاً، وإنّما يثأَرُ لِنفسِهِ ليُرْضِيَها بما يَظنُّ أَنَّ فيه شِفاءَها، فهو في هذا تابعٌ لِشهوةِ نفسه غيرُ مُصْغٍ لصوتِ العقلِ والضّميرِ اللّذَيْنِ يُنادِيانه في سِرِّه بالإقلاعَ عَن عملِه.

عَمِيَ المُغْتابُ عَن عُيوبِ نَفسِهِ، واشْتَغَلَ بعيوبِ غيرِهِ، فهو يرى لِنْفسِهِ البَراءةَ، ولسانُ حالِهِ شاهدٌ بِذلكَ وَإِنْ لم يَقُلْ شيئاً. ولكنّ طَعْنَه بِغيرِه من أَجْلِ عَيْبٍ رآه فيه دليلٌ على أنَّه بَرِيءٌ منه مُتصفٌ بِضِدِّه من الحُسْنِ، وفي هذا مِنْ قُصُورِ النظرِ وسُخفِ العقلِ مالا يَخْفى على ذِي بصيرةٍ.

فيجبُ على العاقل التّرفعُ عن اغْتيابِ النَّاسِ، وأَنْ يكونَ نَظرُهُ قاصراً على نفسِه فَيُزَكِّيها، وما عليه ضَرَرٌ إذْ لم يَذْكُرِ النَّاس بِمَساوِئهم، بلْ يَدَعُهم إلى خالِقِهم، فهو تعالى وَلِيُّ أُمورِهم.

ضَررُ البِطَالَةِ

خُلق الإنسانُ فَعَّالاً بِطَبْعِهِ وغَرِيزته ولذائذه، عَمَرَ الأَرْضَ واسْتَخدم المنافع لِمَصلَحتِهِ، وعاش عيشاً ممتازاً عن عيش غيره مِن الحيوانِ الَّذي وإن كانَ أيضاً فَعَّالاً، ولكنَّ فِعْله قاصرٌ على تحصيل قُوتِهِ وحَفرِ وَكْرٍ لَهُ يُكِنُّه مِنَ الحَرِّ والقَرِّ، وهُو مكْفِيٌّ أمر الكسوة بما عليه من الشَّعَرِ والوبر، فَهُو إذاً في غِنَىً عَنْ أَنْ يَحِيك لِنَفْسِهِ ما يَلبَسُهُ، أَضِفْ إلى هذا أن في الإِنْسانِ عَقْلَهُ الذي يَفتحُ به المغلقاتُ ويذلِّلُ الصعوباتِ، فهُوَ فعَّالٌ يَهْدِيهِ عَقْلُهُ إلى مَواطن الاسْتِفادةِ من الموجودات.

ومِنْ المُشَاهَدِ مِنْ حال الإنسان أَنَّ الحوائِج التي تَلْزَمُهُ لا يقدِر الفرد على اسْتحصالها، وإنَّما هي خصائصُ يختص الله تعالى بها من شاءَ مِن عباده، فلذا توزعت الأمورُ وتعددتِ الصَّنائعُ ولزم كلٌّ سبيلاً يسير فيه، تعود منافعه عليه وعلى باقي الأفراد، وهكذا تكافأت الأحوال، وحسُنَ العيش، ومشى البشر في طريقِ الحضارةِ شوطاً بعيداً. من هنا نَفْهَمُ بأنَّ البَطَّالَ مُعَطِّلٌ مَواهِبه الطبيعيةُ راضٍ بالخمولِ، قد استطاب الكسل وأنِسَ بِهِ، فهو لا يفتأُ متسانِداً متهاوناً كَلاًّ على الناسِ، وحَرِيٌّ بنا أنْ نُسَمِّيَه عضواً أشلَّ في جسم المجتمع الإنسانيّ.

لو عَقَلَ البَطَّالُ حقيقة أمره لوجد أَنَّ الحيوانَ الأعجم يَفوقُهُ من هذه الجهة إذْ نرى الحيواناتِ غاديةً رائحةً في طلبِ رزقها، فالطَّيرُ في الرِّياضِ، والوَحْشُ في الجبالِ، والسّمكُ في الأنهارِ، والحيتانُ في البحار، كُلٌّ يَسْعى لنفسِهِ، ويطلب لها ما قدِّر لها أن تناله، والبطال قابع في كَسْرِ بَيْتِهِ يُطْعَمُ، ولا يُطْعِمُ، ويرجو نوالَ النَّاسِ وقد حرمهم نواله، فِبئساً لهذا العيش وتَعْساً لهذه الحياة:

ذَلَّ مَنْ يَغْبطُ الذَّليل بعيش رُبَّ عيشٍ أخَفُّ منه الحِمامُ

هذا إذا كان فَقِيراً، وأمَّا إذا كان غَنياً فَيْضطرُ لِقتل الوقتِ الثّمينِ في القَصْفِ واللَّهْوِ والمعاشرةِ والمخادنة، وفي هذا الفسادُ الكبير كما قالَ القائل:

إنَّ الشَّبابَ والفَراغَ والجِدَةْ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أيُّ مَفْسَدَةْ

الوقت ثمين ويقال إنَّ الوقت كالسَّيف إن لم تقطعه قطعك، فوا أسفاً على ساعاتٍ تَمُرُّ بالعبدِ لا يَعْمَلُ فيها لدينه ولا لِدُنْياهُ، لا ريب أنها تعقب حسرةً وندامة لمن فيه إِحْساسٌ وشعورٌ.

يرحم الله تعالى الإمام الشافعي حيث يقولُ: «وانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ العَيْشِ بالنَّصَبِ». وهو شيء محسوسٌ، وما أحسن الكدح في سبيل إعفافِ النفسِ عن التّطلع والتَّشوّفِ لِما في أيدي النّاسِ، فالعامِلُ كالسَّبُع يَفْترسُ ويُطْعِمُ غيره مما عِندهُ، والبَطَّالُ كالكلبِ ينتظر حتى يُرْمى إليه ببقايا الطّعامِ ونفايات الموائدِ، ويَكفي هذا وعظاً للعاقلِ الأريب.

الإسلام يبني الإنسان والحضارة

يَرى العَلامة ابنُ خلدونٍ أن البلادَ التي يَدْخُلُ إليها العربُ يُسْرِعُ إليها الخراب وتتقوّضُ دَعائمُ عُمرانها وتفقِد حضارتها، واحْتَجَّ على إثباتِ دعواه بأنهم قوم عَرِيقون في البداوةِ، نافِرون عمّا يكونُ سبباً للتَّمدْين مِن الانْصِياع للحكامِ، وعَدَم ائتلافِهم مع بعضهم، وتَنازُعِهم الرِّياسَة، وقلَّة المكثِ، واهتمامِهم بجمع المال نَهْباً أو مَغْرَماً، وإعراضهم عن مصالحهم، وغيرِ ذلك مما يكون مَدْعاة للخرابِ والدّمار، واستشهدَ بحالِ البلدانِ التي صارت إليهم، كيفَ فَقَدَتْ رُقِيّها بعدَ أن كانت أكثر عمراناً وأرقى حضارةً.

لسنا مِمن يوافق ابن خلدون في قولِه هذا، وأنَّى يكونُ ما يقوله حقاً والتاريخُ شاهدٌ بِعَكْسِه قاضٍ بتفْنِيدِه، وأنَّ العربَ هم خيرُ أُمم الأرضِ أجمعينَ، وأنّهم ما حَلُّوا ببلادٍ إلا عاشت أرغَدَ عِيشَةٍ وادعةٍ في ظلِّ الأمن والسَّلامِ.

قَدْ يَكون لقولِه وجْهٌ منَ الحَقِّ لو بَقوا على بَداوتِهم وخُشونتِهم، ولكنْ القومَ تبدلتْ حالهم بعد بعثة النبيِّ ﷺ فخرجوا من الظّلمات إلى النّورِ، وصارُوا أَمْثَلَ

النَّاس يصحبهم النَّصرُ، ويرافقهم الظَّفرُ، فَعَمرُوا الأرضَ، وشادوا من المآثِر ما بعضه باقٍ حتى اليوم شاهدٌ بما كان لهم من المجدِ والعظمةِ. مِنْ أيْنَ لِبَغدادَ وجودٌ وظهورٌ لولا العربُ؟ ومثلُها دِمَشقُ والقاهرة وقرطبة وغرناطة وغيرُها من القواعد التي مِنها طغى سيل الحضارةِ على الأرض.

كانت قرطبة وبغداد وإن شِئت قُلْ: كانَ المشرِقُ والمغربُ بما فِيهما مِنْ رُقيٍّ وعُمرانٍ وعلومٍ ومعارِف وهناءٍ وسعادةٍ كانا مظهراً من مظاهر العرب ونبراساً دَالاً على ما لهُم مِن فضل مَكِينٍ. لو نَظرنا إلى ما بقي من آثارهم وهي بالطبع أقل مِما اندثَرَ مِنها لِشهِدنا لهُم بالتَّفوق والنُّبوغ والعظمة والرِّفعةِ، ومتى كان الأوْرُبيون راقِين لولا مَعارفُ العرب وما اقتبسُوه مِن أنوارِهم، وهَلْ مَدَنيةُ أوربة غير مدينةٍ للعرب واضِعِي أُسُسِها في الحقيقة؟! وسل التاريخ ينبئك عن ملكٍ وسُلطانٍ وعزٍّ باذخٍ ومجدٍ شامخٍ وأمةٍ رَقَتْ أَوْجَ العُلا ورَتَعَتْ في ظِلِّ الهناء طويلاً. ولكن الخَلَفَ لَم يَدْرُجوا على ما درج عليه سلَفُهم فضاعوا، وصحَّ عليهم قول القائلِ:

وكان ما كانَ مِنْ مُلْكٍ ومِنْ مَلِكٍ — كما حَكى عن خَيالِ الطيفِ وَسْنَانُ

الوقف الذري

درج بعض النّاسِ على أن يَحبِسوا على أبنائهم أوقافاً تكونُ لهم عُدَّة وذُخراً في مقتبلِ الأيام، والدّاعي لهم إلى هذا العملِ زيادةُ الشَّفقةِ ووفورُ الرَّحمة والخوفُ عليهم من الضَّياع وأنْ تنالَ منهم النائباتُ منالاً، ويُسمّى هذا الوقفُ (وقفاً ذرّياً). هذا الأمرُ حسنٌ في حدِّ ذاته لو كانتِ الأيدي التي تَلِي تدبير أموره طاهرةً زكيةً تتوخى الصلاح وتُجانبُ الفسادَ، ولكن الأمر قد يقع على خلافِ ذلك؛ إذ يكونُ الأُولُ مِن المُتوَلّين صالحين. وخَلَفُهم طالحين متكالبين على الدنيا وعلى نيلها ولو كان في ذلك الفساد الكبير، فَيُسِيمون المُسْتَحِقِّين من الوَقْف خَسْفاً،

ويُرهِقونهم ذُلاً ولا يُعْطونهم من حقوقهم إلاَّ النَّزرَ اليسير، وتطولُ أيديهم إلى الباقي فيلتهمونه بسبب غير مشروع، وإذا مات المتولِّي قام من هو شَرٌّ منه وأظلمُ، فَيَنِيفُ على سابقه، وهكذاً دواليك تنتقلُ الحالة من سَيِّءٍ إلى أسوأ، ومنشأُ ذلك عدمُ الضبط في الأمور وتَوْسيدُها إلى غير أهلها.

صَلُحَتْ نِيَّةُ الواقفين، ولكن لم يَصْلُح عملُ الوارِثين، ولو قلنا إنَّ النتيجة من هذه الأوقافِ الذرّيةِ عاداتٌ سيئةٌ لا نكونُ مُخطئينَ، إذْ إنه عدا عَمّا يقع بين أفرادِ الأسَرِ التي ابْتُليتْ بهذا الأمرِ من فَسادِ ذات البَيْن ومِن الخُصوماتِ التي تُؤَدّي إلى عَداواتٍ عميقةٍ تُعْقبُ أموراً عظيمةً. ومُطاحناتٍ شديدةً يَنْعَمُ بها بَعضٌ ويَشْقى آخرون، عدا عن هذا كُلِّه فإن من تعلَّقَ أملُه بما وُقِفَ عليه يَنْشَأُ مِكْسَالاً بَطَّالاً لا يُفكِّرُ في أن يكون عامِلاً في الحياةِ، بلْ يَقْنَعُ بما يَدُرَّه له الوقف وراضياً بالراحة. وإن كان ذا نفسٍ خبيثةٍ تُنَازِعُه إلى الفجورِ وارتكاب ا لمنكرات فإنّه يكونُ جُرثومةَ شَرٍّ لا يتقي مأْثَماً ولا يُجانِبُ مُنْكراً. ولو كان من مَنْشأٍ خالي الذِّهْنِ من هذا الأمرِ يدْخُل في غمار الناس، ويكدح كما يكدحون، فينال عيشه بفضلِ الله تعالى عامِلاً مُفيداً للناسِ، ويجدُ في عمله مُلْهِياً له عن قَتْلِ الوقت في إتيان المناكير، فعلى مَنْ يُريدُ أن يقفَ وَقْفاً ذرياً أنْ يُفَكِّرَ في الأمْرَ، ويُبْعِد النظر، ويضع شروطاً تضمن الراحة والهناء لئلا يكون عملهُ هذا مثار الفتن ومباءةَ الشُّرور.

ذكرى وشَوْقٌ

أخي الكريمَ: أُهْديكَ تحيةً طيبةً هي عُنوانُ ما يُكِنُّه صدري مِن المحبّةِ والشّوقِ إليكَ، طالَ غيابُك عنا، ونحنُ نَرْقُبُ قدومك، ونَعُدُّ الأيّام والليالي، فمتى يكون اللّقاءُ ويَنْقضي الهَمُّ والعناء، بَرَّح بِي الشَّوقُ إليك فَاقْدُمْ إلينا على العُسْرِ واليُسْرِ والصَعْبِ والذَّلُول، واجْلُ عنا الأحزان والأتراح بقدومِك ومَتِّعْنا بِقربك بَعْد بُعْدِكَ.

كُنْتَ لِيَ الرفيق الأنيس الذي عَرفَتْهُ روحي ووجَدَتْ فيه ضالَّتَها التي فَتَّشَتْ عليها زمناً طويلاً، فكنت بَيتَ سرِّي وناصحي الأمينَ وثقتي في كُلِّ أموري ومُشاطِري هُمومِي وأحزاني، فَفَقَدْتُ بِفَقْدِكَ كلَّ هذا، ورُميتُ بقوم حُمْق، أنا معهم في عناء مُستمر. وأخيراً بَرِحْتَ ولم أَجِدْ فيهم مِثْلَكَ، فَأنا أُخالِطُهم غِراراً، أو أعيشُ فيهم مُنفرداً كَمُجْتمع، وغائِباً كحاضر، دائمَ الاحْتِراسِ منهم، أُقَلِّبُ النّظر فيهم - وهُم كُثُرٌ - فلا أجِدمن يَصْلُحُ للمُؤاخاةِ، فَأَنا كما قال القائل:

إنِّي لأفْـتَـح عَـيْني حـينَ أَفْـتَـحُـهـا عـلى كـثـيرٍ، ولـكـنْ لا أَرَى أحـداً

ليسَ هذا موضوع كتابي إليك، ولكنَّه نَفْثَةُ مَصْدُورٍ جَرَّتْني إليها المناسبةُ، ولولا حُبُّك وصدقُك لما عُجْتُ على شيءٍ مما ذكرتُ، غَيْرَ أَنِّي أحْببتُ أن أبثَّكَ ذاتَ نَفسي عسى أنْ يَخِفَّ عَنّي الأَلَمُ الذي أَلَمَّ بي، وإذا لم أشْكُ إليكَ فَلِمَنْ أشْكو؟!

أمّا كُتُبُكَ فهي محفوظةٌ عندي أَسْتَعْرِضُها كُل مدةٍ فأجِدُ بَرْدَ الرّاحةِ في صدري وأذْكُرُ أنّ هذِهِ الخطوطَ خَطَّتْها أناملُكَ، وأنَّ هذه المعاني جادَ بها ذِهْنُكَ، وأرى نور الإخلاص والمحبة الصادقةِ مُنْبعثاً مِنْ كلماتِكَ، فَلا تَسَلْ حِينئِذٍ عن سروري وطربي.

ما ألذَّ ساعةَ وُصول كتابكَ إليَّ، هي ساعةُ السُرورِ والحبُورِ، أَتَلَقّاه وأفُضُّ غلافه وأُمِرُّ نظري عليه أقْرؤه فَألتَهِمُه التِهاماً، وَليتَكَ تَزِيدُ في عِدادِ سُطوره فَتَعْظُمُ لَذَّتي ويَزْدادُ أُنْسِي.

إنِّي لَيَأْخُذُني العَجَبُ مِنْ صَبْرِك على طولِ النّوى وعهدي بكَ المُحِبُّ لوطنك المُتَغالِي في ذلكَ، طالت الغَيْبَةُ وإنَّ في بعضها لَكِفايةً، وأنْتَ تعلمُ أن مَدينتنا فيها الحُسْنُ البديعُ، ذهب حَرُّ الصّيف، ونحنُ اليومَ في الخريف، فَرقَّ الهواءُ، وعَذُبَ الماءُ، وصَفا وجهُ السماءِ، وصَدحَتِ الأطيارُ، وثارت مُقطَّعاتُ

السُّحُبِ في الفضاءِ مُنْذِرَةً بقدومِ الشّتاء، فيالها مِنْ مَشاهِدَ تَحْلُو لِلْعَيْنِ، ومناظرَ تُؤْنسُ ناظِرها، وحسبُك ما في بُكاءِ النّواعيرِ وخَريرِ الماءِ وحَفيف الشّجرِ مِن مَشْهدٍ بديعٍ.

كُنتُ أخرجُ إلى التّنزهِ معكَ، فنتجاذبُ أطرافَ الحديثِ، ويكونُ سرورُنا وقتئذٍ عظيماً، أمَّا اليومَ فَرفيِقي الوحدةُ آنَسُ بها، وهِي خيرٌ لي مِن مُعاشرةِ الأضْدادِ، وعَسى أن تَقْدمَ قريباً فيزولَ كلُّ حزنٍ، ويَحْضُرَ كلُّ سرورٍ، وما ذلكَ على الله بعزيزٍ.

وقَبْلَ الخِتامِ أَرسمُ على جَبِينكَ قُبْلَةَ الأُخُوَّةِ عَنْ بُعْدٍ سائِلاً رَبِّي تعالى أن يَمُنَّ علينا بالاجتماعِ بعد الفراق، وَدُمْ لأَخِيكَ.

الوَرْدُ والنَّرْجِس وفصل الرَّبيع

اخْتُصَّتْ أَيّامُ الربيعِ بِأَنَّ فيها يكونُ ازْدهارُ النّباتِ، فَتُورِقُ الأشجارُ، وتَمتدُّ الأغصانُ ويخرجُ الزّهر من الأكمام، فترى الدّنْيا خَضِرَةً نَضِرَةً مزدانة بالجمال الطبيعيِّ الذي يَرُوقُ للناظرين، وإنَّ مِنْ أحْلا ما تَلَذُّ للعينِ رؤيته الأزهار على اخْتلاف أنواعها، فلو خَرجتَ إلى الرِّياضِ ووقفتَ على شَرَفٍ من الأرضِ لَرأيتَ عَجَباً: تَرى الأبيضَ والأحمرَ والأصفرَ والبَنَفْسجيِّ، كُلٌّ على غُصْنه وقد كَلَّلَه النّدى، وأشرقت عليه الشمسُ فزادَ حُسْناً إلى حُسْنِهِ، فهو يُمَتِّعُ المُتَأَمّلَ فيه بأَبْدعِ المناظرِ وأحْلاها.

الأزهار كثيرةٌ وهي على كثرتِها مُختلفةُ الحُسْنِ متفاوتةُ الجَمالِ، والأذواقُ في أيِّها أفضلُ مختلفةٌ، وها أنا ذاكِرٌ نَوْعَين منها الوَرْدَ والنَّرْجسَ، أمّا الوَرْدُ فيمتازُ ببهجتِهِ ورُوائِه وحُمْرتِه البديعةِ وطِيبِ ريحِهِ، تَراهُ زَاهياً على غُصْنِه مُدِلاً بِجَماله الفَتَّان، والناس بِهِ مُعْجبون وله مُحِبون، يُسَمُّونه (سلطانَ الزَّهْرِ)، وإِنَّه لَحِقيقٌ بِهذا الاسْمِ قال الشّاعرُ

الـوَرْدُ فِي أعــلا الـغُـصُــونِ كَـأَنَّــهُ   مَــلِــكٌ تَحُــفُّ بِــهِ سُراةُ جُــنــودِهِ

وأَجْمَلُ ما يكُون الوَرْدُ صباحاً، إذْ يفوحُ شَذاهُ، ويَظْهَرُ حُسْنُهُ، فَيَحْلو إذْ ذاكَ قَطْفُهُ وشَمُّه واصْطِحابُه فهو بهذا حائزٌ مَنْزلةً كبرى في القُلوبِ. وأمّا النَّرْجِسُ فهو أيضاً مِن الأزْهارِ الحَسَنةِ المألوفَةِ ومِيزَتُهُ أنَّهُ جَمَعُ الصُّفرةَ إلى البياض، وهُما لَونان ظَرِيفانِ، والنَّاسُ يُشَبِّهونه بالعُيونِ، وحَقٌّ هذا، فَإِنَّكَ لو دَخَلْتَ رَوْضَةً فيها نَرْجِسٌ لَرأيتَه كأَنَّه أبصارٌ تَرْميكَ وتَرْمُقُكَ. وهُو أيضاً مَحْبُوبٌ للنّاسِ، ولكنْ كَما قُلنا إنَّ لِلْوَرْدِ المنزلةَ التي لا تُدانى، فهو سلطان جميع الزَّهْرِ على الإِطْلاق.

* * *

«الربيعُ شبابُ الزمان، وروحُ الحيوان، به تلبس الأرضُ زخرفها، وتزهُو السَّماءُ بزرقتها، ويخلص أديمها في الغالب من السحب الكثيفة، إلا ما كان من بعض قزعات تزين الجو وتزيده رونقاً وجمالاً، وبالجملة فإن الدنيا في هذا الفصل تظهر بلباس جديد، جُمِعتْ فيه شتى المحاسن. فالنَّاس به مُغْرَمون، وعلى حسنه مجمعون، فهو مضرب الأمثال في الرقة والجمال، والضالة المنشودة في الحل والترحال.

حسن الربيع أمر مسلم لا جِدال فيه، والذي يحسن بنا أن نذكره، أنَّه متفاوتٌ بحسب الأمكنة، فليس كل ربيع ربيعاً، وما ربيع الصحارى القاحلة كربيع البقاع النضيرة، وليست الوديان ومنحدراتها وبطونها ذات الخمائل البهجة، كالحُزُون والأراضي الصعبة في المفاوز المهلكة، وإنَّ على طالب حسن الربيع ومبتغي وصاله، أن يرتاد لنفسه منزلاً رحباً جميلاً، يجمع جلَّ المحاسن إن لم يجمعها كلها، حيث تحلو فيه الإقامة ويطيب العيش.

يسرح بي الخيالُ أحياناً، فتتمنى عليَّ النفس أماني مستلذة، يصعبُ حصولها،

ويعز نوالها، فأصغي إلى حديثها شاعراً باللَّذة منه، شأن من يندفع وراء آماله الحلوة، وهاك بعضاً منها:

أريد منزلاً في جبل خضر نضر، تنحدر منه الأنهار، وتكثر فيه الينابيع، تتناوح أغصانه، وترق نسماته، مشرف على قسم من البحر، وجانب من البر، فيتمتع الطرف بمشاهدتهما، وكلٌّ له جمال.

وأرغب أن يكون هذا المنزل في جانب قرية إسلاميَّة، يحرص أهلها على دينهم، فلا يعكر صفو الحياة رؤية الفجور والفسوق، وأنَّ يكون لي قرين حسن النعت والصفة، مُوطأ الأكناف، في دماثة أخلاق وحسن عشرة، وأن يكون عندي من الكتب ما يهواه قلبي، فأدرس العلم الَّذي أحبُّه، غير متكلف لما أستصعبه، ويستعصي عليَّ من غيره، وأن يكون لي وارد بسيط، فأعيش كفافاً مطمئناً، وادعاً في ظل الهناء، تاركاً متاعب الدَّنيا وكدوراتها، أشهد شروق الشمس وغروبها، وطلوع الكواكب وأفولها، وأرقب سير الفصول وتقلبات الكون، وهكذا حتَّى يأتيني اليقين.

وما أحسن الأمر إذا قمت أحياناً برحلات، أنتجع فيها الرياض والجنان، ذائقاً لذة التنقل من مكان إلى مكان.

هذه بعض أمانيّ نفسي، وأذكر أني كنت حدثت بعض إخواني بنحو هذا، فقال لي: إنَّك تجد أمنيتك في الجنَّة، والله المستعان في التوفيق للعمل الصالح، ونوال رضوانه، وما ذلك عليه بعزيز.

* * *

«. يوشك الربيعُ أن يُقوّض خِيامَه للرحيل، فودِّعوه بِشَمِّ وروده ولَثْمِ خُدوده، واغتنام أوقاته، وشُرْبِ كاساتِه، وإني بادئُكم بهذا، فسأقوم إن شاء الله تعالى برحلة أُطفئ بها أُوامِي، وأَرْوي بها غلَّتي مِن التمتع بجمال هذا الفَصْل، والضَّرْبِ في أَرضِ الله بالطّولِ والعَرْضِ، هابطاً بُطونَ الأودية،

وصاعداً قِمَمَ الجبال، فقد فَتَنني الأَرَجُ اللطيفُ لا القدُّ الظريفُ، والحدائقُ الغَنّاءُ لا القامةُ الهيفاءُ، والجنانُ الخَضِرةُ لا الخدودُ النَّضِرَةُ، ولا تعجبوا من هذا - وإِنْ كان جنوناً - كذا خُلِقْتُ، وما لَذَّةُ العيش إلا للمجانين..».

«حديثُ عاشوراءَ المُسَلْسَلُ بِسَنَدِ الشيخ محمد الحامد»

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيدنا محمد رسول الله وآله وأصحابِهِ ومَنْ والاهُ، أما بعد: فيقولُ العبدُ الفقير محمدُ بنُ الشيخ محمود الحامد الحمويُّ ذو التقصيرِ: قَدْ مَنَّ الله تعالى عَلَيَّ - وله الحمدُ - بِأَخْذِ مسلسل عاشوراء عن شيخي العلامة الشيخ عيسى البَيانونيّ الحلبيّ، وسمعتُه منه وأَسْمَعْتُه كذلك في يوم عاشوراء، كما أخذَه عن شيخِه العلامةِ سعيدِ السنكري الحلبي مفتي الشافعية، كما أَخَذَه عن شيخه الشيخ عبد السلام التِّرمانيني الحلبي مفتي الشافعية، كما أَخَذَه عن شيخه الشيخ إبراهيم الباجوري الشهير كما أخذه عن شيخه الشيخ محمد الأميرِ الصغيرِ، كما أَخَذَه عن والدِهِ الإمامِ الأمير الكبير، كما أَخَذَه عن شيخه عليِّ بنِ محمدِ العربي المغربي، كما أَخَذَه عن شيخِه الشيخِ أحمدَ بن العربي ابن الحاجِّ، كما أَخَذَه عن شيخِه الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغربي، كما أَخَذَه عن شيخه عبد السلام اللقاني، كما أَخَذَه عن شيخِه الشيخ إبراهيم اللقاني، كما أَخذه عن شيخه الشيخ محمد الفيطي المصري، كما أَخَذَه عن الشيخِ محمد بن أبي الجودِ إمامِ جامعِ الغَمْري، كما أَخَذَه عن الشيخِ محمدِ السُّيوطيِّ بقراءةِ الحافظِ عثمانَ الديمي، كما أَخَذَه عن الشيخ أبي الفرجِ ابن الشيخة عن أبي الحسن بنِ إسماعيل بن قريشٍ عن زكيِّ الدِّين عبد العظيم المنذريِّ عن أبي حفصٍ عمر بن طَبَرْزَدْ، عن أبي بكرٍ محمدِ بنِ عبد الباقي الأنصاريِّ قال: أخبرنا الحسينُ بنُ علي الجوهري قال: أخبرنا عليُّ بن محمدِ بن كيسانَ قالَ: أخبرنا يوسُف بنْ يعقوبَ القاضي قال: أخبرنا حمادُ بن زيدٍ عن غَيْلانَ بن جَرِيرٍ عن عبدِ الله بن مَعْبَدٍ الزماني عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه

أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «صِيامُ عاشُوراءَ إنِّي أَحْتَسِبُ على الله عَزَّ وجَلَّ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ التي قَبْلَها» هذا حديث صحيحٌ تَفَرَّدَ بِهِ مُسْلِمٌ، وقال كلُّ واحِدٍ مِنْ رُواتِهِ: سَمِعْتُهُ في يَوْمِ عاشُوراءَ فهو مُسَلْسَلٌ بهذا اليوم الشريف. والمُسَلْسَلُ ما اشْتَمَلَ على وَصْفٍ مِنْ رَاويه إلى سيد الأنام عليه الصَّلاةُ والسَّلام، سواء كان وَصْفُ التَّسَلْسُلِ قَوْلِيّاً أَو فِعْلِيّاً أو حاليّاً، وهو إمّا أنْ يكونَ في صِفةِ التحديثِ أو في صفةِ المُحَدِّثِ أو حالةٍ أو وقتِ التَّحْدِيثِ. وحديثُنا هذا من القِسْمِ الأخير ومِنْ فَضِيلَتِهِ اشْتمالُه على مزيد ضَبْطِ الرّواةِ وقتَ التَّلَقِّي. وَوَرَدَ في عاشوراءَ أحاديثُ كثيرةٌ ولم يَصِحَّ منها سوى حديثِ الصوم المذكورِ وحديثِ التوسعةِ على العيالِ: روى ابنُ عبدِ البَرِّ بإسنادٍ جيد من حديثِ شُعْبَةَ عن جابر بن عبدَ الله قالَ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «مَنْ وَسَّع على نَفْسِهِ وأَهْلِهِ يَوْمَ عاشُوراءَ وَسَّعَ الله سائِرَ سَنَتِهِ» قال جابرٌ: جَرَّبْناه فَوَجَدْناه كذلك، ومَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُوسِّعْ خُلُقَهُ مَعَ قَرابَتِهِ، وَلْيَعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ. وطَبْخُ الحُبوب بِدْعَةٌ، وأَصْلُها مَا صَدَرَ مِنْ نَبِيِّ الله نوحٍ على نبينا وعليه الصَّلاةُ والسَّلام لَمَّا خَرَجَ من السفينةِ جَمَعَ ما بقِيَ من الأزوادِ - وكانتْ حُبوباً - وطَبَخَها، وأَطْعَمَ الجميع، وأَشْبَعَهُمْ. فاتَّخَذَهُ الناسُ سَنَّة ذلك اليومِ. ولا بأس به ولاسِيَّما إنْ أُطْعِمَ منه الفقراءُ، ويُعَدُّ من نوع التَّوْسِعَةِ. والله تعالى أعلمُ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

كتبه محمد الحامد في يوم الخميسِ لِسِتَّ عشرة ليلةً خَلَوْنَ من المُحَرَّمِ سنة ١٣٥٢ هِجْرِية.

مختارات من شعر الشيخ محمد الحامد

كان الشيخ الحامد عالماً وشاعراً، ولكنه رجَّح جانبَ العلمِ على الشعر حِرْصاً منه على خدمة دينه، وقد بَيَّنَ ذلك في الرسالة التالية التي أرسلها إلى أحد تلاميذه: «يا بني، لأن تكون عالماً فقيهاً خير لك وللأمة من أن تكون

شاعراً أديباً، إننا إلى أن يكون منك عالم محقق أحوج منا أن ينشأ منك شاعر مفلق. ولقد كنت في الماضي أعاني الشعر والنظم، ثم انقلبت إلى العلم، وإليه توجهت على ما فيّ من خلقة شعرية عاطفية عنيفة، حتى إني لأهتز أقوى اهتزاز لبيت من الشعر يلامس مني مكان الحس الروحي الديني، وقد أضطرب، وقد أبكي، وقد تغشاني الحال التي تغشى أصحابها بشدتها، ولكنها تقلع عني بسرعة لانشغالي بالعلم، وهذا من فضل الله عليَّ وعلى الناس، لا بأس بقليل منه ينظم في الأغراض الشريفة والمقاصد الحسنة، أما انصراف الهمة إليه فخسران أربأبك عنه، ولاسيما في هذا الزمان الذي كثر فيه الشعراء والمتشعرون، وإن منظوماتهم ما هو إلاَّ رصف كلام فقط، دون أن يكون للروحانية صلة به».

ونظراً لاهتمامه بالعلم لم يعتن بجمع شعره، لذلك ضاع أكثره، وفيما يلي مقتطفات من شعره:

قال - رحمه الله - في مديح النبي ﷺ ومحبته:

يا حبيبَ الرحمن، يا صفوة الخَلْـ ... ـقِ ويا مُنْيَتي وراحةَ رُوحي

يا وَليِّ وسَيِّدي وإمامي ... أنتَ لي خيرُ مُشفقٍ ونَصيحِ

لا أبي لا أخي ولا صَدْرُ أمي ... لا ولا ذو الإخاء خِدْنُ الرّوحِ

بَلَغوا شَأْوَكَ العَليَّ بِبِرٍّ ... أو وَفاءٍ أو في الحنانِ الصَّحيحِ

يا بِنفْسي لِقاً وَلَوْ طَرْفَ عَينٍ ... وبأهلي! وكلُّ غالٍ رَبيحِ

فَنَعيمُ اللِّقاءِ فِيه حَياتي ... وهَنائي وفيه تُشْفى جُروحي

حُبُّ هذا النَّبيِّ سِرُّ انْقِيادي ... وأخو الْحُبِّ ما به مِنْ جُموحِ

والْمُحِبّون طائرونَ قُلوباً ... وبِبابِ الحَبيبِ كم مِنْ طَريحِ

مَلَكَ الحُبُّ أَمْرَهم فاسْتكانوا ... لِهَواه أَسْرى إِسارٍ مُريحِ

ويَخافونَ أنْ يكونَ انفِكاكٌ أو بَراحٌ يُريح مِنْ تَبْريحِ
حَبَّذا الْعَيْشُ والرِّضا عَيْشُ قومٍ في غَرامٍ كم فِيه مِنْ مُسْتريحِ
وعليك الصَّلاةُ مَمْسىً ومَغْدىً تتوالى مع السَّلامِ الرَّجيحِ
وعلى الآلِ والصِّحابِ وأهل الْـ ـحُبِّ والمَدْحِ بالبَيانِ الفَصيحِ[1]

وقال يصف أشواقه ومحبته للنبي ﷺ:

«خَطَراتُ الهوى تَروح وتَغدو ولِقلبِ المحِبِّ حَلٌّ وعَقْدُ»[2]
وأخو الحُبِّ بالوفاءِ مُوافٍ أَمْرُه في الْغرامِ صِدقٌ وعَهدُ
شَوْقُه طائرٌ إلى الحِبِّ ما للـ ـشَّوقِ في مذهبِ المحِبّينَ حَدُّ!!
والهوَى مالِئُ الجوانحِ منهُ إنْ تَراخى وَجْدٌ، تجدَّدَ وَجْدُ
وعَذابُ التَّبْريحِ يَلْقاهُ عَذْباً وعَناءُ الهَوى فلاحٌ ورُشْدُ
إنْ حَداه الحادي جَرَتْ مِن جَواه أدمُعٌ في الخُدودِ تَشْدو وتَحْدو
كُلُّه للرِّضا رَجاءٌ، ويَخشى أن يَعوقَ الوِصالَ صَدٌّ ورَدُّ
يا هَنائي إنْ كانَ يومُ مُنائي مُنعِماً باللِّقا، وحَسْبِيَ وَعْدُ
إنَّ رَاجي الرِّضا يَسِيرُ حَثِيثاً شَأْنُه في المَسِيرِ سَبْقٌ وجِدُّ
وأُرَاني صِفر اليَدَيْنِ فما عِنْـ ـدِيَ سَعْيٌ، وهل لِمثْلِيَ عِندُ؟
لا خَبِيءٌ مِنْ صَالحٍ في وِفاضٍ إنْ زَها الْعامِلونَ فيما أَعَدُّوا
رَبِّ عِذْ بالحَنانِ، وارحَمْ عُبَيْداً ما لَهُ مِنْ سُؤالِ عَفوِكَ بُدُّ
وأَذِقْهُ من الرِّضا نَفَحاتٍ ما إليهنَّ في المذاقةِ شُهْدُ

---

(١) تليت هذه القصيدة نيابة عن الشيخ الحامد أمام الروضة الشريفة في المدينة المنورة.

(٢) هذا البيت من التضمين في القصيدة، وعليه قامت.

صَلِّ ربِّي دَوْماً على قَلْبِ حِبِّي وعلى الآلِ ما تَرَدَّدَ حَمْدُ
مَعْ سَلامٍ تَهْنا به الرُّوحُ منه ما تَغَنَّى حادٍ وأقمرَ سَعْدُ

ومن شعره الوجداني ما قاله في مصر (١٣٥٧هـ):

ضاقتِ الأرضُ بالغريبِ الكئيبِ فتولى وصَفْوهُ في النحيبِ
غَرِقَتْ نفسُهُ بِلُجَّةِ هَمٍّ! وعَلاهُ مِنْ فَوْقُ مَوْجُ الْكُروبِ
زَفَراتٌ له تُخالُ جَحِيماً! وهُوَ إنْ أَنَّ، قُلْتَ: أنَّ حَرِيب
كُلَّما لاحَ بارِقٌ برَجاءٍ عَرَضَ الحظُّ عابِساً بقُطوبِ
وتَوالَتْ سُودُ المصائِب تُجْلى بِعَصيبٍ يَجِيءُ إثْرَ عَصِيبِ
حِيلَ بيني وبينِ رَاحةِ قَلْبي فَهْو باكٍ من شِدَّةِ التَّعذيبِ
وأشدُّ الْعَناءِ ما كانَ في الْقَلْـ ـبِ وهذا الْبَلاءُ كانَ نَصِيبي
غيرَ أنّي - وإن دَهَتْني الدَّواهي - آمِلٌ رَحْمَةَ الْقَريبِ المجيبِ
في لَيالي الآلام يُرتقبُ الْفَجْـ ـرُ إذا ما دَجا ظَلامُ الخُطوبِ
رَبِّ، إنّي إليكَ مَحْضُ افْتِقارِي فأعِذْني من لَوْعَةِ التنحيبِ
وأجِبْ دَعْوتي وحَقِّقْ رجائي وارْحَمنْ غُربةَ النَّبِيِّ الْغريبِ
وأفِضْ نِعمةً على الْقَلبِ فيها نَفَحاتٌ من فَيْضِكَ المَصْبوبِ
وأدِمْ لي كَما تُحِبُّ رَشادي وأنِلْني من الرِّضا مَطْلوبي
ومِنَ الله كُلَّ آنٍ تَوالى صلواتٌ على الرَّسُولِ المَهيبِ

وقال في الاستغفار والمناجاة:

يا أَرْحَمَ الرَّحماءِ ما لِي حِيلَةٌ إلاّ الرُّجوعُ إليك يا رَبّاهُ

أنــا قــد أســأتُ وأنــت ربٌّ غــافــرٌ غَــوْثــاه مــمــا قــد عَــرا، غَــوْثــاهُ
يــا سَيِّدي يــا مَــن إليهِ شِــكــايــتي أوّاه مِـــمَّـــا نـــابَـــني، أوّاهُ
أدْرِك بِـلُـطْـفـك نـادِمـاً ذا حَـسْرةٍ مُـسْـتـغـفـراً مّـمـا جَـنَـتْـه يَـداهُ
مـا لـلـضَّـعـيـفِ إذا ألَمَّتْ كُـرْبـةٌ إلاَّ الـــدُّعـــا: الله يـــا اللهُ!
يـا رَبِّ نَـفِّـسْ عَـنْ عُـبَـيْـدِكَ كُـرْبـةً وأرِحْـهُ مِـمـا قَـدْ عَـنـا ودَهـاهُ

وقال أيضاً في الاستغفار والتوبة:

تـالله بـابُ الـعـفـوِ بـابٌ واسـعٌ هـو لِـلأُلى عَـكَـفـوا عـلى الأوزارِ
وبـرحمـةِ الْـغَـفّـارِ أطـمـعُ أن أرى أبـداً بَـعـيـداً مـن عـذابِ الـنّـارِ
يـا ربّ إن الـذنـبَ أثـقـلَ كـاهِـلي وغَـدوتُ محـسـوبـاً مـن الأشْرارِ
بـدِّلْ بِـفَـضْـلـكَ حـالـتي وإسَـاءتي حـتى أُضـافَ لـزُمـرةِ الأخْـيـارِ
يـا قـلـبُ حُـلَّ عَـزيمَـةَ الإصْرارِ والجـأْ إلى الـرَّبِ الـكـريم الـبـاري
فَـعَـسـاهُ يَـرْحَـمُ مُـثْـقَـلاً بِـقُـيـودِهِ ويُجِـلُّـهُ أمْـنـاً وحُـسْـنَ جِـوارِ

وقالَ يَرْثي أخاهُ شاعِرَ العاصي بَدْرَ الدينِ الحامِدَ:

يـــا لهـــا ليلـــةٌ كَـــوَتْـــني بِـــنـــارِ طـــالَـــعَـــتْني بِـــأسْـــوأ الأخـــبـــارِ
غـابَ فـيهـا بـدرٌ فـطـالَ سُـهـادي وتَـــوارى أُنْـــسي وشَـــبَّ أُوَاري
سَـكَـنَ الـرَّمْـسَ صـامِـتـاً بَـعْـدَ شَـدْوٍ وحُـداءٍ حُـلْـوٍ كَـسَـجْـعِ الهَـزارِ
لَهْـفَ نَـفْـسي عـليه أمْـسى وحـيـداً ولـقـد كـانَ نُـزْهـةَ الـسُّـمّـارِ
يَمْـلأُ الـقـومَ حِـكْـمـةً وبَـيـانـاً ونَـظـيـمـاً مِـن طَـيِّـبِ الأشـعـارِ
ولـــه صَرخـــةٌ إذا الخَـــصْـــمُ أَزْرى بِـــكَـــريمِ الأبْـــطـــالِ والأحْـــرارِ

كنتُ في حِجْرِه صغيراً يتيماً ... فرَعاني رعايةَ الأبْرارِ
حاطني مِن حنانِهِ بإطارٍ ... وبه انْجابَ غَيْهَبُ الأكْدارِ
ولقدْ كانَ ذا جَنانٍ رَفيقٍ ... بِسَوائي وتلك حالُ الخِيارِ
مالَهُ لِلأذى اعْتمادٌ وما كا ... نَ لِقَلبِ الرّحيم مِنْ أضْرارِ
أمّلِ الخَيْرَ والرِّضا أنتَ عَبدٌ ... مُؤمنٌ بالعَليِّ ذِي الاقْتدارِ
عالِقُ السِّرِّ بالرَّسولِ أمينِ اللهِ ... ذِي الفَضْلِ أحْمد المُخْتارِ
سَيِّدَ الرُّسْلِ وافِدٌ قَدْ أتاكم ... يَرْتَجي مِنْكُم كَريمَ الجِوارِ
وشَفاعاتِكم حَديثاً وقِدْماً ... لِجَليلِ الأخْطاءِ والأوْزارِ
رَبِّ فَارْحَمْ بَدْراً وعامِلْ بلُطْفٍ ... منك عَبْداً أفْضى لِدارِ القَرارِ
واجْعَلَنْهُ في جَنّةِ الخُلْدِ جَذْلا ... نَ فَأنتَ العَفُوُّ أكْرمُ جارِ
صَلِّ مَوْلايَ ما رَضِيتَ على حِبِّـ ... ـكَ نُورِ الأنْوارِ شَمْسِ الفَخارِ
وعلى الآلِ ما تَرَتَّلَ وَحْيٌ ... وتَلاهُ العُبّادُ في الأسْحارِ

وقال في الفُولِ، وطارت له شهرةٌ بها (مصر ١٩٤٠م):

ألا يا مُحِبَّ الفُول أصْغِ لِقَولتي ... فقد عادَ هذا الفُولُ مَوْضِعَ فِتْنَتي!!
يَسِيلُ لُعابي إنْ شَمَمْتُ عَبيرَهُ ... ويَخْذُلُني صَبْري وتَضْعُفُ قُوّتي
وعَيْنِيَ قَرَّتْ مُذْ رَأتني مُقْبلاً ... عليه بِقَلْبٍ صادقٍ وَبِهِمَّةِ
ألا يا مُحِبَّ الفُول! خُذْني مُربياً ... وكُنْ سامِعاً قَوْلي مُجِلاًّ نَصِيحَتي
فَفُولٌ فَؤولٌ فاحترسْ مِنْ تشاؤُمٍ ... فإنَّ اسْمَهُ يَقْضي بحُسْنِ المظِنّةِ
وإنَّكَ إنْ تأكُلُه كُلَّ صَبيحةٍ ... تَرَ الخَيْرَ سَحّاً في الضُّحى والعَشِيّةِ

فَكُلْهُ بِلَيْمونٍ وزَيْتِ طَحِينةٍ وثُومٍ وفجْلٍ واصْطَحِبْه بشَطَّةِ[1]
ولا تَزْهَدَنْ في هذه، فهي عُنْصرٌ له الْفضلُ في تحصيلِ طيبٍ ولذةِ
ألا يا مُحِبَّ الْفُولِ! إنا لَمَعْشَرٌ بَلَغْنا بأكلِ الْفُولِ حدَّ البُطولةِ
فكُنْ راشِداً واقْبَلْ نصيحةً وامِقٍ وعَنْ حُبِّ هذا الْفُول لا تَتَلَفَّتِ
ألا ليتَ شِعري! هل أدومُ مُصاحِباً له، إنَّ بُعدي عنه يسفِكُ عَبْرتي
وإنَّ غَرامي فيه غيرُ مُفارِقي وذاكَ لَعمْرُ الْفُولِ أصْلُ بَلِيَّتي!!
حَلَفْتُ بِحَقِّ الْفائحاتِ بِعطْرِه له القلبُ مَرْعى في مَنامٍ ويَقْظَةِ
وقد عَلِم الأقوامُ أنِّي مُذْنَفٌ عُرِفْتُ بِحُبِّ الْفُولِ بَيْنَ عَشِيرتي!!
أهِيبُ بِقَوْمي أن يُحِبّوا لأكْلِهِ وإنِّي لأرْجُو أنْ يَدِينوا بِنِحْلَتي
ألم يعلموا ما فيه من طِيبِ مَطْعَمٍ؟ ومِنْ حُسْنِ لَوْنٍ قد تَجَلّى بشُقْرةٍ!!
عَسى قِدْرَةُ الْفوَّالِ يَعْبَقُ رِيحُها فيظهرَ فضلُ الْفولِ في كُلِّ بُقْعَةِ
وأنتمْ أُهَيْلَ الْفُولِ أزكى تحيةٍ لكم، مِنْ فُؤادٍ عامرٍ بالمحبةِ!!

وقال بعد أن اعتبره أصحابه - رحمه الله - مَلِكاً للفول[2]:

يا عُصْبَةَ الْفُولِ دُمتم لي ودُمْتُ لكم ودامَ مَرْبعُكم بالفُولِ مُزدانا
عَشِقْتُمُ الفولَ أشياخاً وشُباناً وقد أقمتمْ لهذا العِشْقِ برهانا؟!
هذي قُدُورُكُم بالفُول زاخِرةً أزِيزُها ملأَ الأكوانَ ألحانا
وريحُها عَطَّرَ الأرجاءَ قاطبةً حتى غدا كلُّ قلبٍ فيه وَلْهانا

---

(١) الشّطة في مصر: هي الفليفلة الحمراء المطحونة.

(٢) نشرت هذه القصيدة في عدة مجلات في القاهرة ودمشق وحماة، وشطرها شعراً بعض علماء الأزهر لطرافتها.

وقـد أَحَبَّـكُـم مَـنْ ليسَ يَـعـرِفُـكـم (والأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العينِ أحياناً)

يا عِتْرَتي، يا أُهَيْلَ الْفُولِ، مَجْدُكُمُ سامٍ وحاسِدُكـم قـد بـاتَ حَيْرانا

أَكَلْتُـم الـفُـولَ حتى جَـلَّ قَـدْرُكُـمُ ونِـلْـتُـم بِهَـواهُ في المـلا شـانـا

يـا وَيْـلَ مَـنْ لا لَـه في جَمْـعِـنـا صِـلـةٌ حـقٌّ لـه أن يـذوقَ الجُـوعَ أَلْـوَانـا

فـالـفُـولُ مَـنْ رَغِبَـتْ عنـه سَرِيـرتُـه كـان الجزاءُ قِـلًى، والحظُّ حِرْمـانـا

ومَـنْ يـكُـنْ راغـبـاً فـيه عـلى شَـغَـفٍ نـالَ الْـقَـبـولَ وأولَيْـنـاه إحـسـانـا

وكتب - وهو في مصر - يمدح شيخه ومرشده الشيخ (محمد أبو النصر خلف الجندي الحمصي) قائلاً:

هِيَ الرُّوحُ تَسْري في الهوى حَيْثُما يَسْري وتَـصْـعـدُ في نَجْـدٍ وتَهْـبِـطُ في غَـوْرِ

وكُـلُّ مُـنـاهـا أن يـكـونَ أَليفُـهـا بِمَشْهدِها والبُعْدُ مِنْ أَنْكَرِ النُّكْرِ

وأَنْـكَـرُ مـنـه أنْ يَـكُـونَ مُـتَـيَّمٌ قَـصِيّاً ومَـرْمِـيّـاً بِـشيءٍ مـن الهَـجْـرِ

فَــذاكَ أَسىً فــوق الأَسى ومَــرارةٌ بِجانِـبِـهـا يَحْـلـو الـزُعـاقُ مِـن المُـرِّ

ولـولا لَـهُ الآمـالُ بِـالـقُـربِ والـلِّـقـا قضى حَزناً أو غـاصَ في أَبْحُرِ الضُّرِّ

ولـكـنَّـهـا تَـبـدو فَـيَـغْـدو بِـفَـرحـةٍ ويَـسْـكُـنُ مُـرْتـاحـاً ويَـأْمَـلُ بـالـيُسْرِ

خَـلِيلَيَّ مـا فـوقَ الـبَـسيطـةِ كُـلِّـهـا ولا بَيْنَ أحـبـابي على الـقُـلِّ والـكُـثْرِ

ولا فِي فُـؤادي سـاكِـنٌ أبـدَ المَـدى سِوى سيدي الشَّيْخِ الإمامِ أبي النَّصْرِ

فَـرُوحي بـه هـامـتْ وقـلـبي لـه عَـنَـا وذِكْـراهُ في جَـهْـري وسِرّي في سِرِّي

أَجَـلُّ إمـامٍ قـامَ في الـنّـاسِ مُـرْشِـداً فَـسِيقَـتْ لـه الأرواحُ مِـن عَـالَمِ الـذَّرِّ

ونـادى بِهَـذْيِ فـاسـتـجـابَ لـه الأُلى أُرِيـدَ بِهِـم خَـيْرٌ وخَـيْرٌ عـلى خَـيْرِ

فقـامـوا خُـشـوعـاً ثُمَّ تـاهُـوا بِجَمْـعِـهـم هـيـامـاً لِشَيْخِ الـكُـلِّ في مَحْفَـلِ الـذِّكْرِ

وما مِـثْـلُـه فـيهـم وقـدْ لاحَ نُـورُه … عـليهـمُ إلاَّ الـبَـدْرُ في الأَنْجُـم الـزُّهْـرِ
هـو الـقُـطـبُ في الإرْشـادِ والمَددِ الـذي … تَـلينُ بـه صُـمُّ الجنـادلِ والـصَّـخْـرِ
كـريمُ المُحَـيّـا في جَـلالٍ وَهَـيْـبـةٍ … وسيمٌ إذا تَـلْـقـاه يَـلْـقـاكَ بـالـبِـشْرِ
لـه الهِـمَّـةُ الـعَـلْياءُ عُـلْيٌ مـقـامُـه … وبَـيْنَ رجـالِ الله مُـرتـفـعُ الـقَـدْرِ
تَـقـيٌّ سَـخـيٌّ طيبُ الـقـلـبِ خاشـعٌ … أخـو ضِـعَـة في نَـفْسِه واسعُ الـصَّـدْرِ
يـقـومُ ظـلامَ الـليلِ والـنـاسُ هُـجَّـعٌ … فـيعـبـدُ مَـولاه إلى مَـطْـلَـعِ الـفَـجْـرِ
وإنْ سمـعَ الـقـرآنَ أطـرقَ بـاكـيـاً … وَوالى بِـدمـعٍ في الـتّـحـدّرِ كـالـقَـطْـرِ
تـبـاركَ رَبّي خَـصّـه بِـفَـضـائـلٍ … ويمـنـحُ رَبي مَـنْ يـشـاءُ بـلا حَـصْـرِ
لَـقِـيـتُ شُيوخـاً غَـيره غـيرَ أنَّـني … وحَـقِّ الهَـوى مـا مِـلْـتُ عنه إلى غَـيْرِ
وكَـيْـفَ ولي عَـهْـدٌ وَثـيقٌ بِحُـبِّـه … وإنّيَ وافٍ لـسـتُ في الحُـبِّ ذا غَـدْرِ
عـلى أنَّـه لِـلـرُّوحِ أعْـظَـمُ قـائِـدٍ … بَـصيرٌ بـأحْـوالِ الـقُـلوبِ أَخُـو خُـبْرِ

* * *

أيـا سَيِّدي حَـتَّى مَ أبـقـى مُـقَـصِّراً … أَسيرُ عـلى بُـطْءٍ وأَعــرُجُ في سَيْرِي
وحـتّى مَ أُفْـني الـعُـمْـرَ لا أنـا آخـذاً … نَصيباً من التَّقْوى ولا مُصْلِحاً أَمْري
وكـم أَتمنى أنْ تُحَـوَّلَ حـالَـتي … فَـأَقْـرُبَ مِـن خَـيْرٍ وأَبْـعُـدَ عَـنْ شَرّ
فَـبِـالله يـا مَـوْلايَ جُـدْلي بِـدَعـوةٍ … تُـنيرُ بها قـلـبي وتُـصْـلِـحني عُـمْـري
ومُـنَّ أيـا شيخَ الـرجـالِ بـنـظـرةٍ … أَعـودُ بها في الـنـاسِ مُنْجَبِرَ الكَسْرِ
ويـا صـاحـبَ الـقـلـبِ الـرحـيمِ تَحَـنناً … على ابنٍ لكم يشتاقُكُم وهو في مِصْرِ
أُحِـبـكُـم مـولايَ حُـبـاً مُـبرِّحـاً … وحَـسْـبي هَـواكُم مُؤنِساً لي في قَبْرِي

وأرْغبُ في أنْ تَلْحَظُوني بِسِرِّكُم ... وحَسْبي رضاكم عُدَّةً لِيَ في حَشْرِي
وإنّيَ والله الفقيرُ بِذِلَّةٍ ... وعِزّيَ أنّي للكريمِ أخو فَقْرِ
وَحُبّي رَسُولَ الله للقلبِ مَالئٌ ... وحُبّي رَسولَ الله مِنْ أنْفَعِ الذُّخْرِ
لقدْ نُبْتَ يا مَوْلايَ عَن خَيْرِ مُرْسَلٍ ... وخَيْرِ حَبيبٍ مَنْ بِهِ مَعْقِدُ الفَخْرِ
رَسُولِ إلهِ العالمينَ وحِبِّهِ ... وسَيِّدِ خَلْقِ الله في البَرِّ والبَحْرِ
عليه صلاةُ الله ما أنَّ مُغْرَمٌ ... وما دامَ مُشْتاقٌ بِسَيْرِ الهَوى يَسْري

وعند انتهاء دراسته بمصر وقُرْبِ عودته لبلده حماة كتب يقول:

ذُبْتُ يا مصرُ مذ عزمتُ رحيلاً ... ولو اسْطعتُ عِشْتُ فيك طويلا
صانكِ الله من صُروفِ الليالي ... وتناءتْ عن جانبيك قُفولا
وكذا دُمتِ ما بقيتِ مناراً ... لِفخارٍ وللعَلاءِ مَقيلا
ما أُخَيْلى خمائلاً ومُروجاً ... مرتع الرَّوح بُكرةً وأصِيلا
هَبَّ فيها النسيمُ يَسْحَبُ ذيلاً ... يُؤْنِسُ الرَّوْضَ فاتراً وعليلا
وجرى النِّيلُ صافياً سَلْسَبيلاً ... يَمْلِكُ القلبَ أو يَبُلُّ غَلِيلا
يا رَعى الله ما وقَفْتُ عليه ... حينَ أنْ نِلْتُ بالهنا المأمولا
ليت شِعري يا مِصرُ هل ثَمَّ عَوْدٌ ... بعد بُعدٍ وهل أنالُ وُصولا
أنا إنْ عِشْتُ عن حِماها بعيداً ... تَخِذَ القلبُ نحو مِصرَ سبيلا

* * *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أمر بالتسابق في ميدان الصالحات وأشهد أن لا إله إلا الله أذن بالتنافس في الحسنات وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

أما بعد فقد أخرج أحمد ومسلم عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام ثم صلى ثم خطب فقال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة إلى آخر الآية والآية الأخرى التي في الحشر يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد إلى [illegible] تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) أو كما قال عليه الصلاة والسلام

[illegible] لأم هذا الحديث الشريف بمناسبة ما نشرته صحيفة التوجيه الحمصية من أن بعض الأجواد في حمص تبرع بمائة ليرة سورية ووضعها تحت تصرف الصحيفة المذكورة لتنفقها على الفقراء والمحتاجين. وفي الوقت نفسه جاء إلى الإدارة عدد من أهل الخير والإحسان وأبدوا رغبتهم في أن يفتح اكتتاب على صفحات (التوجيه) بما تجود به أيدي المحسنين مهما كان أمره كثيراً لينفق على المعوزين بمناسبة حلول رمضان المبارك وبمناسبة ظروف الغلاء التي يرزح الكثيرون تحت شدة وطأتها وبعد أن تشكر الجريدة لهؤلاء الكرام حلولهم المبرور وأبدت اغتباطها واعجابها بهذه الروح الطيبة والظاهرة الجميلة أعلنت افتتاح الاكتتاب واستنهضت أكف ذوي الخير واليسار ليجودوا بما تجود به أنفسهم في سبيل إسعاف إخوانهم من أبناء حمص الفقراء.

صفحة ثانية من مخطوط الكتاب؛ بخط المؤلف الشيخ محمد الحامد رحمه الله

أحاديث الجمعة

* ممّا يَجِبُ من الطَّهارةِ لِمَنْ يَدْخُلُ المَسْجِدَ.
* مِنَ دقائق أَحْكام الصَّلاة وأسْرارها.
* توجيه هام إلى الجمعيات الخيرية (في أحكام إنفاق أموال الزكاة).
* مِنْ صُور التَّكافُل الاجتماعيّ في الإِسلام.
* في الصدقات والبيوع ووحدة المسلمين.
* يُسارِعُونَ في الخيراتِ اسْتباقاً.
* في أموال الأغنياءِ ما يَسَعُ الفقراءَ.
* رمضانُ تَجلَّى وابْتَسَما طُوبَى لِلْعَبْد إذا اغْتَنَما
* الاسْتقامةُ وأثرها في حياة المسلم.
* مَنْ أرادَ الحجّ فليَتَعجَّلْ.
* مُنكَرات مألُوفةٌ تُرْتكبُ عند قُدُوم الحُجَّاج.
* صرخة في وجه الفساد الاجتماعي.
* الدعوة للجهاد ضد المستعمرين الفرنسيين.

من الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ

* باب الأدعية الصالحة.
* فوائد نبوية.

مِمَّا يَجِبُ مِنَ الطَّهارة لِمَنْ يَدْخُلُ المَسْجِدَ

الحمد لله وَلِيِّ المتقين، ومُنَزِّل القرآن المبين القائل: ﴿فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨/٩] والصلاةُ والسَّلامُ على الطاهر المُطَهِّرِ سيدنا محمدٍ إمام المرسلين وعلى آله الطَّاهرين، وصحبه الهادين.

أَمَّا بعدُ: فيا عبادَ الله، إنَّ الدِّين الإسلامي الحنيف أمر بالطَّهارة وحَضَّ عليها ورغَّب فيها وأَثنى على الْمُتَّصفين بها، فأمْرها عَظيمٌ، وخطرها جسيمٌ، كيف لا وهي مفتاحُ الصلاةِ، ولا تصحُّ صلاةٌ بدونِها، فهي شرْطٌ لِجَوَازِها، وكفى بِهِ بيَاناً عن العِنَايَة بَأمرها والاهتمام بشَأْنِها، يجب على المؤمِن أنْ يكون نظيفاً، نَقِيَّاً من الأوْساخِ والأدران ولاسيما وقتَ الصلاةِ، وَقْتَ مناجاةِ ربِّ العِزَّة سبحانه وتعالى والمُثول بين يديه والضَّراعة إليه فَحَريٌّ بالمرء بعد أنْ يَخْلُص من نجاسةِ الحدثِ والخَبَثِ أنْ يَخْلُص من الأدران، وأنْ يكون على حال حسنة مرتدياً ثياباً طاهرة نقيَّةً مُمْتَثِلاً قَوْل الله تعالى: ﴿ يَابَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف: ٣١/٧]. وكما يجب على المرء أن يتعهد نفسه بالطَّهارَة والنَّظافةِ يلزمُه أنْ يحترم المساجد بيوت الله عزَّ وجل، وأنْ يحفظها من كلِّ ما يُدنِّسُها؛ فلا يَدخُل بثيابٍ قَذِرةٍ مُروْحَةٍ بالرَّوائحِ الكريهةِ التي تَنْتشر فيها، فَتُؤْذي الملائكة والمؤمنين وَتُخِلُّ بخشوع المصلين فقد ورد عن سيدنا رسول الله ﷺ أنَّه قال: «مَنْ أَكَلَ ثُوماً أَوْ بَصَلاً فَلْيَعْتَزِلْنا أَوْ لِيَعْتَزِل مَسْجدنا» رواه البخاري.

وإذا كان آكلُ الثُّوم والبصل مَنْهِيّاً مِنْ غشيان المساجِد ومَأموراً باعتزال النّاس حتى تزولَ رَائحَتُه، فَما بالُكَ بغيره مِمْنَ يُعاني مِهْنَةً تُورثُ صاحبها رائحةً أشَدَّ كَراهَةً من ريح الثُّوم والبصل، لا ريب أنَّ النَّهْيَ شاملٌ له، وأَنَّه آثمٌ إنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ بِثيابِهِ القَذِرة بدون خَلعها أو اسْتُبدالها بأُخرى نظيفةٍ. يتأكد على ذوي المهن ذات الرَّوائح الكريهة أنْ يستحضروا ثياباً نظيفةً يُعدُّونها للصَّلاة

ودخول المسجد فراراً من إيذاء المؤمنين والملائكة بثيابهم المُرْوحَة: يالله كيف يحْسُنُ بالمسلم ألاَّ يهتمَّ لمثل هذا الأمر وأن لا يعيره أدنى تَفْكِير، وهو إنْ قُدِّر لَهُ أنْ يقابلِ وجيهاً من أبناء الدنيا يَلْبس أحْسَن ما عندَه خَوف النَّقدِ والذَّمِّ ويأتي الصلاة بأقبحِ ما عنده غيرَ مبالٍ بما يحدثُهُ من أَضرارٍ وما في عَمَله هذا من قلَّةِ الأدب في مناجاة ربِّ العالمين. كأَنِّي بِبعضِ النَّاسِ يقول: إنَّ التقوى في القلبِ ولا عبرة للظَّاهر، وهذا كلامٌ حَقٌّ صاحبه لا يعلم أنْ لا منافاةَ بين جمالِ الظاهر وطهارة الباطن، وقد قال أحد الصحابة للنبي ﷺ: إنَّ أحدنا يُحبُّ أن يكون ثوبُه حسناً ونَعلُهُ حسناً فقال النبي ﷺ: «إنَّ الله جَمِيلٌ يُحبُّ الْجمالَ»[1]

وقد قيل: إنَّ حُسْنَ الظاهر يدل على حُسْن الباطن، وما أظنُّ عاقِلاً يَعْدلُ القذارةَ بالطهارة، بلْ إنَّ النُفوس مجبولةٌ على حُبِّها حتى العجماواتُ تتعهدُ أنفسَها بِها على حَسَب استطاعتها. إنَّ لِلشرع أسراراً عظيمةً ومقاصدَ ساميةً في أمر الطهارة، وإنَّها وإنْ كان كثيرٌ من فروعها تَعبُّدِياً. ولكن مَنْ أنار الله تعالى بصيرته رأى فيها من الحكمة ما شاء الله تعالى له أنْ يراه.

وإلا فوَّضْنا الأمر إليه، وائْتَمرنا بأمره معتقدين أنَّ فيه صلاحَنا، وما علينا أن نتطاولَ لأشياءَ لسنا مكلفين بها، والله الهادي إلى سواء السبيل.

الطهارةُ الظاهرةُ تلفت ذا اللُّبِّ إلى العناية بالطَّهارة الباطنة التي هي أهمُّ وأعظمُ وأَعْلى شأناً من الأولى.

وإنَّ القلب موضوع نَظرِ الرَّب سبحانه، والاعتناءُ به متأكِّدُ، وقوله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمان» أخرجه مسلم وأحمد والترمذي؛ فيه إشارةٌ عظيمةٌ إلى

---

(١) أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود بلفظ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قيل إن الرجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً، قال: إن الله جميل يحبُّ الجمال، الكِبْر بطرُ الحق وغمط الناس». وأخرجه الترمذي بلفظ آخر.

هذا المعنى، إذْ يَبْعدُ أنْ يكون المراد بالشَّطر طهارةَ الظَّاهر وَحْدَه، مع إهمالِ أمر الباطن.

وصَفْوةُ القول: إنَّ على المؤمن أن يَتعهَّدَ ظاهره وباطنه بالنَّظافة، ففي ذلك الخير العظيم والسَّلامة، ورحم الله تعالى امْرَءاً سَمِعَ فَوَعى، وعَلِمَ فاهتدى، والله المستعان وعليه التُّكلان.

مِنْ دَقائقِ أحكامِ الصَّلاةِ وأسْرارِها

الحمد لله، وأشهد أنْ لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىَّ الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أَمَّا بعدُ: فإنَّ الصلاة لا تُجْهَلُ منزلتُها؛ إذْ هي عماد الدينِ، وركنُه الركينُ، وهي طريقُ الفلاحِ، وسُلَّمُ النجاح، وهي للتقوى أساسُها، ولخشية الله تعالى نبراسُها. شَرَعَها الله تعالى مُكرَّرةً باللَّيل والنَّهار لمزيد فضلها، فهي خير الأعمال وأشرف الأفعال. وهي للصالحات الأُسُّ المتينُ، فَمَنْ أتى بها فَعَلى التقوى أسس بُنيانه، واستفتح باب القَبول عند الله ونال رضوانه وجنانَه، وحِيزَتْ له الخيراتُ إذْ أقامها، وسِيقت له المبرَّات فحفَّتْ به ونَشرتْ عليه أعلامها. ألا إنّ الصلاة هي الصلةُ العظمى بين العبد وربِّه، فَمَنْ تركها فقد قطع صلتُه بِمولاه، ومَنْ قطع صلته به سبحانه بَاءَ بغضبٍ منه ولعنةٍ، فكان من المطْرودين الْمُبْعَدين الْمَخْزِيِّينَ في الدنيا والآخرة.

إنَّ الله تعالى أنعم علينا بأنْ أَذِن لنا أن نقف بين يديه ونناجِيَه، وهذه نعمةٌ كبرى لا يَعرف قَدْرَها إلا الْمُوَفَّقون الذين تَقبَّلوها بانشراح صَدْرٍ وارتياح قلبٍ، فقاموا لِرَبِّهم وتلذَّذوا بِمُناجاتهِ، ونالوا القسط الكبير من رحماته. سكنوا إليها؛ إذْ لولاها لَذابَتْ قلوبُهم من الشَّوق إلى بارئِهم واحترقُوا بِنار محبتِه فَرَحِمَهُم، فجعل لهم تَنَفُّساتٍ بها ترتاح أرواحُهُم المشتاقةُ، وتسكن مُهَجُهم التَّوَّاقة. هذه

التنفُّسات هي أوقات الوقوف بين يَدَيْه. وهل لا يُرتاحُ إلى مناجاة الحبيب وعَرْضِ الشَّكْوى عليه؟!. فبالصلاة قرَّتْ عيونُهم فظهرُوا على معارج القُرْبِ، وبلغُوا مُناهُم ﴿ وَالَّذِينَ ٱهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهَمْ ﴾ [محمد: ١٧/٤٧]، قال سيدنا رسول الله ﷺ: «حُبِّبَ إليَّ مِنْ دُنياكم الطِّيبُ والنِّساءُ وجُعلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ» رواه الإمام أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي. فيا وَيْحَ المحْرومين الذين هم ليسوا من هذه الحال في وِرْدٍ ولا صَدَرٍ.

يا أَيُّها العبدُ لِيَكُنْ منكَ على بالٍ أنَّ نِعَمَ الله تعالى عليك كلَّ لحظةٍ لا تُحصى، وبركاته عليك لا تُسْتَقْصَى، وقد نَدَبَك للصلاة شُكراً له على إحسانه المُتوالي، وإنعامه المتتالي، فكيف تُعْرِضُ عنه وهو يطلُبُك؟ أم كيف تَنْأى بِجَنْبِك عن عبادته وهو يدعوك إليها؟ هل هذا إلا لُؤْمٌ يواجِه الكرم، وكفران يقابلُ الإحسانَ؟ على أنَّك مهما عَملتَ ادَّخَرَ لك الثوابَ وَأَوْفاكَهُ أحْوَجَ ما تكونُ إليه. فهو سبحانه مع عظيم فضله عليك يَحُطُّ عنك بالصَّلوة أوزارَك، ويحفظ لك الأجْرَ، ويرفعُ لك بها الدرجاتِ في جنَّةٍ عاليةٍ قطوفُها دانيةٌ، ألا فاقْدُرْ يا أيُّها العبدُ هذا التلطفَ من ربِّكَ قَدْرَهُ، واسمعْ وأطِعْ وأَعْظِمْ له شُكْرَهُ. إياك والعِصْيانَ بِتركِ الصلاةِ فإنه عظيمُ الغائلة، وكفى به أنَّه موجِبٌ سَخَطَ الإلهِ على فاعله، فتاركُ الصلاةِ عَبْدُ سُوءٍ مغضوبٌ عليه، ممقوتٌ مرذَولٌ، بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الخيرِ، يموتُ مِيتةً قبيحةً، ويُبعثُ مَبْعَثاً رديئاً، ويُحْشرُ مُجْرماً لا سَهْمَ له في صالحِ العملِ، ولا نصيبَ له في المُنْجِيات. وأنّى يكون له عملٌ صالحٌ وقد عَمَدَ إلى الأساس فهدمهُ، وقصد إلى باب الفلاح فسدَّه على نفسِه بيَدِه. كيفَ يكون مفلحاً مَنْ باء بلعنة الله وحَظِي بالمقت؟ كيف يكون مُفْلِحاً مَنْ ينادي بلسان الحال على نفسه أنْ لا هِمَّةَ له في إرضاءِ الله سبحانه، ولا رغبةَ عنده في ثوابِهِ؟ كيف يكون مُفلحاً مَنْ توعَّده الله تعالى بِشَديد العقابِ وأعدَّ له أليمَ العذاب؟ نعوذ بالله تعالى من الشَّقاء وأنْ نَزُجَّ بأنفسنا في المهالك.

هذا، ولْيَكُنْ معلوماً أن السَّلف الصالح اختلفوا في كُفْر تاركِ الصلاةِ؛ فذهبَ إليه جمعٌ من الصحابةِ فمَنْ بَعْدَهم اعتماداً على ما صحّ عن سيدنا رسول الله ﷺ من الأحاديث التي تقتضي الجزم بتكفيره وإنْ كان التأويل لها سائغاً عند مَنْ لم يُكَفِّرْهُ وحَكَم له بالإيمانِ إنْ كان تركُهُ إياها مع رسوخ الأدبِ دون استخفافٍ، فإنْ بِهِ كَفَرَ بالإجماع من غير خلافٍ. والقائلون بِكُفْرِهِ هم: أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ ومعاذُ بنُ جَبَلٍ وعبدُ الله بنُ مسعودٍ وعبدُ الله بنُ عباسٍ وجابرُ بنُ عبدِ الله وأبو الدرداءِ، وهؤلاء كُلُّهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وأما القائلون بِكفره من أئمة المذاهب فهم: الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلَ وإسحاقُ بنُ راهَوَيهِ وعبدُ الله بنُ المباركِ والنَّخْعيُّ والحَكَمُ بنُ عُتبةَ وأيوبُ السِّختيانيُّ وأبو داودَ الطَّيَالِسِيُّ وأبو بكر بنُ أبي شَيْبَةَ وزهير بنْ حَرْب.

فياليتَ شِعْرِي ألا يرْحَمُ تاركُ الصلاة نفسه! ألا يرحمُها بعد هذا، وقد سمعَ الخلافَ في كُفْرِهِ! وهل شيءٌ أعزُّ على المؤمن من إيمانه؟ وأيَّ خيرٍ يَجْني إنْ أضاع جوهرة إيمانه النَّفِيسة بتركِ الصلاة وقد علم أنَّ كثيرين حكموا بأنَّ مَنْ ترك الصلاة فقد كفر؟ هذا حُكْم تارك الصلاة في الآخرة، وأمّا في الدنيا فذهب الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلَ رضي الله تعالى عنه في رواية أكثر أصحابه عنه إلى أنه يُسْتتابُ ثلاثةَ أيام، فإنْ تاب وإلاَّ قُتِلَ كُفْراً؛ فلا يُغَسَّلُ ولا يُصلَّى عليه ولا يُدْفَنُ في مقابَر المسلمين. وذهب الإمام مالكٌ والشافعيُّ رضي الله تعالى عنهما إلى أنه يُقْتَلُ حدّاً لا كُفْراً؛ فَيُغَسَّلُ ويُصلَّى عليه ويُدْفَنُ بين المسلمين. وذهب الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه إلى أنه يُحْبَسُ حتى يتوب أو يموت.

واعلموا يا عبادَ الله أنه يتعين عليكم أمرُ أزواجِكم وأولادِكم بالصلاة، هذا فَرْضٌ يَعْصي الله تعالى مَنْ تركه، فَمُروهم واشْتَدُّوا عليهم من غير هوادَةٍ، قال النبي ﷺ: «مُرُوا أولادكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سَبْعٍ، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عَشْرٍ، وفَرِّقُوا بينهم في المضاجِع» رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم.

كثيرٌ من الناسِ يَغْضَبون على أولادِهم إذا فَرَّطوا في طاعتِهم ولا يتحركون للسَّخَطِ عليهم إنْ فعلوا إثماً كتركِ الصلاة ونحوه، وهذا مِنْ قلَّة الدين وضعفِ اليقين، بمكانٍ عظيمٍ، إنه ينبغي أن يكون غضبُ المؤمن لربِّه أشدَّ من غضبِه لنفسِه، ومَنْ غضبَ لنفسِهِ أكثرَ مما يغضبُ لربِّه فهو ضعيفُ الإيمان عظيمُ الخسران. إنَّ بعض الناس يُعَذَّبونَ في الآخرة عذابَ مَنْ ترك الصلاةَ وقدْ كانوا يُصَلُّون في الدنيا لأنَّ أزواجَهم وأولادَهم كانوا يتركون الصلاةَ فلا يَشْتَدُّون عليهم من أجلِها ولا يبالونَ، ومعلومٌ أن كلَّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيته، فاتَّعِظوا يا أيُّها الناس وحافِظوا على الصلوات، ومُروا أهليكم بالمحافظة عليها تُفلحوا وتُرْحَمُوا. والله وليُّ المتقين.

روى البخاريّ ومسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أرَأَيْتُمْ لو أنَّ نَهْراً ببابِ أحدِكم يغتسلُ منه كلَّ يومٍ خَمْسَ مرَّاتٍ، هل يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شيءٌ؟ قالوا: لا يَبْقى مِنْ دَرَنِهِ شيءٌ. قال: فذلك مَثَلُ الصَّلوات الخمس يمحو الله بهنَّ الخطايا». وروى الطبراني في الأوسطِ عن عبدِ الله بنِ قُرْطٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أولُ ما يُحاسبُ به العبدُ يومَ القيامةِ الصلاةُ، فإنْ صَلَحَتْ صَلَح سائرُ عملِهِ، وإنْ فسدتْ فسدَ سائرُ عملِهِ». وروى الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ عن جابرِ بنِ عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بين الرجلِ والكفرِ تركُ الصلاةِ». وروى الإمامُ أحمدُ وأبو داود والنَّسائيُّ عن بُرَيْدَةَ رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاةُ، فَمَنْ تركَها فقد كفرَ». وروى الإمامُ أحمدُ بإسنادٍ جيدٍ والطبرانيُّ في الكبير والأوسطِ عن عبدِ الله بنِ عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنَّه ذكَرَ الصلاة يوماً فقالَ: «مَنْ حافظ عليها كانتْ له نوراً وبُرهاناً ونجاةً يومَ القيامةِ، ومَنْ لمْ يحافظْ عليها لم يكنْ له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ، وكان يومَ القيامةِ مع قارون وفرعونَ وهامانَ وأُبَيِ بن

خَلَفٍ». وروى الطبراني بإسنادٍ لا بأس به عن رسول الله ﷺ أنه قالَ: «مَنْ تركَ الصلاة مُتَعَمِّداً فقد كَفَرَ جِهاراً».

وروى الترمذيُّ: كان أصحابُ محمدٍ ﷺ لا يَرَوْنَ شيئاً من الأعمالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غيْرَ الصلاةِ. وروى البزّارُ عن سيدنا رسول الله ﷺ قال: «لا سَهْمَ في الإسلامِ لِمَنْ لا صلاةَ له، ولا صلاةَ لِمَنْ لا وُضوءَ له». وروى الطبرانيُّ عنه ﷺ أنه قالَ: «لا إيمانَ لِمَنْ لا أمانةَ له، ولا صلاةَ لِمَنْ لا طُهورَ له، ولا دينَ لمن لا صلاةَ له، إنَّما موضعُ الصلاةِ من الدينِ كموضعِ الرأسِ من الجسدِ». وروى البَزارُ وغيره بسندٍ حسنٍ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قالَ: لما قام بصَرِي (أي ذهب مع بقاء صحَّةِ الحَدَقَةِ) قِيلَ: نُداويكَ وتَدَعُ الصلاةَ أياماً. قالَ: لا، إنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «مَنْ تَرَكَ الصلاةَ لَقِيَ الله وهو عليه غضبانُ» أو كما قال عليه الصلاة والسلام. نَبَّهني الله وإيّاكُم مِنْ نَوْمَةِ الغافِلين، وحشَرَني وإياكم في زُمْرة عباده الصالحين، قالَ الله تعالى - وهو أصدقُ القائلين، وبقولِهِ يهتدي المُهْتدون -: ﴿حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لله قانِتِينَ، فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالاً أَوْ رُكْباناً فَإِذا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا الله كَما عَلَّمَكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢/٢٣٨-٢٣٩].

توجيه هام إلى الجمعيات الخيرية (في أحكام إنفاق أموال الزكاة)

الحمد لله والصلاةُ والسَّلامُ على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومَنْ والاهُ، من محمد الحامد إلى جناب أمين الجمعية الخيرية في حماةَ، وَفَّقَهُ الله آمين، السلام عليكم ورحمةُ الله تعالى وبركاتُه، وبعدُ، فَحَبَّذا جَمْعُ الزكاة وصرفُها إلى مُستحقِّيها، قياماً بأمر الله عَزَّ شأنه وتحقيقاً للحكمة التي من أَجْلِها شرعها وجعلها من قواعد الإسلام وأركانه الرَّكينَة. ومما يُعلم ضرورةً أنَّ الله تعالى جعل لهذا المشروع الجليل نظاماً حسناً تجب مراعاته والتقيدُ به ليكونَ المزكِّي على نورٍ من ربِّه، فَتَبْرَأَ ذمَّتُه من هذا الفرض المقدّس بيقين، وإلاَّ فقد

يبقى مشغولَ الذمَّة به من حيث يَظُنُّ أَنَّه فارُغها وما هو به لاختلالِ معرفته، وكان عليه أن يُتقنها، والعلم سابقٌ العمل ولا عُذر بالجهل بالأحكام في دارِ الإِسلام، لكن من أسلم في بلاد مُتَوَغِّلة في البُعد عن الأراضي الإسلامية فهو معذورٌ بجهله الأحكام الفرعية. أما الإِسلام من حيث هو فلا مَعْذرة لِمَن سمع به ثمَّ لم يَتَّبعه إذ الواجب الإلهي يقتضيه بحثاً عن الدِّين الحقِّ، فَمَنْ لم يفعل كان من الخاسرين وحُشر يوم القيامة في زمر الكافرين.

والملاحظاتُ التي أُبديها تتناول الأموال الزَّكَويَّة ومقادير نُصُبها وما إلى هذا ونحوه مما يستدعي بياناً واسعاً. وفي كتب الفقه شفاء ومقنع، والذي ألاحظه أمورٌ قد يُظنُّ أنَّها سائغةٌ وهي غيرها.

١- فأوَّلُ ما تجبُ العناية به دَفْعُ المزكِّي زكاته إلى أقربائه وذوي رحمه المحتاجين، فالأقربون أولى بالمعروفِ سداً لِخَلَّتِهم ووصلاً لِرَحِمِهم، فَمَنْ صَرفَها عنهم وخَصَّ بها البُعداء رُدَّ عليه عملُه ولم يُقبل منه وكان محروماً من الثواب المترتب على العمل، وإنْ سقط الفرضُ عنه، إذْ سُقوطُه لا يعني القَبولَ، فكم مِنْ عملٍ يصحُّ علماً ولا يُقبلُ عند الله و﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٥/ ٢٧] كَمَنْ حجَّ بمالٍ حرامٍ أو تطهَّر بماءٍ مغصوبٍ أو صلى في أرض غيره بلا رضاه.

٢- الزكاة تنفق في مكانها ويُكْره نقلها إلى غيره من البلدان إلاَّ لقريب أو طالب علم أو إلى مَنْ هو أنفعُ للمسلمين أو أَصْلَحُ أو أَوْرَعُ فلتكن الجماعةُ على بالٍ، فلا يكون نقلٌ حتَّى يكون مُسَوِّغٌ.

٣- النِّيَةُ أساسٌ في الزكاة ككلِّ عملٍ، ومحلُّها عند عَزْلِ مقدارِها عن المال أو عند الأداء للفقراء، أو عند دفعها لوكيله، وعلى هذا يَصحُّ لهؤلاء (الجمعية الخيرية) نَصْبُ وكيلٍ عنهم يَقْبِضُها من أغنيائهم ويَرُدُّها في فُقرائهم، ولتحْضُرِ النيةُ المُزَكي عند دفِعها إلى الوكيل.

٤- الزكاةُ مَشْروطٌ فيها الإيتاءُ بالنصّ القرآني، فلا تكفي إباحة الانتفاع بالمأكول أو الملبوس دون تمليكٍ. ونصَّ الفقهاء على عدم جواز بناء مساجدَ أو قناطرَ أو جسورٍ وسدودٍ بمال الزكاة لانعدام الإيتاء، كما لا يُكَفَّنُ منها مَيِّتٌ ولا يُقْضى عنه دينُه منها، حاشا الحَيّ فإِذْنُه في قضاء دينه بها قَبْضٌ منه لها مَعْنىً، وبه يتحقَّق الإيتاءُ، فَلْيُنْتَبَهْ لهذه الدقيقة فلا تُنْفِقوا الزكوات في مشاريعَ لا إيتاء فيها كبناء معملٍ أو مصنع لتشغيل فقرائهم مثلاً، ولا في استئجار دور للدعوة وتغذيةِ الدُّعاةِ بأموالِ الزكاةِ أُجْرَةً لهم، ولا يجوز الإنفاقُ على التعليم في مدارسهم من الزكاة، نعم يصحُّ تمليكُ فقراء المتعلمين أقلاماً وقراطيس وكتباً شُرِيتْ بأموال الزكاة دون اعتبارها عوارِي تُسْتَرَدُّ آخِر العامِ الدِّراسِيِّ.

٥- ومن البديهيِّ أَنَّ الفقر مشروطٌ في الأَخْذِ، إلاّ الذي يَجْعَلُهُ الإمامُ عاملاً عليها لِيَجْمَعَها فَلَه نفقته ونفقةُ أعوانه بالمعروف، ولو كان غنياً، وكذا ابنُ السبيل المنقطع إذا كان له مالٌ في بلدِه فَيُعْطَى ما يَتَمَكَّنُ به من الوصولِ إلى بلده، ومَنْ عداهما فالفقر شَرْطٌ في سقوط الفَرْض بالدَّفْعِ، ولنا الظَاهِرُ، والله يتولى السَّرائرَ.

ولكنَّ الذي يجب التفطن له هو أنَّ هؤلاء (الجمعيةَ) إذا ابْتَعَثُوا أحدَهم إلى مصر مثلاً لطلب العلم فلا يَحِلُّ الدفعُ له إذا كان غنياً بِمَلْكِهِ أدْنى نِصاب من الأموال الزَّكَوِيَّةِ، وهو نِصابُ الفضَّة مائتا درهم شرعي (ما يعادل ٧٠٠ سبعمائة غرام فضة). والوجه في هذا ونحوه أن يُدْفع له إن كان فقيراً من صندوق الزكاة في الدّار أقلُّ من نصابٍ، إذ الإغناءُ مكروهٌ، فإذا استنفدَها أو أَوْشَكَ بَعَثْنا إليه بقِسْطٍ آخر، وهكذا حتى تنتهي سَنَتُه الدراسيةُ ويرجعَ إلينا. وفي الختام أشكر للقائمين بالحقِّ جُهْدَهم، وأسأل الله أن يُسْعِدَنا ويُسْعِدَ بنا، وهو وليٌّ التوفيق والسلام.

مِنْ صُوَرِ التَّكافُلِ الاجتماعي في الإسلام

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، اللَّهُم صلِّ وسلِّمْ وبارِكْ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وذريته وسلمْ تسليماً، أُوصيكم بتقوى الله، وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

أمّا بعدُ: فإنَّ الفقراء في بلدنا يَلْقَوْنَ من الفَقْرِ عَنتاً ومن الإقلال جُهْداً؛ يَنْطَوون على أنْفُسهم وبها عظيم الحاجة إلى الضروريات فَضْلاً عن الحاجيَّات والكماليَّات. إنَّهم يطلبون الطعام لهم ولأزواجهم وأطفالهم، والطعامُ لا غُنْيَةَ لبشرٍ عنه، ولابُدَّ له منه. إنَّهم يَطْلُبون هذا الْمُهِمَّ الذي بخل النّاس عليهم به وتجاهلُوا ما يُصيبُهم من شدائد قد تَخْرُجُ بأحدهم عن دينه، وهو أَجَلُّ الْمُتَمَسَّكاتِ، ولكنّه الفقر والحاجة يَعْملان في النَّفس عَمَلها حتى يُزَحْزحَاها عن صراطها ويُوقِعاها فيما تَأْباه وتَمْقُتُه، وقد كاد الفقر أنْ يكون كُفراً.

كثيراً ما طلب إليَّ أولئك الْمُعْدَمون تذكير الناس بهم أيّام الْجُمَعِ ليرْفِدُوهم ويُسْعِفوهم، ولقد كان بعضٌ منهم يَبْكي إليَّ بكاءَ الأطفالَ ويقول لي: إنِّي عاجزٌ عن الكسب كما ترى، وإنَّ عندي ثماني أنفسٍ تطلب القُوت، فأين أذهب، وماذا أصنع؟ ذَكِّرْ بي المسلمين، اجْمَعْ لي يوم الجمعة ما يَسُدُّ رَمَقَنا، أفأذهب إلى الكَفَرَةِ لِيُعينوني إنْ لم يُعِنِّي إخواني المسلمون؟.

مَشهدٌ مؤلمٌ أيُّها المسلمون يبعث الرحمة ويُوقظُ الرأفة، ولم يكنْ منِّي إلاَّ الاعتذارُ لأولئك البؤساء بأنَّ الشُّحَّ مُسْتَوْلٍ على القلوب وهو مطاعٌ، وأنَّ الدُّنيا مُؤْثرةٌ على الآخرة، إنَّ بعض المسلمين بلغتْ بهم رقَّةُ الدِّين إلى اتِّهام البُرَءاءِ الذين يقومون بالجمع للفقراءِ بما ليس فيهم، إنهم يظنُّون بهم الظُّنونَ، حتى صار الوُقوفُ لِجَمْعِ الإعاناتِ للمُعْوِزِينَ شاقّاً عليهم.

ما أسرعهم إلى الاتهام بشتى أنواعه، وما أشدَّ تصديقهم له حتى لكأنَّه وحْيٌ

مُنَزَّلٌ، وما أكثر اتّباعهم للظّنّ رَجْماً بالغيب؛ كأنّهم لم يقرؤوا قول الله تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولَئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ١٧/٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٤٩/١٢]. وكأنّهم لم يقرؤوا القرآن، ولم يسمعوا قوله عليه الصلاة والسلام: «إيّاكم والظّنَّ فإنَّ الظّنَّ أكذبُ الحديث» أخرجه مالك في الموطأ وأحمد في مسنده ومسلم عن أبي هريرة.

أقولُ بهذه المناسبة: إنَّ بعض الناس اليوم في حال من التَّدَنِّي الخُلُقيِّ تجعل المُصْلِحين في حَيْرَةٍ حائرةٍ وموقفٍ حرجٍ، فلا هم يقبلون الإصلاح، ولا هم يقفون الموقف السَّلْبِيَّ من المصلحين، بل يحاوِلون طَمَّهُم في بُؤَرٍ من التُّهم الكاذبة والإرجافات الخاطئة، والله شاهدٌ على الضَّمائر قاضٍ بين خَلْقِهِ بِعَدْلِهِ، فَمُجازٍ للعاقّين بعقوقهم وللظّالمين بظُلْمِهم، وهو العزيز الحكيم.

التُّهَمُ الموجَّهةُ إلى المصلحين حِيَلٌ يحيكُها إبليسُ وجنودُه من شياطين الإنس والجنِّ، ترمي إلى زَحزحةِ القلوب عن وُثوقها بمن نَصَبهم الله تعالى للوعظ والإرشاد حتى لا يُقْبَلَ نُصْحٌ ولا يُتَّبَعَ هُدى ولا يرتفع صوتٌ بزجرٍ عن منكرٍ. إنّا نضْرب بالتُّهَم الدّنيئة الكاذبة عُرْضَ الحائط لأنّها أحقرُ من أن يُلْتفت إليها، ونَكِلُ الدفاعَ إلى الله تعالى الذي قال وقوله الحق: ﴿إِنَّ اللهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٢٢/٣٨].

إنّ لسان هذا المنبر صارمٌ إسلاميٌّ، حَزَّ وما يزالُ يَحُزُّ وسَيَحُزُّ إنْ شاء الله تعالى في قلوب المُبْطلين الذين يصادمون الإسلام بالعقائد الزّائِغة أو الأعمال الفاسدة، فلا عَجَب إذاً إذا تَنادوا للحملة عليه وإلصاق تُهم يعلمُ الله وصالحو المؤمنين أنّه منها براءٌ، وقديماً افترى الكاذبون على رسولِ الله ﷺ ثم طاحتْ

فِراهُم وذابت أكاذيبُهم ونصع وبدا بنوره، وكذا الشَّأنُ في الرسل عليهم الصَّلاةُ والسلام ومنْ على سننهِم من المصلحين.

سَلُوا أصحاب العلاقة في الموضوع: هل زُرْتُهم في نادِيهم الخاصِّ؟ وهل شربتُ منهم فنجان قهوةٍ فضلاً عن تَقَبُّل مالٍ أو متاعٍ؟ إنني في عيشٍ رغدٍ - والحمد لله - ولا حاجة بي إلى الأغنياء، ولا أَبيعُ قلبي بِمِلءِ الأرض ذهباً إنْ شاء الله تعالى. إنَّني حاولتُ في الموعظة توجيه قوم كان قدماؤهم صالحين، لِيَنْهَجُوا نَهْجَهم، ولا شأْنَ لي في ا لانتخابات ولا في السياسة الحزبية، فنحن معشر أهل العلم أبعدُ الناس عنها.

كنتُ أصرفُ أولئك الفقراء الطّالبين للمعونة معتذراً وقائلاً: إنّي لا أريدُ تذكيرَ الناس بكم ما داموا على ما وصفنا، فينصرفون بخيبةِ أملٍ وانهدام رجاءٍ، وأرجعُ أنا إلى نفسي بألمٍ واحتراقٍ على جائعين، فيهم نساءٌ وفيهم أطفالٌ، وفيهم عَجَزةٌ، ولو علمتُ حُسْنَ الظَّنِّ بمن يقفُ للجَمْع موجوداً عند الجميع ومقروناً به الجود والسخاء لبالَغتُ في الحضِّ على جمْع التبرعات والإحسانات للمعْوزين، ولَوقف الخيِّرون للجَمْع، ولكنَّ المانع قائمٌ وسوءُ الظنِّ مُتَحَكِّمٌ.

أَيُّها الناس، بل أَيُّها الرُّحماء منهم، فمالنا وللْقُساة أبعدَهُم الله: قوموا بأمر الفقراء، فإنّهم إخوتكم في الدين والدَّم، وإنّ الله تعالى سائِلُكم عنهم، سؤالُه - جلَّ وعلا - شديدٌ، وعذابُه حاضرٌ عتيدٌ. والله إنَّ حال الفقراء مؤسيةٌ مُبكيةٌ، وإنّ الجهدَ قد أضرَّ بهم، ولولا سُتُورُ الله المُرْخاةُ عليهم لتكشَّفوا لنا عن فواجع ومُخْزِناتٍ، ولكنَّ الله لطيفٌ خبيرٌ.

الزكاة الزكاة، إنها حقُّهم عندكم. وقِسْطُهم في أموالكم، ولا يَحِلُّ لكم مَنْعُ هذا الحقِّ ولا تأخيرُه، وليس من الضَّروريِّ أنْ يكون الأداءُ في رمضان، وإنْ كان أفضلَ، مَنْ كان رأسُ حَوْلِه رمضان - أيْ مَنْ مَلَكَ النِّصاب المالي في رمضان، فليدفعْ في رمضان المقبل، ومَنْ كان رأسُ ماله رَجَباً - مثلاً - ففي

رجب، ومن كان جُمادى ففي جمادى.. وهكذا، كلُّ امرئٍ يدفعُ الزكاة حيث تجبُ عليه - أي في رَأسِ حَوْلِهِ هو - مِنْ غير إِرْجاءٍ ولا إِمْهال. ولا مانعَ من أنْ يتقدمَ المرء بالزكاة قبلْ رأس الحول، ولا مانعَ أيضاً مِنْ أنَ يُوَزعَها على أجزاء الحولِ، كلُّ هذا لِيبقى الرِّفْدُ متصلاً والعونُ مُطَّرِداً إبراداً لحرارة الفقر وكفكفةً من حدَّتِهِ.

ما بال جمعياتِ المحلاّتِ لا تعمل ما يتوجبُ عليها في هذا الموضوع! إنَّ كلَّ محلَّةٍ أَوْلى بفقرائها. ومركز الجمعية هي الدار العامةُ للمحلَّةِ، وعلى الجميع واجبُ العمل لإنقاذ البائسين من جحيم البؤس والشدَّة، عليهم تقعُ تَبِعَةُ ما نرى من فَواجِعَ ومُحْزِناتٍ، وإنَّ القوم إذا بات فيهم امْرؤٌ جائعاً بَرِئَتْ منهم ذمَّةُ الله كما ورد في الحديث الشريف عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

أيُّها الناسُ اتَّقوا الله ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٥/٢] وطَهِّروا أنفسكم ممّا لا يُرضي عنكم ربَّكم ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُوا وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوْا ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٢٢/٧٧] روى ابن ماجه عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: خطبَنا رسولُ الله ﷺ فقال: «يا أَيُّها الناسُ تُوبوا إلى الله قبلَ أنْ تموتوا، وبادِرُوا بالأعمال الصالحةِ قبلَ أنْ تُشْغَلُوا، وَصِلُوا الذي بينكم وبينَ ربِّكم بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُم له وكثرةِ الصدقةِ في السّرِّ والعلانيةِ تُرْزَقوا وتُنْصرُوا وتُجبرُوا».

وروى مسلمٌ في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقولُ العبدُ: ما لي مَالِي، وَإِنَّما لَهُ مِنْ مالِه ثلاثٌ: ما أَكَلَ فَأَفْنى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلى، أَوْ أَعْطى فَاقْتَنى، وما سِوى ذلكَ فهوَ ذاهِبٌ وتارِكه للنّاسِ».

وروى البخاريُّ والنَّسائيُّ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّكم مالُ وارِثه أحبُّ إليه من مالِهِ؟» قالوا: يا رسول الله ما مِنّا أحدٌ إلاّ مالُه أحبُّ إليه، قالَ: «فإِنَّ مالَه ما قدَّمَ، ومالُ وارثِهِ ما أخَّرَ».

قال الله تعالى، وبقولِهِ يَهتَدي المُهتَدون: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَني إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَلَنْ يُؤَخِّرَ الله نَفْساً إذا جَاءَ أَجَلُها وَالله خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٦٣/ ١٠-١١].

في الصدقات والبيوع ووحدة المسلمين

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، اللَّهُمَّ صلِ وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وذُرِّيته وورثته وتابعيهم بإحسانٍ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله تعالى وطاعتِهِ عزَّ وجلَّ، وما توفيقي ولا اعتصامي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أمّا بعدُ: فموضوع خطابي في هذا اليوم أُمورٌ:

أولها: أنَّ السادة الحنفية يُجيزون في صدقة الفطْر إخراج القيمة بدلاً عن العَيْنِ، وقالوا: إنَّه أفضل في أيام الرخاء، لأنه أسرع في قضاء حاجةِ الفقير، ولكنَّ بعض الناس لجأ إلى إخراجها بسعر الإعاشة مُحْتَجّاً بأنَّه الثمن الذي يدفعه هو بدلاً عن العين، وهذا غلطٌ ظاهرٌ مِنْ حيث إنَّ فيه غفلةً عن القيمة الحقيقية للعَيْن ليست هي التي تُدفعُ لدائرة الإعاشة. كلاّ بل إنَّها في الحقيقة أكثر، ولكنَّ الحكومة هي التي تتولى دفْع الفرق من خزانتها. وأيضاً فإنَّ هذا المدفوع متفاوت المقدار؛ فالغني يدفع للدَّائرة أكثر مما يدفع الفقير، ولو صِرْنا إلى ما رآه هؤلاء الذين أخرجوا زكاة الفِطر بسعر الإعاشة لكانت قيمتها تختلف باختلاف الأشخاص المُخْرِجينَ، ولا قائلٍ بهذا من الفقهاء، إذاً فالواجب إخراج زكاةِ الفطر بالسِّعرِ المعروف عند تُجّار الحبوب، وإنَّ الذين أخرجوا بسعر الإعاشة لا تزال ذِمَمُهم مشغولةً بالواجب، فعليهم إبراؤُها بدفع الفَرق، وهذا الذي أقوله لكم هو نتيجة التَّذاكر مع (أمانة الفتوى) في هذا البلد؛ أي إنِّي لم أتفرد به، فافهموا.

ثانيها: أنَّه من المعلوم أنَّ الأعشار التي كانت تُؤخذ من أصحابها هي في الحقيقة زكاةُ الزُّروع، وكذا ما يُؤخذ من أرباب المواشي السائمة. إنَّ هذا كلَّه هو في الأصل زكاةٌ، وكان أمراءُ المؤمنين يضعونها حيث أمر الله تعالى في المصرف الشَّرعيِّ الذي ذكره الله عزَّ وجلَّ في قوله الكريم: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٩/ ٦٠]. فَمَنْ يحتسبُ منهم ما يدفعُه ضريبةً للإنتاج زكاةً فهو غالطٌ غلطاً فاحشاً، ومثلُه مَنْ يرى ضريبة أرباح الحِرَفِ الحديثة زكاةً أيضاً محتجاً بأنَّ الجباة لها فقراء يصحُّ دفع الزكاة لهم. وليت شِعْري هل يأخذ هؤلاء الجباةُ ما يَجْبُونَه لأنفسهم أم للحكومة التي ناطت بهم هذا العمل؟ أيُّها النَّاس اعقلوا عن ربِّكم سبحانه، وافهموا، واعلموا أنَّ هذه الموارباتِ والمخاتلات لا تُجديكم نفعاً، فالنَّاقدُ بصيرٌ، وهو عليمٌ خبيرٌ، يعلم خَفِيَّاتِ الخواطر ومكنونات الضمائر ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٧/ ١٥].

ثالثها: أَنَّ ناساً يتعاطَوْنَ نوعاً من البيوع هو قمارٌ صرفٌ؛ يأتي عددٌ من المشترين إلى بائعٍ يبيع بالرَّقم فيشتري كلٌّ منهم رقماً من الأرْقام التي عنده، والسِّلعة في أحد الأرقام، ثم يُكشف الغطاء عن واحدٍ منها خبِّئَ وراءه الشَّيء المبيعُ، فيأخذُه صاحب ذلك الرقم من دون المشترين، فيكون هو الرابحَ وحدَه، ويخسر الباقون كلُّهم أجمعون جميع ما دفعوه من الأثمان وينصرفون بالخيبة والفشل.

هذا البيع من فروع اليانصيب الممقوت الذي هو قمارٌ منْ غير شكٍّ، وهو أُحْبولةٌ شيطانيَّةٌ تُصطاد بها دراهمُ الحمقى والمغفَّلين الذين يطمعون في غير مَطمَعٍ، فيخسرون الدُّنيا والآخرةَ، ذلك هو الخسران المبين.

أَيُّها الإخوان: كم من فرق بين سلف هذه الأمة وخَلَفِها في أمْر الكسب وما

يدخل الجوف من الغذاء؛ كان السَّلف رضي الله تعالى عنهم يتحرَّون تحصيل المال من حِلّه بِوَجهٍ تطمئنُّ إليه قلوبهم وتسكن نفوسهم، ويبتعدون عن كل ما يحوك في القلب ويتردد في الصّدر لأنه من الإثْم عملاً بقول النبيّ ﷺ: «البِرُّ ما اطْمأنّتْ إليه النّفسُ واطْمأَنَّ إليه القلب، والإِثْمُ ما حاكَ في النّفس وتردّدَ في الصدْرِ وإِنْ أفْتاكَ النَّاسُ وأَفْتُوكَ». أخرجه الإمام أحمد والطبراني.

وإذا كانت هذه حالهم فيما للتأويل فيه مساغٌ ويتردد في النَّفس حِلُّه وحرمته فهم إذاً قطعاً مبتعدون كلَّ الابتعاد عن الحرام الواضح الصريح، حتى لقد كانوا يفتشون كلَّ شيءٍ دخل في أيدِيهم إلى سابع يد استولت عليه في الحِلِّ، وبعضُهم إلى عاشر يَدٍ في الحِلَ أيضاً، ثم بعد ذلك يأذنون لأنفسهم في استعماله، وإنْ لم يكن كذلك لم يستعملوه. وهذا المطلب مُتَعذرٌ في هذا الزمنِ، فيكفي إذاً تفتيش أوَّل يَدٍ نأخذ منها، ولا نعامل مَنْ مالُهُ حرامٌ لئلا نأكل الحرام فنهلك، فإنَّ أكْل الحرام بابُ البَوار وطريق الدّمار، ومَنْ لم يبال مِنْ أين يكتسب ويأكل لم يبال الله تعالى به مِنْ أيِّ بابٍ أدخله النَّارَ. وقد سئل سيدنا رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النّار فقال: «الفَمُ والفَرْجُ». وقال ﷺ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لحمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ» أخرجه الطبراني. والسُّحت هو الحرام والخبيث من المكاسب. وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «لا يدخلُ الجنةَ جسدٌ غُذِيَ بِحَرام» أخرجه البيهقي عن أبي بكر. وقالَ ﷺ: «ليأتين على الناسِ زمانٌ لا يُبالي المرءُ بما أَخَذَ من المال بحلال أو بحرام» أخرجه أحمد في مسنده وأخرجه البخاري في لفظ قريب، فهناك لا يستجيبُ الله تعالى لهم دعوةً.

فتحرَّوْا يا أيُّها النّاس أكْلَ الحلال في اقتصادٍ، وكونوا من الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتُروا وكان بين ذلك قواماً، ولا تَسْتَهْوِيَنكُم الشياطين فَتَتَقَحّموا في النَّار تَحْدُوكم الآمال الكاذبة والأمانيُّ الباطلة.

رابعها: ظاهرةٌ جميلةٌ سارَّةٌ رأيتها في هذا العيد ملأتني سروراً وغمرتني

حبوراً، تلك أنَّ تَزاوُرَ الأحْياء والمَحلاَّت كان بالغاً حدّاً عالياً في النَّشاط. فكنت أرى زعماء الأحياء وكبارهم يتقدمون إخوانهم في السَّير إلى إخوان آخرين ليُصافحوهم ويُعانقوهم ويُجَدِّدوا عهود المودّة والإخاء، فكان مشهداً رائعاً حقاً؛ جموعٌ تَغْشى جموعاً وأجسادٌ تُعانق أجساداً، وأيدٍ تصافح أَيْدِياً، فتهتزُّ القلوب لهذا التّصافح، وتختلط الأرواح اختلاطاً أخويّاً، وتتجاوب تجاوباً ودِّياً، فيتناجى الإخاء وينطق الابتسام.

ما أجمله منظراً لو صحَّت فيه النِّيّات، ونرجو أنْ تكون صحيحةً، وأنْ لا تضيعَ الجهود المبذولة لتحقيق المقاصد الشّريفة. ومتى يا تُرى يَعقل المسلمون معنى الوحدة الذي جعله الله تعالى ظاهراً في العقائد والأعمال: ربٌّ واحدٌ، ورسولٌ واحدٌ، وكتابٌ واحدٌ، ودينٌ واحدٌ، وصلاةٌ واحدةٌ، وقبلةٌ واحدةٌ، وآمالٌ مُتشاركةٌ، وآلامٌ مُتجاوبةٌ.... أليست كلُّ هذه حافزةً لنا إلى أن نكون كرجل واحد يسعى إلى هدفٍ واحدٍ؟! اللَّهُمَّ ألهمنا رُشْدنا، وأعذنا منْ شرور أنفسنا، واقطع كلَّ قاطعٍ يقطعنا عنك ويحول بيننا وبين الغاية التي تُرضيك. إنَّك سميعٌ عليمٌ بَرٌّ رحيمٌ.

أيها الإخوان: أنتم تَرون أنَّ الشُّعوب قد استحالت إلى كُتلٍ كبيرةٍ يضرب بعضها بعضاً، ولم يعد للأُمم الصّغيرة كيانٌ مُحترمٌ، إذ هي ذائبةٌ في غيرها، وإنَّ القوة للكثرة والعزَّة للكاثر، ونحن المسلمين كثيرٌ والحمد لله، ولا ينقصنا إلاَّ التَّداني والتّماسك وتشكيل كتلةٍ إسلاميَّةٍ كبيرة لا يأكلها آكلٌ ولا يبتلعها مُبْتَلِعٌ. وهذا المطمح طريقه الالتئام والإخلاص وذوبان الفرد في المجموع، بحيث لا يعمل عاملٌ لنفسه بل للأمَّة ومن الأمَّة وإلى الأمّة في اتّحادٍ وثباتٍ. والله تعالى ربنا، نِعْم المولى ونِعْم النصير.

يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ اسْتِبَاقًا

الحمد لله الذي أمر بالتّسابق في ميدان الصّالحات، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله أذِن لنا أنْ نَتنافس في الخيرات، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله. اللّهُم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا ومولانا محمدٍ وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه. أوصيكم عبادَ الله ونَفْسي بتقوى الله، وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أمَّا بَعدُ: فقد أخرج الإمام أحمدُ ومُسْلِمٌ عن جَرِيرِ بنِ عبدِ الله البُجَلي قالَ: كُنّا عندَ رسولِ الله ﷺ فِي صَدْرِ النَّهارِ، فَجاءَهُ قومٌ عُراةٌ مُجْتابِي النِّمار أو العَبَاء - أيْ لَبِسُوها وقد خرقوها في رُؤُوسِهِمْ - مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عامَّتُهُمْ بَلْ كُلُّهم مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وجهُ رسولِ الله ﷺ لِمَا رَأى بِهِمْ مِنْ الفاقَةِ، فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرجَ، فَأَمَرَ بِلالاً فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، ثُمَّ صَلَّى، ثم خَطَبَ فقَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ إلى آخر الآية، والآيةُ الأُخْرى التي في آخِرِ سورة الْحَشْرِ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ إلى آخرِها، يَتَصَدَّقُ رَجَلٌ مِنْ دِينارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حتى قالَ: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فجاءَ رجلٌ مِنَ الأَنصار بِصُرَّةٍ كادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْها، بَلْ قدْ عَجزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعام وثِيابٍ، حتَّى رَأيتُ وجه رسولِ الله ﷺ يَتهلَّلُ كأَنَّهُ مُذْهَبةٌ - أي صَفَا واسْتَنارَ - فَقالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً فَلَهُ أَجْرُها وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِها بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجورِهِم شَيءٌ، وَمَنْ سَنَّ في الإِسلام سُنَّةً سَيِّئَةً كانَ عليهِ وِزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزارِهِم شَيْءٌ» رواه مسلم في كتاب الزكاة (باب الحث على الصدقة).

سُقْتُ لَكُم هذا الحديث الشريفَ بمناسبة ما نَشَرَته صحيفة (التّوفيق) الحمصِيَّةُ مِنْ أَنَّ بعضَ الأَجْوادِ في حمصَ تَبَرع بمبلغ كبير، وَوَضَعَها تحتَ

تَصَرُّفِ الصّحِيفةِ المذكورةِ لِتُنْفِقَها على الفقراءِ والمحتاجين، وفي الوقت نفسِهِ راجَعَ الإدارةَ عددٌ من أَهلِ الخيرِ والإحسانِ وَأَبْدَوْا رَغْبَتَهم في أنْ يُفْتَتَحَ اكْتِتابٌ على صَفَحاتِ (التَّوفيق) بما تجودُ به أَيْدِي المحسنينَ، قليلاً كانَ أَمْ كثيراً، لِيُنْفَقَ على المُسْتَحِقِّينَ بمناسبةِ قُرْبِ شهرِ رمضانَ المباركِ وبمناسبةِ ظُرُوفِ الغَلاءِ العصيبَةِ التي يَرْزَحُ الكَثيرونَ تَحْتَ شِدَّةِ وَطْأَتِها. وبعدَ أنْ شَكَرَ المُحَرِّرُ لِهؤلاءِ الكِرامِ عَمَلَهم المَبْرورَ وأَبْدى اغْتِباطَه وإِعْجابَه بهذه الرُّوحِ الطَّيِّبَةِ والظَّاهرةِ الحَمِيدَةِ، أَعْلَنَ افْتِتاحَ الاكْتِتابِ واسْتَنْدَى أَكُفَّ ذَوي الخيرِ والإحسانِ واليَسارِ لِيَبْذُلوا ما تجودُ به أنفسُهم في سبيلِ إسعافِ إخوانِهم من أبناءِ حمصَ الفقراءِ.

سَيَتَابعُ الحِمْصِيُّونَ - إنْ شَاءَ الله تعالى - إلى هذا الاكْتِتابِ، وسيَكُونُ مِنْ وَراءِ ذلكَ تخفيفٌ لِوَيْلاتِ المُصابينَ ومَسْحٌ لِدُموعِ المَنكوبينَ بِيدِ الجُودِ والإحْسانِ، وإنَّ المُتَبَرِّعَ الأَوَّلَ لَهُ مِنَ الأجْرِ مِثْلُ ما لِجَميعِ المُتَبَرِّعينَ مَعَ الاحْتِفاظِ بحُقوقِهِم كما سَمِعْتُم في الحديث الشَّريفِ.

لا أَكْتُمُكم أنْ قَدْ أَدْرَكَني مِنَ الغِيرةِ عِندَ قراءةِ هذا النّبأ كَالَّذي يُدْرِكُ المتَنافِسينَ في الخَيْرِ، ورأيتُ أنْ أُذَكِّرَ أَهلَ بَلدِي بما صَنعَ جِيرانُهم رَجاءَ انْقداحِ نارِ الغِيرةِ في قلوبِهِم، فَيَصْنَعُوا صُنْعَهم؛ وهُمْ مَنْ قَدْ عَرَفْتُ جُوداً وَكَرَماً، وَهُمُ الذينَ كَانُوا وما زَالُوا حامِلينَ قصبَ السَّبْقِ فِي مِضْمَارِ المُسابقَةِ إلى البرِّ والإحْسانِ.

فَمَنْ مِنَ المُوسِرِينَ يتقدمُ الجميعَ ويَفْتتحُ اكْتِتاباً حَمَوياً كَذلِكُم الاكتِتابُ الحِمْصيُّ؟ ورُبَّما أُعْلِنُ عَنِ اسْمِهِ وأَسْماءِ مَنْ يَتَّبِعُهُ إمَّا في صَحِيفةِ (التوفيق) نَفْسِها وإمَّا فِي نَشراتٍ خاصّةٍ، ويكونُ لَهُ القِسْطُ الأَوْفى مِنَ الأَجْرِ بِنَصِّ سيدنا رسول الله ﷺ. يجبُ أَنْ لا تكونَ (حماةُ) أَقلَّ انبعاثاً إلى عملِ البِرِّ مِنْ أُخْتِها (حِمْصَ) لاسيَّما ونِسبةُ الفقراءِ فينا أكثرُ مِنْها فِي سِوانا. على الشّبابِ المُتَدَيِّنِ الغَيُورِ أَنْ يرفعَ اللِّواءَ ويفتحَ بابَ الاكتتابِ، وَأرجو أن يَنْثالَ عليهم الأجوادُ المُحسِنون انْثِيالاً مُدْهِشاً تَقَرُّ بِهِ العُيونُ.

لاَ نَبْغي مِنْ وراءِ هذا الاكْتتابِ أَنْ يقعَ النَّاسُ في الرِّياءِ، فإنَّ الله تَعالى لا

يَقْبلُ مِن العملِ إلاَّ ما خَلُصَ لوجهِه الكريمِ، ولكنَّما نُريدُ أنْ يَتَسابقَ النَّاسُ إلى المُسَاهمةِ في هذا العملِ الطَّيِّبِ، والله تَعَالى أذِنَ في هذِهِ المُسابقةِ بِقَوْلِهِ الكريم: ﴿سابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَالله ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٥٧/٢١]، وأَمَرَ بالتَّنافسِ المحمودِ بقولِهِ الشَّريفِ: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٨٣/٢٦]. والتّنافسُ المحمودُ ما كانَ خالياً عن الرّياءِ والحَسَدِ المَذْموم، وقدْ كانَ هذا التّنافُسُ شَأْنَ السَّلَفِ الصَّالحِ؛ كانتْ قَبِيلتا الأَوْسِ والخَزْرَجِ - سُكَّانَ المدينةِ الشَّريفةِ - تَتنافَسانِ في رِضا رسولِ الله ﷺ، فَلا تَعْمَلُ الأوْسُ عَمَلاً إلاَّ سَبَقَتْها الخَزْرَجُ إلى مِثْلِهِ، وقد سَمَّى النَّبِيُّ ﷺ كُلاًّ أَنْصاراً، ولَحِقَ بِربِّهِ تَعالى وهُوَ رَاضٍ عَنِ الجَميع، ولَمَّا جاءَ المُهاجِرون تنافسَ فيهمُ الأَنصارُ، فَأَقْرَعَ النَّبِيُّ بينهما، فَما نَزَلَ مُهاجِرِيٌّ على أَنْصاريٍّ إلاَّ بِقُرْعَةٍ، وكانَ أَبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما يَتَسابقانِ إلى المكارِمِ، فلمَّا حَضَّ رسولُ الله ﷺ على تَجْهِيزِ جَيْشِ العُسْرَةِ إلى تَبوك قَالَ عُمَرُ اليَوْمَ أَسْبِقُ أبا بكرٍ، فذهبَ وَأَتى بنصفِ مالِهِ، فَوَجَدَ الصّدِّيقَ قدْ أَتَى بِكُلِّ مالِهِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ لِعُمَرَ: ماذا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ فقالَ: أَبْقَيْتُ لهم نِصْفَ مالي، وقالَ لأَبِي بَكرٍ مِثْلَ ذلك، فقالَ: أبقيتُ لهم الله ورسوله، فقالَ النبيُّ ﷺ: بَيْنَكما ما بَيْنَكما، فقالَ عمرُ لأَبِي بكرٍ لا سَابَقْتُكَ إلى خَيْرٍ أبداً. أَيْ لَمَّا ظَهَرَ لَهُ مِنْ أَنَّ الصِّدِّيقَ لا يُلْحَقُ، وذلكَ فَضْلُ الله يُؤْتيه مَنْ يشاءُ.

وقال ﷺ: «لا حَسَدَ - أَيْ حَسَدَ غِبْطَةٍ - إلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ الله مالاً فَسَلَّطَه على هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورَجُلٌ آتاه الله حِكْمَةً فهو يَقْضِي بِها ويُعَلِّمُها» مُتفقٌ عليه.

أَتى فقراءُ المهاجِرينَ رسولَ الله ﷺ فقالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُور بالدَّرَجاتِ العُلَى والنَّعِيمِ المُقِيمِ، فقالَ: «وما ذاكَ؟» فقالُوا: يُصَلُّونَ كَما نُصَلِّي، ويَصومُونَ

كَما نصومُ، وَيَتَصَدَّقون وَلا نَتَصدقُ، ويُعْتِقُون وَلا نُعْتِقُ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكم، وَتَسْبِقونَ بِهِ مَنْ بَعدَكم ولا يكونُ أحدٌ أَفْضَلَ مِنْكم إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ ما صَنَعْتُم؟» قالُوا: بَلى يا رسولَ الله، قالَ: «تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثاً وثلاثين مرَّةً». فَرَجَعَ فِقراءُ المُهاجِرينَ إلى رسولِ الله ﷺ فَقالوا: سَمِعَ إِخْوانُنا أَهْلُ الأَمْوالِ بما فَعَلْنا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فقالَ رسُولُ الله ﷺ: «ذلكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ». متفق عليه. وهذا لَفْظ روايةِ مُسْلِم.

والحاصِلُ أَنَّ على المُسْلم المؤمنِ أَنْ يكونَ عَليَّ الهِمَّةِ، فَإِنَّ عُلُوَّ الهِمَّةِ مِنَ الإيمانِ؛ عليهِ أَنْ لا يَتَقاعَس عَنْ عَمَلٍ مَجيدٍ قامَ بهِ إِخْوانُه، على المسلمينَ أَنْ يَنْبَعِثوا إلى الأعمالِ الخَيْرِيَّةِ في كلِّ وَجْهٍ، وإِنْ ضاقتْ عليهم سُبُلُها لَكَثْرتِهِمْ فَلا بَأْس بَأَنْ يَضْرِبوا القُرعَة فِيما بَيْنَهم أَيُّهُمْ يَقُومُ بها، وقد أشار النَّبيُّ ﷺ إلى هذا المعنى بِقَولِهِ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما في النِّداءِ والصَّفِّ الأَوَّلِ ثمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، ولَوْ يَعْلَمونَ ما في التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إليهِ، ولو يَعْلمونَ ما في العَتَمةِ والصُّبْحِ لأَتَوْهُما ولَوْ حَبْواً». رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فَهيّا عبادَ الله إلى المكارِمِ، استَبِقُوا إِليها بِخُلُوصِ نِيَّةٍ، وَأَرُوا الله مِنْ أَنْفسِكم ما يحبُّ، فَإِنَّ الله يحب مَعَالِيَ الأُمُورِ ويَكرَهُ سَفْسَافَها. أَلاَ إِنَّ الله كَرِيمٌ يُحِبُّ الكُرَمَاءَ، ورَحِيمٌ يَرْحَمُ الرُّحَماءَ، ومُحْسِنٌ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُحسِنِينَ، ﴿وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣/ ٩٢].

وبعد: فَإِنِّي أُذَكِّرُ إِخْواني بِوُجُوبِ الثَّباتِ على المُطالَبَةِ بِتَأْمِينِ الإعاشَةِ على قَدَمِ المُساواةِ بين أبناءِ المحافظاتِ، يجِبُ الثَّباتُ على هذا المَبْدَأ حتى نَصِلَ إلى نَتِيجَةٍ حَسَنَةٍ بِعَونِ الله تعالى: إِنّنا نُطالبُ بِحَقٍّ هُوَ لَنا، وَلَيْسَتِ القَضِيَّةُ قضيةً ثوريةً ولا حِزْبِيَّةً، إِنَّما هي قضيةُ خُبْزٍ لا أَكْثَرَ ولا أقلَّ. وكَما أُوصي إخواني بهذا

أوصِيهم أيضاً بأن تكون مُطالبتُهم بالأساليبِ المشروعةِ وضمنَ الطَّريقِ القانونيةِ، بهذا نرجو رَجاءً قويّاً أنْ تَنحَلَّ الأَزْمَةُ انْحِلالاً يَرْضى عنه الجميعُ.

وعلى هذا فما أَظنُّ أحداً من العُقلاءِ يَسْتَحْسِنُ أن يكونَ طلبُنا المعقولُ مَقْروناً بالنَّهْبِ والسَّلْبِ والتَّراشُقِ بالشَّتائم المؤذية، هذا لا وَجْهَ له ولا مُبَرِّرَ، وبه تكونُ الحُجَّةُ علينا بَعْدَ أنْ كانَتْ لنا. أَلم تَعْلموا عِبادَ الله أنَّ الله تعالى حَرَّمَ هذا، وأنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ في مَكَّةَ يَوْمَ النَّحْرِ: «إنَّ دِماءكم وأَموالَكم وأَعْراضَكم حرامٌ كَحُرْمَةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بلدِكم هذا». وأَنَّه عليه الصلاةُ والسَّلامُ أَخْبَرَ أَنَّ بعضَ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ يَأْتي بأعمالٍ كأَمثالِ الجبالِ مِنْ صِيامٍ وصلاةٍ وحجٍّ وزكاةٍ، ولكنَّه قد ضربَ هذا وشَتَمَ هذا وأَكَلَ مالَ هذا، فَيَأْخُذُ هذا من حسناتِه وهذا مِنْ حَسَناتِه حتى لا يَبْقى معه حَسَنةٌ، ثُمَّ يَطْرَحُ عليه هذا مِنْ سَيِّئاتِه وهذا مِنْ سَيِّئاتِه حتى يُكبَّ في النّارِ.

إنَّ الظَّرْفَ دقيقٌ، وإنَّنا بالتَّصَرُّفِ غيرِ المعقولِ نَجُرُّ على أَنْفسِنا البَلاءَ، ونَقْضي على الغايةِ التي نَسْعى إليها، على العُقَلاءِ أَنْ يَتَولَّوا الأُموَ ويُدِيروا دَفَّتَها بِحِكْمَةٍ، وعلى أَوْلِياءِ الأمورِ - وَفقَهُم الله - أَنْ يُحَقِّقوا للشَّعْبِ رَغَباتِهِ، فَإِنَّ الرَّاعِي مَسْؤولٌ عن الرَّعِيةِ، وَحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكِيلُ.

في أَموالِ الأَغنياءِ ما يَسَعُ الفقراء

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُهُ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومَنْ اتَّبعَهُم بإحسان. أوصيكم عبادَ الله وإيّاي بِتَقْوى الله، وما توفيقي ولا اعتصامي إلاَّ بالله.

أَمَّا بعدُ: فالرِّزْقُ بيدِ الله تعالى؛ يُكَثِّرُهُ على أقوام، ويُقَلِّلُه على آخرين ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر: ٣٩/٥٢]. فَاوَتَ الله سبحانه بين عباده في الرِّزْق، وهو في هذا غيرُ جائرٍ

على أحد مِنْ خَلْقه، إذِ الْمُلْكُ مُلْكُهُ، والأمرُ أمرُه، وحكْمَتُهُ - عزَّ وجلَّ - اقتضت هذا التّفاوت بين الناس لِيُعْمَرَ الكَوْنُ ويَبْلُغَ الأجل ا لذي أجّل له. ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣/٣٢] إلاَّ أنَّه يجب التَّنبه إلى أنه تعالى لا يُغْني أحداً لأَنَّه يستحق الغنى، ولا يُفقِرُ آخرَ عبثاً، ولكنْ قد يرأف الله سبحانه ببعض عباده فَيُغْنِيهم لأنَّ الغِنى يُصْلِحُهم، ويصون آخرين عن بطر الغِنى وطغيانه فيرزقهُم ما لا تَجْمَحُ به نفوسُهم وتطغى. ولو أنَّ الغنى كان بالاسْتِحْقاقِ لما جعل الله قسماً غير قليلٍ مِنْ أعدائه أغنياء، ولما جعل أيضاً كثيراً من أحبابه مُقِلين، وقد يكون الأمر استدراجاً للأوَّلين ورحمةً بالثَّانين لأنَّه ادَّخر لهم الآخرة، إذاً فالأمْرُ إليه جلَّ جلالُه، ولولا ما حاط به عبادَه المؤمنين من اللطف بقلوبهم وصَونِهم عن الضّلال لكانت الحالُ كما أخبرَ سبحانه بقوله الكريم: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْواباً وَسُرُراً عَلَيْها يَتَّكِئُونَ ، وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمّا مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٤٣/٣٣-٣٥] وفي الحديث الشريف عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يُعْطي الدّنيا مَنْ يُحِبُّ ومَنْ لا يُحِبُّ، ولا يُعْطِي الدِّينَ إلاّ لَمنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطاه الله الدِّينَ فقد أَحَبَّهُ» أخرجه أحمد في مسنده وهو جزء من حديث طويل. على أن الله تعالى وإنْ فاوت في الرِّزْق بين الأغنياء والفقراء إلاّ أنَّه شرع لهم ما يجعل المجموع مصوناً عن الهلاك جوعاً وعِرَىً؛ أي أنَّه سبحانه وتعالى أَحَبَّ أنْ يكون القَدْرُ المشترك بين العباد فوق مُتناولِ يد الشَّقاء الدُّنْيَويِّ المَحْض، وإنْ نَعِمَ ذَوُو الثَّراءِ في النعيم

العاجل بعد أن تكون قلوبُهم خافقةً برحمة إخوانهم الفقراء فيعطونهم حقَّهم الذي فَرَضَه الله في أموالهم.

قال سيدنا أميرُ المؤمنين عليٌّ رضي الله تعالى عنه: «إنَّ الله فرضَ على أغنياءِ المسلمينَ في أموالِهم بقَدْرِ الذي يَسَعُ فقراءَهم، ولنْ يَجْهَدَ الفقراءُ إذا جاعوا وعَرُوا إلاَّ بما يصنعُ أغنياؤُهم، ألا وإنَّ الله يُحاسبُهم حِساباً شديداً، ويُعذبُهم عذاباً أليماً».

الفقراءُ اليوم في ضَنْكٍ شديدٍ واحتياجٍ عظيمٍ، وإنِّي أُذَكِّرُكُمُ الله فيهم، ارْحَمُوهم وجُودُوا عليهم بما لُهم في أموالكم من حقٍّ على الأقلِ، ادْرَؤوا الشرَّ عن أنفسكم بالتَّراحم، فإنَّ القسوة سيّئةُ الأثر، وإنَّ أبعدَ الناس من الله القلبُ القاسي، الرحمةُ تؤلف بين القلوب وتشدُّ رباطها وتُقلِّلُ من عدد الجرائم التي مُلئت منها السجون، فارْعَوُا عبادَ الله، وأخرجوا الزَّكاة وأدُّوها إلى مُسْتَحقِّيها.

أُذْكُروا نعمة الله علينا فإنَّنا بحمد الله راتِعون في ظلِّ الأمن، ورِزْقُنا دارٌّ علينا، وغيرُنا حُرِموا الأمن، ويأكلُون بالبطاقات، فهل نحن شاكرون؟ إنَّ أداء الزكاة من الشكر، ومَنْعُها كفرٌ بالنعمةِ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧/١٤]. ألا فَصُونوا النِّعَمَ واحْفظُوها واذْكُروا قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله فَأَذاقَها الله لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢/١٦]. هذا وأنتم تَقْرؤُون قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذا ما كَنَزْتُمْ

لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٩/٣٤-٣٥] وقد جاء في التفسير أنَّها تُجْعَلُ صفائحَ ويُوَسَّعُ جسدُ الكانز حتى يُكْوَى بها كُلِّها.

وأخرج البخاريُّ ومسلمٌ عن الأحنفِ بنِ قيسٍ قالَ: قَدِمْتُ المدينةَ فبينا أنا في حَلَقَةٍ فيها مَلأٌ من قريشٍ إذ جاءَ رجلٌ خَشِنُ الثيابِ خشنُ الجسد خشنُ الوجه، فقامَ عليهم فقالَ: «بَشِّرِ الكانِزين بِرُضَفٍ يُحْمَى عليه في نار جهنم فَيُوضَعُ على حِلْمَةِ ثَدْيِ أحدِهم حتى يَخْرُجَ من نفضِ كتفيه، ويُوضَعُ على نفضِ كتفيه حتى يخرجَ من حلمةِ ثَدْيَيْهِ يتزلزلُ» قال: فوضعَ القومُ رؤوسهم، فما رأيت أحداً منهم رجعَ إليه شيئاً، قالَ: فأدبر فاتَّبَعْتُهُ حتى جلسَ إلى ساريةٍ، فقلتُ: ما رأيتُ هؤلاءِ إلا كَرِهُوا ما قلت لهم، فقالَ: إنَّ هؤلاءِ لا يَعْقِلونَ شيئاً» زادَ مسلمٌ: قلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا أبو ذرٍّ، قال: فقمتُ إليه، فقلتُ: ما شيءٌ سمعْتُكَ تقولُ قُبَيْل؟ فقالَ: ما قلتُ شيئاً إلا سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّهِم ﷺ.

هذا ولْيُعْلَمْ أنَّ المكنوز هو ما لم تُؤَدَّ زكاتُه، فإذا أُدِّيَتْ زكاتُهُ وأُخْرِجَتْ حقوقُ الله تعالى منه فليس بكنز مهما كثُرَ، والله تعالى يقول، وقوله الحق: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَاةَ وَأَتُواْ ٱلزَّكَاةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٢٤/٥٦].

رَمَضَانُ تَجَلى وَابْتَسَمَا طُوبَى لِلْعَبْدِ إذَا اغْتَنَمَا

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلاَّالله، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسانٍ. أوصيكُم عبادَ الله وإياي بتقوى الله. وما توفيقي ولا اعتصامي إلاَّ بالله.

أمَّا بعدُ: فَيُرْوى أنَّه قيل لبعض الصَّالحين إذْ حَضَرَهُ المَوْتُ: على أي شيء تأسَفُ من الدُّنيا؟!فقال: آسفُ على قيام اللَّيْل الطَّويل وعلى صيام اليوم الطَّويل الشديد الحرارة. وعلى هذين فقط أسِف ذلك الرَّجل الصَّالح عند مفارقتِهِ الدُّنيا، وإنَّه بقوله

هذا يفسّرُ لنا الحديثَ الشَّريفَ القائل: «الدُّنْيا ملعونةٌ مَلْعونٌ ما فيها إلاَّ ذِكْرَ الله وما وَالاهُ وعالِماً أوْ مُتَعَلِّماً». رواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، والطبراني في الأوسط عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وحقاً إنَّ الشَّيْئَيْنِ اللَّذَيْنِ أَسِفَ عليهما لهما جليلُ القَدْرِ وسامي المكانةِ. ونحن محتاجون إلى أنْ يكون فينا حِرْصٌ عليهما، وأنْ نَنْسَلِخَ من الفتور عن طاعة الله سبحانه وتعالى. فإنَّ ممَّا يُحْزِنُ أنْ تكون آثار هذا الفُتور ظاهرةً فينا، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون. نسألُ الله عزَّ وجلَّ أنْ لا يجعل مُصيبتَنا في ديننا.

كُنّا نرى المساجد في رمضان عامرةً بِقُوامه، فَتَضُمُّ صلاة التَّراويح مئات المصلين وكُلُّهم راغبٌ في أن يكون له نصيبٌ من رحمة الله تعالى التي يَسُحُّها على عباده سَحّاً في هذا الشهر الكريم. فما بالُنا اليوم لا نرى إلاَّ العدد الضّئيل، وجَمْهَرةُ النّاس قد هجروا المساجد - مَهْبِطَ الرَّحمة الإلهية - إلى المقاهي مَجامِعَ الفِسْقِ التي يُعَشِّشُ فيها إبليسُ وجُنْدُه.

ما هذا يا عبادَ الله، ما هذا الانصباب على الوِزْرِ، وما هذه الزَّهادَةُ في الأَجْرِ؟! أَلَمْ تسمعوا قول رسول الله ﷺ: «مَنْ قامَ رمضانَ إيماناً واحْتِساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ومَنِ الذي لا يرغب في هذه الفضيلة إلاَّ مَنْ طُبِعَ على قلبه وكان مُتَهاوناً في دينه؟.

قد سمعتم أنَّ ذلك الرَّجلَ أَسِفَ على صيام اليوم الشّديد الحرِّ، وما ذاك إلاَّ لعلمه بالأجر الكثير الذي يَدَّخِرُه الله سبحانه وتعالى لِمن يَصُومُهُ، ولا نَنْسى أنَّ النَّبيَّ ﷺ أَخْبَرَ أنَّ للجنَّة باباً يُسمى بابَ الرَّيّانِ لا يدخل منه إلاَّ الصّائمونَ الذين أجاعوا أنفسهم وعطّشوها في سبيل الله عزَّ وجلَّ، فيُكافِئهم الله سبحانه وتعالى بإدخالهم الجنّة دارَ كرامتِه مِنْ بابٍ يُرْوَى داخِلُه ولا يَظمأ ويَنْعَمُ ولا ييأس.

حدَّثَ ابنُ عباسٍ رضي الله تعالى عنهما أنَّ رسول الله ﷺ بعثَ أبا موسى على سَرِيَّةٍ في البَحْرِ، فبينما هُمْ كذلك قَدْ رَفَعوا الشِّراعَ في ليلةٍ مظلمةٍ إذا هاتِفٌ فَوْقَهم

يهتفُ: يا أَهْلَ السفينةِ قِفُوا أُخبِرْكم بقضاءٍ قضاهُ الله على نفسِهِ، فقالَ أبو موسى: أَخْبِرنا إنْ كُنتَ مُخْبِراً، قالَ: إنَّ الله تباركَ وتَعالى قضى على نفسِهِ أنَّهُ مَنْ أَعْطَشَ نفسَهُ لله في يومٍ صائِفٍ سَقاهُ الله يومَ العطشِ، وفي رِوايةٍ: إنَّ الله تعالى قضى على نفسِه أنَّ مَنْ عَطَّشَ نفسَه لله في يوم حارٍّ كانَ حقاً على الله أنْ يُروِيَه يومَ القيامَةِ. قالَ: فكانَ أبو موسى يتوخّى اليومَ الشديدَ الحرِّ الذي يكادُ الإنسانُ يَنْسَلِخُ فيه حَراً فيَصُومُه. ألا فتأسَّوْا عبادَ الله بأولئك القوم ولا تَتَبَرَّمُوا بالصَّوم، فإنَّ مَنْ صام رمضان كارهاً لقِيَ الله وهو عليه غضبانُ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا رمضان. واقبلنا في رمضان، وحُطَّ عنّا أوزارنا في رمضان، واجعلنا من عُتقاء رمضانَ يا رَحيمُ يا رحمنُ.

أمَّا المفطرون بلا عُذْرٍ يُبيح الفطر فَوَيْلٌ لهم ثمَّ وَيْلٌ لهم، وَيلٌ لِمَنْ هَتَك حُرمة هذا الشَّهر الكريم ولَم يَرْعَها، ويْلٌ لِمَنْ أسخط الله عزَّ وجلَّ ولَمْ يَتُبْ عَمَّا يوجب السُّخْطَ. ألا وإنَّ شرَّ المفطرين المجاهرون، هؤلاء الذين يبارزون ربَّ العزَّة بالعصيان العلنيِّ، إنَّ فُقهاء المِلَّة لم يختلفوا في حلِّ دَم المجاهر بإفطار رمضان، لأنه إما مستخِف بالدِّين أو مُنْكِرٌ لما ثبت عِلْمُهُ مِنَ الدِّين بالضَّرورة، وعلى كلا التقديرينِ فهو مُنْكِرٌ مُرْتَدٌّ عن الإسلام، قد انْفسخ عَقْدُ نكاحه وحَلَّ دَمُهُ، إنَّه مُبَدِّلٌ لدينه بهذه الجرأة، وقد قال سيدنا رسول الله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» رواه الإمام أحمد والبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما. ولو أنَّ أحكام الله معمولٌ بها في هذا الزَّمن لنُفِّذ في هذا وأمثاله حُكم الله ليكونوا عِبْرَةً لِغَيْرِهم وهذا واجبٌ على الحكَّام.

لِيَعْلم المفطرون أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَفْطَرَ يَوْماً مِنْ رَمضانَ مِنْ غَيْرِ رُخصة ولا مَرَضٍ لَمْ يَقْضِهِ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ وإنْ صَامَهُ» رواه التِّرمِذِيُّ وغيره. وروى ابْنُ خُزَيْمَةَ وابْنُ حِبَّانَ في صحِيحيهما عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «بَيْنا أَنَا نائمٌ أَتَانِي رَجُلانِ فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ، فَأَتَيا بِي جَبَلاً وَعِراً، فَقَالا: اصْعَدْ، فَقُلْتُ: إنِّي لا أُطِيقُهُ، فقالا إنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ، فَصَعِدْتُ حتى إذا كُنْتُ في سَوَاءِ الجَبَلِ إذا بِأَصْواتٍ شَدِيدَةٍ، قُلتُ: ما

هذِهِ الأَصْواتُ؟ قالُوا: هذا عُواءُ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ انْطُلِقَ بِي فإذا أنا بِقوم مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيبِهِم مُشَقَّقَةً أشْدَاقُهُم تَسِيل أشْدَاقُهُم دَماً، قالَ: قُلْتُ: مَنْ هؤلاءِ؟ قالَ: الذين يُفْطِرون قبل تَحِلَّةِ صَوْمِهِم». أي قبل وقت الإفطار.

ألا وليُعْلَمْ أنَّ الإعانة على المَعْصية مَعْصِيَةٌ، هذه قاعدةٌ شرعيّةٌ تدور عليها كثيرٌ من الأحكام: حرُم سَقْيُ الخمر لحُرمةِ شُرْبِهِ، وحرُم إلباس الحرير والذَّهب لحُرمَةِ لُبْسِهِما، وحَرُم دلالةُ القاتل على المَقْتُول لِحُرْمة القتل، كذلك حرُم تقديم الطَّعام للمفطرين حتى ولو كانوا ضيوفاً، وعلى هذا فيحرُمُ على مَنْ يبيع الطعام بَيْعُهُ مِمَّنْ يَغْلِبُ على ظنّه أنّه يستعمله في النَّهار، ومن فَعَل ذلك فقد أعان على هَدْم الإسلام وأغضب المَلِكَ العلاّم وكان آكلاً للحرام.

إنَّه يَحْرُمُ بيعُ الطَّعام منَ المفطرين، حتّى ولو كان المفطر غَيْرَ مسلم؛ إذْ أنَّ الله تعالى كلفهم بالأعمال كما كلفهم بالإيمان وإنْ كانت أعمالهم لا تُقْبَلُ إلاّ بالإيمان، وعقابهم في الآخرة على ترك الإيمان يُضافُ إليه عقاب آخرُ على ترك العمل بالأحكام. إن مَنْ يبيع غير المسلمين في رمضان مُهِينٌ لدين الإسلام من حيث يعلم أو لا يعلم، فيا وَيْلَ الخاسرين. هذا ما يسمح به المقام من البيان، وفيه كفايةٌ لِمَنْ كان في قَلْبه مثقالُ حَبَّةٍ مِنْ خردلٍ من إيمانٍ وغيرةٍ عليه، وحَسْبُنا الله ونعم الوكيل.

إنَّ العِلْمَ بعدم استجابة كثيرٍ من النّاس لله تعالى ولرسوله عليه الصّلاة والسّلام حاصلٌ، وكلُّ هذه البيانات لإبراء الذِّمَّةِ والصَّدْع بأمر الله عزَّ وجلَّ لتقوم الحُجَّةِ على العباد، إذ قد جاءتهم البينات ، والله تعالى قال لنبيِّهِ ﷺ: ﴿فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنا الْحِسابُ﴾ [الرعد: ١٣/ ٤٠] وقال سبحانه أيضاً: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئاً وَسَيَجْزِي الله الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٤٤] ولعلَّ الذين كشفوا عن سرائرهم الخبيثة تحيقُ بهم النَّدامة في الدُّنْيا قَبْلَ الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٨٩/ ١٤] وقال سبحانه وتعالى ﴿ما كانَ الله لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ٣/

١٧٩] وقال سبحانه في فريق من ذَوِي الضَّمائر السَّيِّئَةِ: ﴿ فَعَسَى الله أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ ، وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِالله جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خاسِرِينَ ، يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَالله واسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥/٥٢-٥٤] صَدَقَ اللهُ العَظيمُ.

الاسْتِقامَةُ وأَثرُها في حياةِ المسلم

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللَّهُم صلِّ وسلِّم وباركْ على سيدنا ومولانا محمدٍ وعلى آله وصحبه وتابعيه وحِزْبِهِ. أوصيكم عبادَ الله وإيايَّ بتقوى الله تعالى وطاعته وما توفيقي إلاَّ بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

أمَّا بعدُ: فكثيراً ما يَطْلُعُ علينا رمضانُ الشريفُ بوجوهٍ لا نراها تَغْشى المساجد في سواه، ولا نشهد فيها معنى التوبة والإنابة إلاَّ في أيامه، ولا تتحرك هِمَمُ أصحابها إلى الصالحات إلاَّ في ظَرْفِهِ الكريم. فيه يُصلُّون ويصومون ويركعون ويسجدون ويحضرون مجالس الوعظ والتذْكير، ثمَّ يغيبون عنّا بغيابه؛ ويَقْفُلون بِقُفُوله، فَتَخْلُو منهم المساجد والمجالس الصالحة إلى مثله من العام الثاني، وتَعْمُر بهم أثناء ذلك دورُ اللَّهْوِ والفِسْقِ كالمقاهي والسِّينمات والمحالِّ غير الصالحة. وهذا إنْ دلَّ على شيءٍ فإنَّما يَدُلُّ على خُلُوِّ ضمائر ذلك الفريق من الناس من مَعْنى الاستقامة الباطنيَّة، إذ الاستقامةُ الظاهرية أثرٌ لها وفرعٌ عنها، ولا فلاحَ إلاّ بالاستقامة بكلا مَعْنَيَيْها، ولا رُقِيَّ في معارج الكمال إلاَّ إذا كان المرء غيرَ منفكٍّ عنها في سَيْرِهِ، إذْ متى فارقها انْكَفَأ ورجع من حيث أتى. وأنَّى يَصِلُ عبدٌ هذا حالُهُ وهذه سِيرتُهُ؟

أَيُّها الإخوان: إنَّ رمضان رياضةٌ رُوحيَّةٌ ترتاض بها الرُّوح، وتُهَذَّبُ النَّفْسُ، ويَخْلُص العقل من العلائق المادّيَّة بعض الوقت، وإنَّ شهراً يقضيه الإنسان في تلك الرياضة القوية كافٍ لِكَسْبه ملكةً من الاستقامة تَحْمِلُهُ على لزوم الأَمْر واجتناب النَّهْي العامَ كلِّهُ، وإنَّ الله حكيمٌ عليمٌ في هذا التقدير الدقيق، ومَنْ أخذ نفسه بالجدِّ وراضها على التَّقْوى بحزم طيلةَ شهر رمضان أَحَسَّ عند انقضائه بانصباغِها بِصبغةِ أهل الخير، فكان منَ السَّهل عليه جداً متابعةُ السَّيْرِ على المنهج القويم والصراط المستقيم. أَمَّا العابثُ اللاّهي فبمعزلٍ عن هذه المعاني النبيلة كلِّها، وليس له مِنْ صيامه إلا الجوع والعطش، ومِنْ قيامه إلا الضَّنى والسَّهر.

أيها الإخوان: الاستقامة الاستقامة، واسْتَفيدوا من شهر رمضان فإنَّكم حديثو عَهْدٍ به وقد أفادكم ولا تزال أنواره ساطعةً على المنيبين منكم، فاغتنموها فرصةً، ولا تُبْعِدوا عن الجادَّة، وعُودوا إليها قبل أن تغيب عنكم.

لقد أوصى الصالحون بالاستقامة لِمَا لها من جليل الفوائد فقال بعضهم: الاستقامة درجةٌ بها كمالُ الأمور وتمامُها، وبوجودها حصولُ الخيرات ونظامُها، ومن لم يكنْ مستقيماً في حال سَعْيه ضاع سَعْيه وخاب جِدُّه. وقال آخر الاستقامةُ لا يُطيقُها إلا الأكابرُ لأنها الخروج عن المعْهودات ومفارقة الرُّسوم والعادات والقيامُ بين يدي الله تعالى على حقيقة الصِّدق.

وأنا أقول: إنَّ الاستقامة لا تكون إلاَّ ممَّن نَضَج عقلُه وغلب هواه وكان صالح الطويَّة صحيح الهدف لا يرجو إلاَّ الله ولا يخشى سِواه ولا يتلفت إلى غيره، ولذا كان صاحبُها ولياً لله تعالى، واستقامتُه كرامتُه، فإنَّ الاستقامة عَيْنُ الكرامة.

أَيّها الإخوان: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ، نَحْنُ

أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ ، نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٤١/٣٠-٣٢]. قال سيدنا عمر بن الخطّابِ: الاستقامة أنْ تستقيم على الأمر والنَّهي، ولا تَروغَ رَوَغانَ الثعلبِ. وقال سيدنا رسول الله ﷺ: «اسْتَقِيمُوا ولن تُحْصُوا، واعْلموا أنَّ خيرَ أعمالِكم الصلاةُ، ولنْ يُحافِظ على الوُضوءِ إلاَّ مؤمنٌ». رواه ابن ماجة بإسنادٍ صحيحٍ، والحاكم وقال: صحيح على شَرْطِهما. وروى الطبرانيُّ في الكبير عن رَبيعةَ الجُرَشِيِّ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اسْتَقِيموا ونِعِمّا إنِ اسْتَقَمتُم، وحافِظوا على الوُضوءِ، فإنَّ خَيرَ أعمالِكم الصلاةُ، وتُحَفَّظُوا من الأرضِ فإنَّها أمُّكم، وإنَّهُ ليسَ أحدٌ عاملاً عليها خيراً أو شراً إلا وهيَ مُخْبِرةٌ به». وروى مسلمٌ في صحيحه عنه ﷺ عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسولَ الله قُلْ لي في الإسلامِ قولاً لا أسألُ عنه أحداً غيرَكَ، قالَ: «قُلْ آمنتُ بالله ثمَّ اسْتَقِمْ».

مَنْ أرادَ الْحجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وذُرِّيته وتابعيهم بإحْسانٍ...

أَمَّا بعدُ: فالمعروف عن الْمُحِبِّينَ أَنَّهم يَتَغَنَّونَ بِمَرابِعِ مَحْبُوبِهم وآثارِهم، ويَجِدونَ في أَرْضِهم بَعْد إِذْ رَحَلوا عنها بَرداً مِنْ وَهْجِ الْحُبِّ وتَلْطِيفاً لِحَرِّ سَعِيرِه الْمُتَأَجِّجِ، ذلك أَنَّهم يُحِسُّون اتِّصالاً وثيقاً بينَ المكانِ والمكينِ والْحَالِّ والمحَلِّ، وهم إِذَا شُغِفوا بالدِّيارِ فَشَغَفُهم على الحقيقةِ بساكِنيها، وإذا وقفوا على الأطلالِ يَنْدُبونها فَمرادُهم الرّاحِلون عنها، ولولاهم ما بَكوا ولا نَدَبُوا، ولكنَّه الحبُّ يُثيرُ الشَّجَنَ، ويَذْهَبُ بالصَّمْتِ، ويَجْعَلُ كُلَّ ماله علاقةٌ بالأحبابِ حَسَناً جَميلاً.

ونحن - أيُّها الإخوانُ - لنا حبيبانِ: الله تعالى ورَسولُه عليه الصلاةُ والسلامُ؛ مَحَضْناهُما صَفْو الوُدِّ وخالصَ الْحُبِّ، واتَّبَعْنا شِرْعَةَ الإِسلام، وقد

أنزَلها الحبيبُ الأولُ تباركَ وتعالى على قَلْبِ الحبيبِ الثاني عليه الصلاةُ والسلامُ، وإنَّ بيتَ الله وحرمَ الله وشعائرَ الله، كُلُّ هذا في أرضِ الحجازِ المقدسةِ الكريمةِ: مَنْبِتَ الدّينِ، وَمَوْئِلَ الإيمانِ، ومَهْبِطَ الوَحْيِ والتَّشْرِيعِ، وَمولِدَ الرَّسولِ الأمينِ عليه الصلاةُ والسلامُ وَمَوْطِنَهُ الشريفَ، والأرضَ التي أَحَبَّها وأَحَبَّتْهُ وسَقَتْهُ ماءَها وهواءَها، ثُمَّ كانت صدَفاً لِدُرَّتِهِ النَّفيسة، ومنها يُبْعَثُ يومَ النُّشورِ.

والله إنَّ كُلَّ ما هوَ حبيبٌ إلى الحبيبِ حبيبٌ، وإنْ ارْتاحَ العُشَّاقُ إلى المَرَابعِ والأَفْناءِ والدِّمَنِ والأَطْلاَلِ فَإنَّ المؤمنينَ الصادقينَ مُحِبّي الله وحَبيبِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ هائِمُونَ في أرضِهِ الْهُيامَ كُلَّهُ ومُولَهُونَ فيه وفي مَرْبَعِهِ الوَلَهَ كُلَّهُ، يأخذُهم من الشوقِ إليهِ الْمُقيمُ الْمُقْعِدُ منهم؛ إذا سارَ الرَّكْبُ إلى المدينةِ سَبَقُوه بأرواحِهِم، وإذا ذَكَرُوها طارُوا إليها بأشواقِهم، لا تَسْكُنُ ألبابُهم إلاَّ إذا استَقرُّوا في رَوْضَتِها الشّريفةِ والْتَقى الأحبابُ بالأحبابِ، وكانَ تناجٍ، وكانَ شَغَفٌ، وكانتْ راحةٌ وكانَ رَوْحٌ وَرَيْحانٌ. وصلَّى الله تعالى وسلَّمَ وبارَكَ على الرَسولِ الكريمِ الوَلِّي لأوليائِه الودودِ لهم الْمُحِبِّ لِمُحِبيه، إنَّهُ يَشْتاقُهُم كما يَشْتاقُونَهُ، ويحِبُّهم كما يُحِبُّونَه.

أيُّها الإِخْوانُ، تِلكُم أرضُ الحِجَازِ، ولِلهِ رُبوعُ مكةَ حيثُ يَأْوي المؤمنون إلى الله وَيثُوبونَ إلى بيتِه الكريمِ، وَاقعُونَ في تِلكَ الرِّحابِ وُقوعَ الْمُسْتَصرِخِ الْمُسْتَغِيثِ الْمُسْتَغْفر، ورَحَماتُ الله تَنْهلُّ، وَبَركاتُه تَنْهمِر، وعَفْوُهُ يَنالُ صغيرَ الذُّنوبِ وكبيرَهَا وقليلَ الخَطايا وكثيرَها، والرِّضَا حالٌّ على أهلِ الإِخْلاصِ والقَبُولِ.

أيُّها الإخوانُ، تلِكُم أرضُ الحجازِ المباركةِ، وتلِكُمْ رُبوعُها المقدسةُ، إليها مالتِ القلوبُ، وبِها شُغِفَتْ الخواطرُ، فهي الشِّفاءُ من الدَّاءِ، والراحةُ للعَليلِ، والرِيُّ للظمآنِ، وما أجملَ قولَ بعضِهِم:

وإذا أذى ألم أَلَمَّ بِمُهْجَتي فَترى أُعَيْشابَ الحِجازِ دَوائِي

وبعد أيُّها الإخوان: الْحَجُّ فرضٌ مُحَتَّمٌ، لا خِيَرَةَ فيهِ ولا إمهالٌ، إنَّه واجبٌ على الفَوْرِ، ومُقَدَّمٌ على كُلِّ ما زادَ على الحاجَةِ. مَنْ مَلَكَ ما يُبَلِّغُه الذهابَ والإيابَ وكانَ ذلك المِلْكُ في أشْهُرِ الْحَجِّ، وهي شوالٌ وذو القَعْدَةِ وعشرُ ذي الحِجَّةِ، فقد فُرِضَ عليه الحجُّ فوراً، وإذا أَخَّرَهُ أَثمَ إثماً عَظِيماً، حتَّى إنَّهُ لَتُرَدُّ شهادتُه، إذْ قَدْ فَسَقَ بهذا التأخيرِ، واقْرؤوا قولَ الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣/ ٩٧].

روى ابنُ مَرْدَوَيهِ عن عَلي رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ مَلَكَ زاداً وراحلةً ولم يَحُجَّ بيتَ الله فلا يَضُرُّهُ ماتَ يَهُودِياً أو نَصْرانياً، وذلك بأنَّ الله قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٣/ ٩٧]».

ورواه ابنُ جرير أيضاً وابن أبي حاتم والترمذيُّ، ولَئِنْ كانَ في هذا الحديثِ مقالٌ لِضَعْفِ أحَدِ رُواتِهِ فقدْ تأَيَّدَ بِما صَحَّ عن عُمَر رضي الله تعالى عنه أنه قالَ: مَنْ أطاقَ الحَجَّ فلم يَحُجَّ فَسَواءٌ عليه ماتَ يَهُودياً أو نَصْرانياً. وقالَ الحسنُ البصريُّ: قال عُمرُ ابنُ الخطابِ رضي الله تعالى عنه: لقدْ هَمَمْتُ أَنْ أَبْعَثَ رِجالاً إلى هذهِ الأَمْصارِ فَيَنْظُروا إلى كُلِّ مَنْ كانَ عنده جِدَةٌ فلم يَحُجَّ فَيَضْرِبوا عليهم الجِزْيَةَ فما هُمْ بِمُسْلِمين.

بادِرُوا أَيُّها الإِخْوانُ إِلَى الْحَجِّ مُسْرعينَ، وأَرِيحوا به أرواحَكم قبلَ أن تَعُوقَكم العوائقُ، وَتَجْذِبَكُمْ إِلَيْها العلائقُ، وَتَمْنَعَكم الشَّواغِلُ فَتَخْسَرُوا خُسْراناً مبيناً. روى الإمامُ أحمدُ عن ابنْ عباسٍ رضي الله تعالى عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «تَعَجَّلوا إلى الحَجِّ، فَإِنَّ أَحَدَكم لا يَدْرِي ما يَعْرِضُ لَهُ». روى الإمامُ أحمدُ أيضاً، وأبو دواد عن سيدِنا رسولِ الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أرادَ الحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ». وروى البّزارُ من حديثِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا رَمَيْتَ الجِمارَ كانَ لك نوراً يومَ القيامةِ». وروى البّزارُ أيضاً عنه عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «الإسلامُ ثمانيةُ أَسْهُم: الإسلامُ سَهْمٌ،

والصَّلاةُ سَهْمٌ، والزكاةُ سهمٌ، والصومُ سهمٌ، وحجُّ البيتِ سَهْمٌ، والأمرُ بالمعروفِ سهمٌ، والنهيُ عن المنكرِ سهمٌ، والجهادُ في سبيلِ الله سهمٌ، وقدْ خابَ من لا سَهْمَ له». عياذاً بالله من ذلك، ونسألُه الرِّضا والقَبُول.

مُنكراتٌ مألوفَةٌ تُرتَكَبُ عِنْدَ قُدومِ الحُجّاجِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين وصَلّى الله تعالى وتبارَكَ على سيدِنا ومولانا محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعين وبارَكَ وسلَّمَ تسليماً.

أمَّا بَعْدُ: فاسْمَعُوا أيُّها الإخوانُ، لقدْ أصبحَ قُدومُ الحُجَّاجِ وَشِيكاً قريباً، بَعْدَ أيامٍ سَتَتَابَعُ قوافلهم، ويَصلُونَ إلى بلادِهم بخيرٍ إن شاء الله تعالى، وإنَّ عَوائِدَ مُسْتَحْكمةً فِينا تتعلقُ بالحاجِّ وقُدومِهِ - عَوائِدَ تَجُرُّ بأَذْيالِها الأضرارَ وتُوقِعُ في الآثامِ والأوْزارِ - مِنَ الضَّرورِيِّ مُحارَبتُها والإجْهازُ عليها حتى لا يَبْقى لها أثَرٌ.

مِنَ الواجبِ سَعْيُ المُصلِحِين لإماتَةِ هذه العوائدِ غيرَ مُبالِين بِمن لا ينظرون إلى الأمور نَظَراً مُسْتَقيماً، وإنَّ المُصْلِحِين في كُلِّ عَصْرٍ ومِصْرٍ يَرْتطِمُون بِجَهْلِ الجاهلين وعنادِ المُعانِدين، ولكنَّ هذا الارْتِطامَ لا يُحَطِّمُ سفينَتَهم لأنَّها مِنْ فُولاذٍ لا مِنْ خَشَبٍ، بلْ إنَّهُم لَيَزْدادون عَزْماً ومَضاءً ومتانةً في الحقِّ، ولا يَفْتَأُونَ يُناضلون حتى يُنْزِلَ الله نَصْرَهُ عليهم.

جَرتِ العادةُ أنَّ الحاجَّ إذا قَدِمَ تَنْثَالُ عليه النّاسُ مِنْ كُلِّ حَدبٍ وَصَوبٍ بالتَّسْلِيم والتَّبْرِيكِ وطَلَبِ الدُّعاءِ، وهذا معقولٌ جِداً لو وَقَفَ عند هذا الحَدِّ، ولكنَّهُ يُعَقِّبُ أموراً أخرى تَسْتَتْبِعُ إنْفاقَ أموالٍ طائِلةٍ ثمناً للحُلْوِيَّاتِ والسَّكاكِرِ والدُّخانِ والقَهْواتِ والطُّبولِ والأبْواقِ والوَلائم العظيمةِ التي قد تَأتي على ثروةِ الحاجِّ، وتُنْزِفُه حتى قد يصبحُ مُمْلِقاً فَقيراً مُثْقَلاً بالدُّيونِ من أجلِ الخُضوعِ لعوائدَ عَتِيقةٍ وجَدِيدةٍ لا يستطيعُ فَتْحَ فَمِهِ في اسْتِنْكارِها، لأنَّ موقفَهُ حَرِجٌ جداً، فهو يَسْكُتَ حَياءً أو على مَضَضٍ لِئَلا يُنْسَبَ إلى البُخْلِ والشُّحِّ، وقد نَجَمَ

عَنْ هذا - لما حَدَّثَني مَنْ أَثِقُ به - أَنَّ بعضَ مَنْ يستطيعُ الحجَّ انصرفَ عنه مُحْتَجّاً بِأَنَّ ما يُنْفِقُه وقتَ رجُوعِهِ فِي الوَلائمِ والأفراحِ بهذا الحجِّ يَعْدِلُ نفقةَ الحجِّ بِرُمَّتِها، وليستْ له القُدرةُ على هذا كُلِّه.

هذه العوائدُ مُقْعِدَةٌ لِبعضِ النَّاسِ عن أداءِ شَعيرةِ الحجِّ كما سمعتم، فهي إذاً مِنْ غيرِ شَكٍّ صَدٌّ عنْ سبيلِ الله عزَّ وجلَّ بهذا الاعتبار، وأكلٌ لأموالِ الناسِ بالباطلِ لاعنْ تَراضٍ، ولئِنْ رضي بعضُ الحُجّاجِ بهذا فإِنَّ آخَرينَ منهم غيرُ راضين به، وهم مُتَذمرُّونَ منه في الخَفاءِ، ولكنْ ماذا يَصْنَعونَ؟ أيُغْلِقُون أبوابَهم في وُجوهِ الطَّبَّالينَ والزَّمَّارينَ والطُفَيْلِيِّينَ الذين يَعُدُّونَ أيامَ مجيءِ الحُجَّاجِ فُرْصةً ذَهبيَّةً لاكْتِساحِ البُيوتِ والتَّنَعُّمِ فيها بالمآكلِ والمَشَارِبِ بِوَقاحةٍ تامَّةٍ كاملةٍ.

أيُّها الإِخْوانُ، إنَّ ما يُؤْخَذُ بِسَيْف الْحَياءِ حَرامٌ قَطْعاً، وأَكْلُهُ أَكْلٌ لِلْحَرامِ قَطْعاً، وآكِلُ الحرام لا يُقْبَلُ له عَمَلٌ، ولا يُسْتَجابُ له دُعاءٌ، وأيُّما لَحْم نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فالنَّارُ أَوْلى به، وَإِنَّ اسْتِفَافَ التُّرابِ أَهْونُ على النفسِ الحُرّةِ الْكريمةِ المسلمةِ مِنْ أَكْلِ الحَرامِ، قالَ عليه الصّلاةُ والسّلامُ: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُم حَبْلَهُ فَيَذْهَبَ به إلى الجَبَلِ فَيَحْتَطِبَ، ثُمَّ يَأتي فَيْحْمِلُهُ على ظَهْرِهِ فَيَأْكُلُ خَيْرٌ له مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، ولأَنْ يأخُذَ تُراباً فَيَجْعَلَهُ في فِيه خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ في فِيه ما حَرَّمَ الله عليه» رواه أحمدُ بإسنادٍ جيدٍ.

واعلموا أيها الإخوان: أنَّ الذَّهابَ إلى الوَلائمِ مِنْ غَيْرِ دَعْوَةٍ أَكْلٌ لِلحَرامِ أَيْضاً، وفاعِلُ ذلكَ يَدْخُلُ البيتَ سارِقاً خسِيساً، ويَخرج منه مُنْتَهِباً مُغِيراً، كما جاءَ هذا في الحديثِ عن سَيدنا ومَولانا رسول الله ﷺ، فضْلاً عَمّا في هذا العملِ مِنَ الدَّنَاءَة والسُّقُوطِ الخُلُقِيِّ، قالَ عليه وآله وصحبِهِ الصلاةُ والسلامُ: «مَنْ دَخَلَ بغير دعوةٍ دَخَلَ سارِقاً وخرج مُغِيراً». وَلئِن احْتَجَّ ذُو شَغَبٍ وطَمَعٍ بأنَّ هذا فرحٌ بالطاعةِ وسرورٌ بها قُلنا له إنَّ هذا أَكْلٌ للدنيا بالدِّين مِنَ الطّامعينَ المُحْتَجِّينَ به، وأَكْلُها بالدِّينِ حَرامٌ أَشَدَّ الحُرْمَةِ لِوُرودِ النَّهْيِ عنه لأَنَّهُ قَلْبٌ

للمَوْضوع وتَغْييرٌ لِلمَشْرُوعِ. فَالدُّنْيا وَسِيلةٌ إلى الدِّين، ولا يُتَّخَذُ الدِّينُ وسيلةً إلى الدنيا. روى الطَّبَرانيُّ والتِرمذيُّ أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «بِئْسَ العبدُ عبدٌ تَجَبَّرَ واخْتال وَنَسيَ الكَبِيرَ المُتَعال، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدُّنْيا بالدِّينِ، بئسَ العبدُ عبدٌ يَسْتَحِلُّ المحارِمَ بالشُّبُهاتِ، بئسَ العبدُ عبدٌ هوىً يُضِلُّهُ، بئس العِبدُ عبدٌ رَغَبٌ يُذِلُّهُ». ثُمَّ إنَّ هذهِ الوَلائمَ التي تُقامُ للحُجَّاجِ - مِنْ قِبَلِ غيرِهم ومنهم لِغيرهم - هي في الأغلبِ وَلائمُ رياءٍ، إذْ يُنْفَقُ فيها الأموالُ الكثيرةُ، وتُوضَعُ فيها ألوانُ الطعامِ مِمّا تَعنَى له نفسُ الشَّبْعانِ، ولكنْ مَن الذي يُدْعى إليها؟ يُدْعى وجوهُ الناسِ وكُبراؤُهم وعُظماؤُهم وأغنياؤُهم، والفقراءُ ضَارِعُون يَشَمُّونَ رائحةَ الطعام ولا يَنالُون منه شَيْئاً إلاَّ ما نَدَرَ، وقد قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ ما معناه: «بئس الطعامُ يَطْعَمُه الأغنياءُ وَيُمْنَعُهُ المساكينُ».

وإنَّ ما أُنْفِقُ في العام الماضي على الوَلائمِ يَأْتي بِأَكيدِ النَّفْعِ لأصحابِهِ في دُنياهم وأُخْراهم لو أنَّه وُضِعَ في مَحَلِّهِ الشَّرْعِيِّ المُرْضِي، ولكنَّه الرِّياءُ والمُباهاةُ، يُعْمِيانِ البصيرةَ حتى تكونَ فيها الهلكةُ.

يا أَصْحَابَ الوَلائمِ إنْ كُنْتُم تُريدونَ الله بعملِكم فسبيلُ الله إطعامُ الفقراءِ وكِسوتُهم، ولاسيَّما في هذا الشتاءِ والغلاءِ. وَلكنَّ هذا صعبٌ عليكم لأنَّه الإخلاصُ، والإخلاصُ أَشَقُّ شيءٍ على النفسِ، وما كُلُّ نفسٍ تُطيقُه، ولا كُلُّ قلبٍ يَسَعُهُ، إذْ هو إرادةُ الله تعالى وَحْدَهُ وحدَهُ وحدَهُ مع العُزوفِ عن غيرِه، كما لا يكونُ قَصْدٌ لِسِواهُ تعالى «الإخلاصُ سِرٌّ مِن أَسْراري أَسْتَودِعُه قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبادي» كَذلكُم يَقُولُ ربُّكم تبارك وتعالى في الحديثِ القُدسيِّ، مَنْ أرادَ الله تعالى بالصدقاتِ أَخْفاها حتى لا تَعْلَمَ شِمالُه ما تُنْفِقُ يَمينُه، وكَفاهُ عِلْمُ الله تعالى واطِّلاعُه السِّرَّ. صَفْوَةُ القولِ أيُّها الإخوانُ أنَّ علينا أن نُخَفِّفَ عن إخوانِنا الحجاجَ؛ فيزورَ المرءُ منّا معارفَه منهم ولا يَطْلُبَ منه إلاَّ الدعاءَ، ولَستُ أمنعُ تقديمَ الحُلويّاتِ ا لخفيفةِ التي تَسْمحُ النّفوسُ بها، ولا أَمنَعُ الولائمَ

مِنَ القادِرينَ عليها مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ، ففي الحديث: «أنا وأَتْقِياءُ أُمَّتي بَراءٌ من التَّكَلُّف»، لكنَّ الممنوعَ هو الإغراقُ والإسرافُ والتبذيرُ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١/٧] وهذا النُّصْحُ لا يَعْتَبِرُه سَدّاً لبابِ الخيرِ وصَدّاً عنه إلاَّ الأحمقُ الجاهلُ بالدِّينِ، وكفى بالجَهْلِ بالدِّينِ حُمْقاً، إِنَّهُ المَرَضُ العميقُ الذي يُوردُ صاحبَهُ مَواردَ الهلاكِ في دُنْياه وأُخْراهُ، نسألُ الله تعالى العافيةَ من الجَهالةِ والتوفيقَ لِما فيه رِضاه عزَّ شأنُه.

صرخة في وجه الفساد الاجتماعي

الحمد لله والصلاةُ والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه، عليه توكلت وإليه أنيب، وما توفيقي ولا اعتصامي إلا بالله، وبعد:..

كُنْ أَيُّها المُؤمنُ حُرّاً غَيْرَ مُسْتَعْبَدٍ لأهواءِ الخَلْقِ وَنَزعاتِهِم، إذا رَأَيْتَ ما لا يَتَّفِقُ وتَعاليمَ الشريعةِ الإسلاميَّةِ، فلا تكُنْ مُمالِئاً على الباطلِ، ولا تَكْتُم الحَقَّ وأنت تَعْلَمُ؛ فتكونَ شَيْطاناً أخرسَ، تُلْجَمُ بِلِجام مِنْ نارٍ يَوْمَ القِيامةِ. وَليكُنْ خَوْفُ الله تعالى أَخْوَفَ الأشياءِ عِنْدَكَ، وَلْتَكُنْ خَشْيَتُهُ مالِئَةً قَلْبَكَ وفائضةً على جَوارِحِكَ، إِصْدَعْ بالحَقِّ واجْهَرْ به، ولا عليكَ إِنْ رَضِيَ فُلانٌ أَوْ سَخِطَ فُلانٌ، فإِنَّ الله أَجَلُّ وأَعْظَمُ مِنَ الجَميعِ. والله ما أفشى المُنْكَراتِ وعَمَّمها، وجَعَلَها ظاهرةً لا يُبالى بِها، إلاَّ إغضاؤُنا على القَذَى، وسُكوتُنا على الباطلِ، ومُمالأتُنا لأصْحابِهِ. ماضَرَّ الجماهيرَ شيءٌ كَسُكوتِ الواعظينَ، حينَ يَرَوْنَ المخالفاتِ العَلَنِيَةَ، فلا يَزْجُرونَ عنها، وما كَثَّرَ عددَ المُبطِلينَ إلا عَدَمُ تَقْريعِنا أَدْنياءَ الهِمَمِ وصِغَارَ النُّفوسِ الذينَ يَطْلُبونَ رِضاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ الله عزَّ وجَلَّ. هذا الذي زَعْزَعَ كثيراً من الناسِ عنْ مبادئِ الشريعةِ، وجعلَهم يَسْعَوْن وراءَ أبناءِ الدُّنيا، لِينالوا مِنْ حُطامِها وأَوْساخِها التي يَرْميها إليهم المُتْرَفُونَ.

ألاَ إِنَّ مَنْ كانَ مَعَ الله كانَ الله معه، وإِنَّ العاقبةَ للمتقينَ. أَتقياءُ القلوبِ،

ذَوُو الضمائرِ النقيةِ، لهم العِزُّ والشرفُ في الآخرةِ والأولى، يَعْرِفُ لهم أعْداؤُهم مَكانَتَهم وقَدْرَهم، ولهم القبولُ في القلوبِ، والذِّكْرُ الْعَطِرُ، والثّناءُ الْحَسَنُ في حياتِهم وبعدَ مَماتِهم، والله تعالى هُوَ الذي يُطْلِقُ الألسنةَ بِمَدْحِهِمْ حينَ أفْرَدوه بالقَصْدِ، وصَدَقُوه، وهو الذي بيده كُلُّ شيءٍ.

وأمّا الوَسِخونَ عَبيدُ المنافعِ، فلَهُمُ السَّخَطُ مِنَ الله تعالى، بَلْ ومِنَ العِبادِ أيضاً، ولهمُ الذِّلَّةُ والصَّغارُ وكَمَالُ الحقَارةِ، حتَّى عِنْدَ مَنْ يَبْتَسِمونَ لهم لِيُسَخِّروهم في أغراضِهم، ولهم قبيحُ الذِّكْرِ أحْياءً وأمواتاً، قلَبَ الله تعالى القلوبَ عليهم حين أعرضوا عنه، والتَمَسُوا رِضاءَ النّاسِ بِسَخَطِهِ جَلَّ وتقدَّس، والله تعالى هُو مُقلِّبُ القُلوبِ.

الدعوة للجهاد ضد المستعمرين الفرنسيين

الحمد لله والصلاةُ والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله وآله وصحبه، أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله، وما توفيقي ولا اعتصامي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، أما بعد:..

فالمعهودُ بإزالةِ النجاسةِ استعمالُ الماء، وإِنْ تَفاحَشَ غِلَظُها أُضِيفَ إِليه الترابُ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «إذا وَلَغَ الكلبُ في إناءِ أحدِكم، فَلْيَغْسِلْه سَبْعاً إِحْداهُنَّ بالتُّرابِ» رواه الإمامُ مسلمٌ وأبو داود والنسائي وأحمدُ والترمذيُّ. ولكنَّ هناكَ نجاسةً لا بَسَتْنا رُبُعَ قَرْنٍ، ولا يَنْفعُ في إِزالَتِها ماءٌ ولا تُرابٌ، إِذْ ليسَ ما يَقْلَعُها إلاَّ الحديدُ والنَّارُ.

أيّها الْمُسْلِمون، أعِدُّوا أنفسَكم لِلجِهادِ، وَطِّنوها على الموتِ؛ موتٌ شريفٌ خيرٌ مِنْ حياةٍ تِعيسَةٍ، ضَرْبَةٌ بِسيفٍ في عِزٍّ خيرٌ مِنْ صَفْعَةٍ بِيَدٍ في ذُلٍّ، طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ في شَرَفٍ أَحَبُّ إلى القلبِ الكبيرِ مِنْ نَظْرَةٍ شَزْراءَ في مَهانَةٍ، رُكُوبُ الصِّعابِ والأَهوالِ في ارتفاعٍ أَجْمَلُ بكثيرٍ مِنَ الرَّاحةِ والدَّعَةِ في اسْتِخْذاءٍ.

أيّها الإخوانُ، لقدِ اسْتَخَفَّتْ فرنسا بِنا، وخاسَتْ بكلِّ العهودِ، ولم تَرْعَ

للمواثيقِ حُرْمةً، لقد طلبتْ منّا آخِراً أن نَقْبَلَ أُموراً، فيها تَرْسيخُ أقدامِها في هذهِ البلادِ واستعبادُ أهلِها، فاغْضَبُوا ثم اغْضَبُوا، وثُورُوا ثم ثُورُوا، فما عادَ السكونُ ينفعُ، وما عادَ السكوتُ يُفيدُ، لقد كان نبيُّكم صلواتُ الله عليه وسلامُه يَرتجزُ هو وأصحابُه قائلينَ:

الْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا علينا وإنْ أرادُوا فِتنةً أَبَيْنا
أَبَيْنا أَبَيْنا

وما أَجْدَرَنا بإعادَةِ ذلك الرَّجَزِ قائلينَ:

هذي فرنسا قد بَغَتْ علينا وإنْ أرادتْ فِتنةً أَبَيْنَا

رَدِّدُوا مَعِي: أَبَيْنا. أَبَيْنا. أَبَيْنا

أيُّها الإخْوانُ، إنَّ العالَمَ يَرْقُبُكم، وينظرُ مِنْ قُرْبٍ ومِنْ بُعْدٍ إلى هذا الصّراعِ بَيْنَ الحقِّ والباطلِ، بَلْ إنَّ رَسُولَ الله ﷺ وأَصْحابَه ينتظِرون ما أنتم فاعِلون بِما خَلَّفوا لكم مِنْ تُراثٍ مَجيدٍ عَجَنوه بدمائهم الزكيةِ، فَهَلْ يا تُرى تختلطُ دماؤُكم بدمائِهم في هذه الأرضِ، أم تَضُنُّونَ بها، فلا يكونُ لكم حظٌّ من هذا السَّخاءِ الشَّريفِ؟!..

مِنَ الأدعية المأثورة الوارِدَة عَنِ النَّبي ﷺ(١)

بابُ الأدعِيَةِ الصّالِحَةِ، قال الله تعالى: {وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً} [الأنبياء، ٢١/٩٠].

١ - «**اللَّهُمَّ لا عَيْشَ(*) إلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ**» متفق عليه.

* لا عَيْشَ: أيْ كامِلاً أوْ مُعْتَبَراً أوْ باقياً. ا هـ مناوي (شرحُ الجامِعِ الصغيرِ) مِنْ شَرْحِهِ الصغيرِ عليه. المسمى (بالتيسير).

---

(١) هذه الأحاديث منقولة من كتاب (الجامع الصغير) للإمام الحافظ السيوطي، وشرحه (التيسير شرح الجامع الصغير) للحافظ عبد الرؤوف المناوي، (تنبيه) عبارة (ا هـ منه) أي كتاب (التيسير شرح الجامع الصغير) للمناوي.

٢- «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ(١) مُحَمَّدٍ فِي الدُّنْيا قُوتاً(٢») متفق عليه.

١- زَوْجاتُهُ ومَنْ في نَفَقَتِهِ، أَوْ هُمْ مُؤمِنُو بَني هاشِمٍ والْمُطَّلِبِ. ا هـ منه.

٢- بُلْغَةً تَسُدُّ رَمَقَهُم وتُمسِكُ قُوَّتَهُمْ: بِحَيْثُ لا تُرْهِقُهم الفَاقَةُ، ولا يَكون فِيهِ فُضولٌ يُفضي إلى تَرَفُّهٍ وتَبَسُّطٍ، لِيَسْلَمُوا مِنْ آفاتِ الفَقْرِ والغِنى. ا هـ منه.

٣- «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ ومِيكائِيلَ وإِسرافِيلَ(*) ومحمدٍ نعوذ بِكَ مِنَ النَّارِ» الطبراني في الكبير، والحاكم.

* خَصَّصَ الأَمْلاكَ الثَّلاثة لأَنَّها الْمُوَكَّلَةُ بالحياةِ، وعَلَيْهَا مَدارُ نِظامِ هَذا العالَمِ، أَوْ لِكمالِ اخْتِصاصِهِمْ وَأَفْضَلِيَّتِهم على مَنْ سِواهُم مِنَ الْملائِكةِ. ا هـ منه.

٤- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ*، وعَمَلٍ لا يُرفع، ودعاءٍ لا يُسْمَع» وفي رواية «لا يستجاب» أخرجه أحمد في مسنده وابن حبان والحاكم في صحيحه.

* وَهُو ما لا يَصْحَبُه عَمَلٌ، أَوْ مَا لَمْ يُؤْذَنْ في تَعَلُّمِهِ شَرْعاً، أَوْ ما لاَ يُهَذِّبُ الأَخلاق. ا هـ منه.

٥- «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً، وتَوَفَّنِي مِسْكيناً، واحْشُرنِي في زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ»(*). أخرجه الحاكم عن أبي سعيد الخدري.

* لَمْ يَسْأَلِ الله مَسْكَنَةً تَرْجِعُ لِلْقِلَّةِ، بَلْ لِلإِخْباتِ والتَّوَاضُعِ والْخُشُوعِ؛ قالَ شَيْخُ الفَرِيقَيْنِ السَّهروردي: لَوْ سَأَلَ الله أَنْ يَحْشُرَ الْمَسَاكِينَ في زُمْرَته لَكَانَ لَهُمُ الْفَخْرُ العَمِيمُ والفَضْلُ العَظِيمُ، فَكَيفَ وَقَدْ سَأَلَ الله أَنْ يُحْشَرَ فِي زُمْرَتِهِمْ؟ ا هـ منه.

٦- «اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عاقِبَتَنا في الأُمورِ كلها، وأَجِرْنا مِنْ خِزْيِ(*) الدُّنْيا وَعَذابِ الآخِرَةِ» أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم.

* رَزَايَاها وَمصائِبُها وغُرُورُها وخِدَعُها وتَسلُّطُ الأَعْدَاءِ وشَمَاتَتُهُم. ا هـ منه.

٧- «**اللَّهُمَّ إنَّك سَأَلْتَنا مِنْ أَنْفُسِنا ما لاَ نَمْلِكُهُ إلاَّ بكَ. اللَّهُمَّ فَأعْطِنا مِنْها ما يُرْضِيك عنا**»(*) أخرجه ابن عساكر في تاريخه والمستغفري في الدعوات.

* فَيُسَنُّ في أَوَّلِ نَهارِهِ، وطَلَبِ الحاجَةِ، وابْتِداءِ السَّفَرِ، وعَقْد النِّكاحِ، وغَيْرِ ذلك مِن المُهمَّاتِ. ا هـ منه.

٨- «**اللَّهُمَّ اهْدِ قُرَيشاً، فَإنَّ عالِمَها يَمْلأُ طِبَاقَ الأَرْضِ عِلْماً(١)، اللَّهُمَّ كَما أذَقْتَهُمْ عَذَاباً فَأَذِقْهُمْ نَوالاً**»(٢) أخرجه الخطيب في التاريخ وابن عساكر.

١- أَيْ يَعُمُّ الأَرْضَ بالعِلْمِ حَتَّى يَكُونَ طَبَقاً لَها.

٢- يَعْني لاَ أَدْعُوكَ عَلَيْهِمْ بِإيذَائِهِمْ إيَّايَ، بَلْ أدْعُوكَ أنْ تهدِيَهُمْ لأَجْلِ إحْكامِ أحْكَامِ دِينِكَ بِبَعْثِ ذَلِكَ العَالِمِ الذِي حَكمتَ بِإيجادِهِ مِنْ سُلاَلَتِها، وذَلِكَ هُوَ الإِمامُ الشَّافِعيُّ. ا هـ منه.

٩- «**اللَّهُمَّ اغْفِر لِي وارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأَعْلَى**»(*) متفق عليه من حديث عبد الله بن الزبير عن عائشة.

* في شَرْحِ المُنَاوِيِّ الصَّغِيرِ: أَيْ نِهَايَةِ مَقَام الرُّوحِ، وَهُوَ الحَضْرَةُ الوَاحِدِيَّةُ، فالسُّؤالُ إلْحَاقُهُ بِالمَحَلِّ الذِي لَيْس بَيْنَهُ وبَيْنَهُ أَحَدٌ في الاخْتِصاصِ.

١٠- «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما عَمِلْتُ، ومِنْ شَرِّ ما لَمْ أَعْمَلْ**» أخرجه مسلم وأبو داود عن عائشة. «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلى غَمَرَاتِ المَوْتِ أَوْ سَكَراتِ المَوْتِ**» أخرجه الترمذي والحاكم عن عائشة. «**اللَّهُمَّ زِدْنَا ولا تَنْقُصْنا، وأكْرِمْنَا ولا تُهِنَّا، وأَعْطِنا ولا تَحْرِمْنَا، وآثِرْنا ولا تُؤْثِرْ عَلَيْنا، وأَرْضِنا وارْضَ عَنّا**» أخرجه الترمذي والحاكم عن عائشة.

* يعني لا تُغَلِّبْ أَعْداءَنا علينا. ا هـ منه (شرح المُنَاويِّ الصَّغير).

١١- «**اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ دُعاءٍ لاَ يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ*، أعوذُ بكَ مِنْ هَؤلاَءِ الأرْبَعِ**» أخرجه الترمذي والنسائي عن ابن عمرو وغيرهما.

* لاَ يُعْمَلُ بِهِ، أَوْ غَيْرِ شَرْعِيٍّ كَعُلُومِ الأوائل. ا هـ منه.

١٢- «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّه عِنْدَك، اللَّهُمَّ وما رزقتني ممّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فيما تُحِبُّ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ* عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغاً لِي فِيما تُحِبُّ». أخرجه الترمذي عن عبد الله بن يزيد.

* أيْ صَرَفْتَ ونَحَّيْتَ ا هـ منه.

١٣- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي*، وَبارِك لِي فِي رِزْقِي» أخرجه الترمذي عن أبي هريرة.

* مَحَلّ سَكَنِي الدُّنْيَا، لأنَّ ضِيقَ مَرَافِقِ الدَّارِ يُضَيِّقُ الصَّدْرَ، وَيَجْلِبُ الهَم، وَيَشْغَلُ البَالَ، ويُغِمُّ الرُّوحَ، أَوْ الْمُرادُ القَبْرُ، فَإِنَّهُ الدَّارُ الحَقِيقِيَّةُ. ا هـ منه.

١٤- «اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وبَصَرِي(١) واجْعَلْهُما الوَارِثَ مِنِّي(٢)، وانصُرنِي على مَنْ ظَلَمَنِي، وخُذْ مِنْهُ بِثَأْرِي» أخرجه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة.

١- الجَارِحَتَين أو العُمُرَيْنِ.

٢- وَفِي دُعَاءٍ آخَرَ «وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنا وَأَبْصارِنَا وَقُوَّتنا مَا أَحْيَيْتَنَا، واجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنّا». قال العَزِيزيُّ في (شرح الجامِع الصَّغِير): والمَعْنِيُّ بوراثَتِها لُزُومها لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ لُزُومَ الوارِثِ لَهُ.

وقَالَ زَيْنُ العَرَبِ: أَرَادَ بِالسَّمْعِ وَعْي مَا يَسْمَعُ والعَمَلَ بِهِ، وَبِالبَصَر الاعتبارَ بما يَرَى، وهَكَذا يَرَى سَائِرَ القُوى الْمُشارِ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ «بقُوَّتِنَا» وَعَلَى هَذا يَسْتَقِيمُ قَوْلُهُ: واجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنّا، أَيْ: واجْعَل تَمَتُّعَنَا بِأَسْمَاعِنَا وأَخَوِيها فِي مَرْضَاتِكَ باقِياً عَنَّا، نُذْكَرُ بِهِ بَعْدَمَا أَمَتَّنَا، وَتَحَقّق دَفْعُ أَنَّهُ أرادَ الإِرْثَ بَعْدَ فَنَائِهِ، وَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ فَنَاء الشَّخْصِ وبَقَاءُ بَعْضِهِ؟! ا هـ (التيسير).

١٥- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ غِنَايَ وَغِنَى مَوْلاَيَ*». أخرجه الطبراني عن أبي صرمة.

* أقارِبِي وعِصَابَتِي وأَنْصَارِي وأَتْبَاعِي وأَصْهَارِي وأَحِبّائِي. ا هـ مناوي.

١٦- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِها قَلْبِي، وتَجْمَعُ بِها أمْرِي، وَتَلُمُّ بها شَعَثِي(١)، وتُصْلحُ بها غائِبِي(٢)، وتَرفَعُ بِها شَاهِدي(٣)، وتُزكّي بها عَمَلِي(٤)، وَتُلْهِمُنِي بها رُشْدِي، وَتَرُدُّ بِها أُلْفَتِي(٥)، وَتَعْصِمُنِي بِها مِنْ كُلِّ سُوءٍ».

١- أيْ ما تَفَرَّقَ مِنْ أَمْرِي ا هـ مناوي. ٢- أيْ بَاطِنِي. ٣- أيْ ظَاهِرِي. ٤- تَزِيدُهُ وتُنَمِّيهِ. ٥- أَيْ أَلِيفِي أو مَأْلُوفِي، أيْ ما كُنْتُ آلَفُهُ. ا هـ مناوي.

١٧- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الفَوْزَ في القَضَاءِ(١). ونُزُلَ الشُّهداءِ(٢)، وعَيْشَ السُّعداءِ(٣)، والنَّصْرَ عَلَى الأعْداءِ».

١- أَيْ بِاللُّطْفِ فيه. ٢- أيْ مَنْزِلَهُمْ فِي الجَنَّةِ. ٣- الَّذِينَ قَدَّرْتَ لَهُمُ السَّعَادَةَ الأُخْرَوِيَّةَ.

١٨- «اللَّهُمَّ إِنِّي أُنزلُ بِكَ حَاجَتِي فَإِنْ قصَّرَ رَأْيِي (أَيْ عَجَزَ عَنِ الإِدْرَاكِ)، وضَعُفَ عَمَلِي. افْتَقَرْتُ إلى رَحْمَتِكَ، فَأَسْأَلُكَ يا قَاضِيَ الأُمُورِ، ويا شَافِيَ الصُّدُورِ كَما تُجِيرُ(١) بَيْنَ البُحُورِ(٢) أَنْ تُجِيرنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، ومِنْ دَعْوَةِ الثُّبورِ(٣)، ومِنْ فِتْنَةِ القُبُورِ(٤). اللَّهُمَّ ما قَصَّرَ عَنْهُ رَأْيِي وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي. ولَمْ تَبْلُغْهُ مَسْأَلَتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحداً مِنْ خَلْقِكَ أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أحداً مِنْ عِبَادِكَ فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فيه وأَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ يا رَب العَالَمِينَ».

١- تفْصِلُ وتَحْجُزُ ا هـ مناوي. ٢ - تَمْنَعُ أَحَدَهُما مِنَ الاختِلاطِ بالآخَرِ. ٣- أَيْ النِّداءُ بِالهَلاَكِ اهـ. مناوي. ٤- أَيْ بِأَنْ تَرْزُقَنِي الثَّبَاتَ عِنْدَ السُّؤالِ.

١٩- «اللَّهُمَّ اجْعَلَ لِي نُوراً، فِي قَلْبِي، وَنُوراً فِي قَبرِي(١)، ونُوراً بَيْنَ يَدَيَّ، ونُوراً مِنْ خَلْفِي(٢)، ونُوراً عَنْ يَمِينِي، ونُوراً عَنْ شِمَالِي، ونوراً مِنْ فَوْقِي، ونُوراً مِنْ تَحْتِي(٣)، ونُوراً فِي سَمْعِي، ونوراً فِي بَصَرِي، ونُوراً فِي شَعرِي، ونُوراً فِي بَشَرِي، ونُوراً فِي لَحْمِي، ونُوراً فِي دَمِي، ونُوراً فِي عِظَامِي(٤)، اللَّهُمَّ أعْظِمْ لِي نُوراً، وأَعْطِنِي نُوراً، واجْعَلْ لِي نُوراً»(٥).

١- أَسْتَضِيءُ بهِ فِي ظُلْمَةِ اللَّحدِ. اهـ مناوي. ٢- أيْ مِنْ وَرَائِي لِيَتْبعَني أَتْبَاعِي

وِيَقْتَدِي بِي أَشْيَاعِي. ا هـ مناوي. ٣- تعني اجْعَلِ النُّورَ يَحُفُّنِي مِنْ جميعِ الجِهاتِ السِّتِّ. ٤- نَصَّ على المَذْكُوراتِ كُلِّها لأنَّ إِبْلِيسَ يَأْتِي الإِنْسَانَ مِنْ هَذِهِ الأَعْضَاءِ، فَيُوسْوِسُهُم، فَدَعا بِإِثْبَاتِ النُّورِ فيها لِيَدْفَعَ ظُلْمَتَهُ ا هـ مناوي. ٥- عَطْفُ عَامٍّ عَلى خَاصٍّ: أَيْ اجْعَلْ لِي نُوراً شَامِلاً لِلأَنْوارِ المُتَقَدِّمَةِ وغَيْرِها. ا هـ مناوي.

٢٠- «سُبْحَانَ الذي تَعطَّفَ(١) بالعِزِّ وقَالَ بِه(٢)، سُبْحانَ الذِي لَبِسَ المَجْدَ(٣) وتكرَّمَ بِهِ(٤)، سُبْحَانَ الذي لا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إلاَّ لَهُ، سُبْحَانَ ذِي الفَضْلِ والنِّعَم، سُبْحَانَ ذِي المَجدِ والكرَمِ، سُبْحانَ ذِي الجَلاَلِ والإكرامِ»(٥) من رقم ١٦ إلى هنا من حديث طويل أخرجه الترمذي ومحمد بن نصر عن ابن عباس.

١- أَيْ تَرَدَّى بِهِ، بِمَعْنى أنَّه اتَّصَفَ بِأَنَّهُ يَغْلِبُ كُلَّ شَيءٍ ولاَ يُغَالِبُهُ شَيءٌ ا هـ منه. ٢- أَيْ غَلَبَ بِهِ كُلَّ عَزِيزٍ ا هـ منه. ٣- أَيْ ارْتَدَى بِالعظَمَةِ والكِبْرِياءِ ا هـ منه. ٤- أَيْ تَفضَّلَ بِهِ وَأَنْعَمَ بِهِ على عِبَادِهِ اهـ منه. ٥- أَيْ الذي يُجِلُّهُ المُوحِّدونَ عَنِ التَّشْبِيهِ بِخَلْقِهِ ومِنْ أفعالِهِمْ، أو الذي يقالُ لَهُ: ما أَجَلَّكَ وَأَكْرَمَكَ. ا هـ منه.

٢١- «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي شَكُوراً، واجْعَلْنِي صَبُوراً، واجْعَلْنِي فِي عَيْنِي صَغِيراً، وفِي أعينُ النّاسِ كَبيراً»* أخرجه البزار في مسنده عن بُرَيدَة.

* اسْتَوْهَبَ رَبَّهُ أنْ يُعظِّمَهُ فِي عُيونِ خَلْقِهِ لِيَسْهُلَ عَلَيْهِ فِي الجُمْلَةِ أَمْرُهُ الذِي هُو خِلاَفَةُ الله فِي أرْضِهِ. ا هـ منه.

٢٢- «اللَّهُمَّ إِنَّك لَسْتَ بإله اسْتَحْدَثْناهُ(١)، ولا بِرَبٍّ ابْتَدَعْناهُ(٢)، وَلا كانَ لَنا قَبْلَكَ مِنْ إِلهٍ نَلْجأُ إِليهِ ونَذَرُكَ، ولا أَعَانَك على خَلْقِنا أحدٌ فَنُشْرِكُهُ فِيكَ، تَبَارَكْتَ(٣) وَتَعَالَيْتَ(٤)». أخرجه الطبراني عن صهيب.

١- أيْ طَلَبْنا حُدُوثَهُ. ٢- أيْ اخْتَرَعْناهُ. ٣- تَقَدَّسْتَ. ٤- تَنَزَّهْتَ.

وكان نَبِيُّ الله داودُ يَدْعُو بِهِ. ا هـ مناوي.

٢٣- «اللَّهُمَّ إِنَّك تَسْمَعُ كَلامِي(١)، وتَرَى مَكَانِي(٢)، وتَعْلَمُ سِرِّي

وَعَلانِيَتِي، لا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي، وَأَنا البَائِسُ(٣) الفَقِيرُ الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ(٤) الوَجِلُ(٥) الْمُشْفِقُ(٦) الْمُقِرُّ الْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِي، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ المِسْكِينِ(٧)، وأَبْتَهِلُ(٨) إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمُذْنِبِ الذَّلِيلِ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الخَائِفِ الضَّرِيرِ(٩)، مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ(١٠)، وفَاضَتْ لَكَ عَبْرَتُهُ(١١)، وذَلَّ لَكَ جِسْمُه(١٢)، ورَغِمَ لَكَ أَنْفُه(١٣)، اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ شَقِياً(١٤)، وكُنْ بِي رَؤُوفاً رَحِيماً، يا خَيْرَ الْمَسْؤُولِينَ، وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ». أخرجه الطبراني عن ابن عباس.

١- أَيْ لا يَعْزُبُ عَنْكَ مَسْمُوعٌ وَإِنْ خَفِيَ ا هـ منه. ٢- إِنْ كُنْتُ فِي مَلأٍ أَوْ خَلاَءٍ. ا هـ منه. ٣- الذي اشْتَدَّتْ ضَرُورَتُهُ. ا هـ مناوي. ٤- الطَّالِبُ مِنْكَ الأَمَانَ مِنَ العَذَابِ اهـ منه. ٥- الخَائِفُ. ٦- الْحَذِرُ. ٧- الْخَاضِعُ الضَّعِيفُ. ٨- أَتَضَرَّعُ. ٩- الْمُضْطَرُّ كَمَا فِي رِوَايَةٍ. ا هـ حُفْنِي. ١٠- أَيْ نَكَّسَ رَأْسَهُ رِضاً بِالتَّذَلُّلِ إِلَيْهِ. ا هـ منه. ١١- دُمُوعُه. ١٢- انْقَادَ. ١٣- لَصِقَ بِالتُّرَابِ. ١٤- تَعِباً خَائِفاً.

٢٤- «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنا(١)، وأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنا، واهْدِنا سُبُلَ السَّلامِ(٢)، وَنَجِّنا مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ» جزء من حديث أخرجه الطبراني عن ابن مسعود.

١- أَيْ الحالُ التي يَقَعُ بِها الاجْتِمَاعُ اهـ منه. ٢- أَيْ دُلَّنا عَلى طُرُقِ السَّلامَةِ مِنَ الآفاتِ اهـ منه.

٢٥- «اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا فِي أَسْماعِنَا وَأَبْصَارِنا، وقُلُوبِنا وَأَزْوَاجِنا وَذُرِّيَاتِنا، وتُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَابُ(١) الرَّحِيمُ، واجْعَلْنا شاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ مُثْنِينَ(٢) بِها، قابِلِينَ(٣) بِها، وأَتِمَّها عَلَيْنا» جزء من حديث أخرجه الطبراني والحاكم عن ابن مسعود.

١- أَيْ مِنْ شَأْنِكَ قَبولُ التَّائِبِينَ اهـ عزيزي. ٢- نَذْكُرُكَ بِالجَمِيلِ اهـ مناوي. ٣- أَيْ مُسْتَمِرِّينَ عَلى قَوْلِ ذَلِكَ، مُدَاوِمِينَ عَلَيْهِ اهـ منه.

٢٦- «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وقِلَّةَ حِيلَتِي، وهَوانِي عَلى النَّاسِ(١)، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ إِلى مَنْ تَكِلُنِي(٢)؟ إِلى عَدُوٍ يَتَجَهَّمُني(٣)، أَمْ إِلى قَريبٍ مَلَّكْتهُ(٤) أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطاً عَلَيَّ فَلا أُبَالِي(٥)، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ(٦) أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ(٧) الكَرِيمِ الذِي أَضَاءَتْ لَهُ السَّمواتُ والأَرْضُ وأَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُماتُ وصَلَحَ عليهِ أَمْرُ الدُّنيا والآخِرَةِ أَنْ تُحِلَّ عليَّ غَضَبَكَ، أَو تُنَزِّلَ عَلَيَّ سَخَطَكَ، ولَكَ العُتْبى(٨) حَتَّى تَرْضَى(٩)، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ». أخرجه الطبراني عن عبد الله بن جعفر.

١- أَيْ احْتِقَارَهُمْ إِيَّايَ واسْتِهَانَتَهُمْ بِي. ا هـ مناوي. ٢- تُفَوِّضُ أَمْرِي. ٣- يَلْقَانِي بِغِلْظَةٍ وَوَجْهٍ كَرِيهٍ اهـ منه. ٤- أَيْ جَعَلْتَهُ مُتَسَلِّطاً عَلى إِيذَائِي وَلاَ أَستطِيع دفعه ا هـ منه. ٥- بِمَا تَصْنَعُ بِي أَعْدَائِي اهـ منه. ٦- السَّلامَةَ مِنَ البَلايَا والمِحَنِ والمصائبِ اهـ منه. ٧- أَيْ ذَاتِكَ اهـ منه. ٨- أَيْ طَلَبُ الرِّضَا اهـ حفني. ٩- أَيْ أَسْتَرْضِيكَ حَتَّى تَرْضى اهـ مناوي. أَيْ حتى تُظْهِر رِضَاكَ الأَزَلِيَّ.

٢٧- «اللَّهُمَّ وَاقِيَةً كَوَاقِيَةِ الوَلِيدِ»* أخرجه أبو يعلى في مسنده، **«اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي»** أخرجه أحمد عن ابن مسعود.

* أيْ المَوْلُودِ. يَعْنِي أَسْأَلُكَ كَلاَءَةً وحِفْظاً كَحِفْظِ الطِّفْلِ المَوْلُودِ، أَوْ أَرَادَ مُوسى عليه الصلاة والسلام. اهـ منه.

أَيْ فَقَدْ حَفِظَهُ الله مِنْ فِرْعَوْنَ وَهُوَ وَلِيدٌ، فَاحْفَظْنِي مِنْ شَرِّ قَوْمِي. اهـ منه بالمعنى.

٢٨- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ(١)، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ» طرف من حديث أخرجه الحاكم عن ابن مسعود. **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ(٢) رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ(٣) مَغْفِرَتِكَ والسَّلاَمَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ والغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، والفَوْزَ بِالجَنَّةِ والنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ»**. أخرجه الحاكم عن ابن مسعود.

١- وَفِي رِوَايةٍ: بِيَدَيْكِ فِي المَوضِعَيْنِ، وَتَثْنِيَتُها باعْتِبَارِ تَنْوِيعِ التَّصَرُّفِ في العَالَمِينَ. ا هـ مناوي.

٢- أَيْ مُقْتَضِياتِهَا بِوَعْدِكَ، فَإِنَّهُ لا يَجُوزُ الْخُلْفَ فِيهِ، وإلاَّ فَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعالى لاَ يَجِبُ عَلَيْهِ شَيءٌ. اهـ عزيزي. ٣- مُؤَكِّدَاتِها أو مُوجِبَاتِها، يَعْنِي أَسْأَلُكَ أَعْمَالاً بِعَزْمٍ تَهَبُ لِي بها مَغْفِرَتَكَ. اهـ مناوي.

٢٩- «اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي، حَتَّى تَجْعَلَهُما الوَارِثَ مِنِّي(١)، وَعَافِنِي في دِينِي وَفِي جَسَدِي، وانْصُرْنِي ممن ظَلَمَنِي حَتَّى تُرِيَنِي فِيهِ ثَأْرِي(٢)».

١- أَيْ أَبْقِهِما صَحِيحَيْنِ سَلِيمَيْنِ إلى أَنْ أَمُوتَ، أَوْ أَرَادَ بَقَاءَهُما وَقُوَّتَهُما عِنْدَ الكِبَرِ وانْحِلاَلِ القُوى. اهـ مناوي. ٢- أَيْ تُهْلِكَهُ. اهـ مناوي.

٣٠- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي(١) إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ(٢) أَمْرِي إِلَيْكَ(٣)، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ(٤)، وخَلَّيْتُ(٥) وَجْهِي إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ ولا مَنْجَى(٦) مِنْكَ إلاَّ إِلَيْكَ(٧)، آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الذِي أَرْسَلْتَ وبِكِتابِكَ الذي أَنْزَلْتَ» (٢٩-٣٠) أخرجه الحاكم عن علي.

١- ذَاتِي. ٢- رَدَدْتُ. ٣- إلى حِكْمَتِكَ. ٤- أَيْ أَسْنَدتُهُ إِلَيْكَ، وخَصَّ الظَّهْرَ لِجَرْيِ العَادَةِ بِأَنَّ الآدَمِيَّ يَعْتَمِدُ بِظَهْرِهِ عَلى ما يَسْتَنِدُ إِليهِ. اهـ مناوي. ٥- فرَّغْتُ. ٦- أَيْ لا مَهْرَبَ ولاَ مَخْلَصَ. ٧- فِي أُمورِي الدَّاخِلَةِ والخَارِجَةِ مُفْتَقِرَة إِلَيْكَ.

٣١- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ(١) والكَسَلِ(٢)، والجُبْنِ(٣) والبُخْلِ(٤)، والهَرَمِ(٥) والقَسْوَةِ(٦)، والغَفْلَةِ(٧) والذِّلَّةِ(٨)، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ(٩) والكُفْرِ والفُسُوقِ(١٠) والشِّقَاقِ(١١) والنِّفَاقِ والسُّمْعَةِ(١٢) والرِّيَاءِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ والبُكْمِ والجُنُونِ والجُذَامِ(١٣) والبَرَصِ(١٤) وسَيِّءِ الأَسْقَامِ». أخرجه الحاكم والبيهقي.

١- سَلْبِ القُوَّةِ وتَخَلُّفِ التَّوْفِيقِ. اهـ (التيسير). ٢- أَيْ التَّثَاقُلِ والتَّرَاخِي عَمَّا يَنْبَغِي مَعَ القُدْرَة اهـ منه. ٣- الخَوَرِ عَنْ تَعَاطِي القِتَالِ خَوْفاً على المُهْجَةِ اهـ منه. ٤- مَنْعِ السَّائِلِ عَمّا يَفْضُلُ عَنِ الحَاجَةِ اهـ منه. ٥- كِبَرِ السِّنِّ المُؤَدِّي إلى سُقُوطِ القُوَى وَذَهَابِ العَقْلِ وتخبطِ الرَّأْيِ اهـ منه. ٦- غِلَظِ القَلْبِ وَصَلابَتِه اهـ. ٧- غَيْبَةِ الشَّيءِ المُهِمِّ عَنِ البَالِ وَعَدَم تَذَكرِه اهـ. ٨- الهَوَانِ عَلى النَّاسِ. ٩- أَيْ فَقْرِ النَّفْسِ وَهُوَ الشَّرَهُ، أَوْ فَقْرِ المَالِ، أَو المُرادُ الفِتْنَةُ مِن احْتِمالِهِ وقِلَّةِ

الرِّضَا بِهِ. اهـ عزيزي باختصار. ١٠- الخُروج عن الاستقامَةِ. ١١- أَيْ مُخَالَفَةِ الحَقِّ بِأَنْ يَصِيرَ كُلٌّ مِنَ المُتَنَازِعَيْنِ فِي شِقٍّ اهـ عزيزي. ١٢- لِيُسْمِعَهُ النَّاسَ. ١٣- عِلَّةٌ تُسْقِطُ الشَّعَرَ وتُفَتِّتُ اللَّحمَ وتُجْرِي الصَّدِيدَ مِنْهُ. اهـ مناوي. ١٤- عِلَّةٌ تُحْدِثُ فِي الأعضَاءِ بَيَاضاً. اهـ منه.

٣٢- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وقَلْبٍ لا يَخْشَعُ، ودُعَاءٍ لا يُسْمَعُ، ونَفْسٍ لا تَشْبَعُ، ومِنَ الجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَجِيعُ، ومِنَ الخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ.. ومِنَ الكَسَلِ والبُخْلِ والجُبْنِ، ومِنَ الهَرَمِ، وأَنْ أُرَدَّ إِلى أَرْذَلِ العُمُرِ، ومِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وعَذَابِ القَبْرِ، ومِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا(١) والمَمَاتِ(٢)».

١- ما يَعْرِضُ لِلآدَميِّ مُدَّةَ حَيَاتِهِ مِنَ الافتِتَانِ بِالدُّنْيا والجَهَالاَتِ اهـ منه. ٢- أَيْ مَا يُفْتَنُ بِهِ عِنْدَ المَوتِ اهـ منه.

٣٣- «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسأَلُكَ قُلُوباً أَوَّاهَةً(١) مُخْبِتَةً(٢) مُنِيبَةً(٣) فِي سَبِيلِكَ، اللَّهُمَّ: إِنَّا نَسأَلُكَ عَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، ومُنْجياتِ أمرِكَ، والسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، والغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالفَوْزَ بِالجَنَّةِ، والنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ» [٣٢- ٣٣] أخرجه الحاكم عن ابن مسعود.

١- مُتَضَرِّعَةً أَوْ كَثِيرَةَ الدُّعَاءِ اهـ مناوي. ٢- خَاشِعَةً مُطِيعَةً مُنْقَادَةً. اهـ مناوي. ٣- راجِعَةً إِلَيْكَ بالتَّوْبَةِ اهـ منه.

٣٤- «اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ عِنْدَ كِبَرِ سِنِّي وانْقِطَاعِ عُمُرِي(١)، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العِفَّةَ(٢) وَالعَافِيَةَ فِي دِينِي ودُنْيَايَ وأَهْلِي ومَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي(٣)، وآمِنْ رَوْعَتِي(٤)، واحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، ومِنْ خَلْفِي، وعَنْ يَمِينِي، وعَنْ شِمالِي، ومِنْ فَوقِي، وأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ(٥) مِنْ تَحْتِي(٦)» أخرجه البزار عن ابن عباس.

١- أيْ إِشْرَافِهِ على الانْقِطَاعِ، فَإِنَّ الآدَمِيَّ عِنْدَ الشَّيْخُوخَةِ ضَعِيفُ القُوَى قَلِيلُ الكدِّ عَاجِزٌ عَنِ السَّعْيِ. اهـ منه. ٢- أَيْ العَفَافَ، يَعْنِي التَّنَزهَ عَمَّا لا يَحِلُّ اهـ منه. وفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى ذَكَرَهَا القُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرٍ عَنْ صَحِيحِ مُسْلِم (العَفْوَ وَالعَافِيَةَ). ٣- عُيُوبِي وخَلَلِي وتَقْصِيرِي وَكُلَّ مَا يُسْتَحْيا مِنْ ظُهُورِهِ. اهـ منه. ٤-

هِيَ المَرَّةُ مِنَ الرَّوْعِ وَهُوَ الفَزَعُ اهـ عزيزي. ٥- أُهْلَكَ. ٦- أُدْهَى مِنْ حَيْثُ لاَ أَشْعُرُ بِخَسْفٍ أَوْ غَيْرِهِ، اسْتَوْعَبَ الجِهَاتِ السِّتَّةَ اهـ مناوي.

٣٥- «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيماناً يُبَاشِرُ قَلْبِي(١) حَتَّى أَعْلَمَ(٢) أَنَّهُ لا يُصِيبُنِي إلاَّ مَا كَتَبْتَ لِي، ورَضِّنِي مِنَ المَعِيشَةِ بِمَا قَسَمْتَ لِي**». أخرجه البزار عن ابن عمر.

١- يُلامِسُهُ ويُخَالِطُهُ. ٢- أَجْزِمَ.

٣٦- «**اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ وخَلِيلَكَ، دَعَاكَ لأَهْلِ مَكَّة بالبركَةِ، وَأَنَا مُحمدٌ عَبْدُكَ ورَسُولُك(١)، أدْعُوكَ لأَهْلِ المدِينَة أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ(٢) وصَاعِهِمْ مِثْلَيْ مَا بَارَكْتَ لأَهْلَ مَكَّةَ مَعَ البَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ(٣)**». أخرجه الترمذي عن علي.

١- لَمْ يَذْكُرْ الخُلَّةَ لِنَفْسِهِ مَعَ أَنَّهُ خَلِيلٌ أَيْضاً تَواضُعاً وَرِعَايَةً للأَدَبِ مَعَ أَبِيهِ. ا هـ مناوي. ٢- أيْ فِيما يُكَالُ بِهما بَرَكَةٌ. أ هـ مناوي. ٣- أَيْ أَدْعُوكَ أَنْ تُضَاعِفَ لَهُمُ البَرَكَةَ ضِعْفَيْ مَا بَارَكْتَ لأَهْلِ مَكَّةِ بِدُعَاءِ إبْرَاهِيمَ. أ هـ منه.

٣٧- «**اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ(١) مَكَّةَ، فَجَعَلَهَا حَرَاماً، وَإِنِّي حرَّمْتُ(٢) المَدِينَةَ مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْها(٣) أَنْ لا يُراقَ فِيها دَمٌ(٤) ولا يُحْمَل فِيها سِلاحٌ لِقِتَالٍ(٥)، ولا يُخْبَطَ(٦) فِيها شَجَرَةٌ إلاَّ لِعَلَفٍ، اللَّهُمَّ بَارِكَ لَنَا فِي مَدِينَتِنا(٧)، اللَّهُمَّ بَارِكَ لَنا فِي صَاعِنا، اللَّهُمَّ بارِكْ لَنَا فِي مُدِّنا، اللَّهُمَّ اجْعَل مَع البَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ(٨)، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنَ المَدِينَةِ شِعْبٌ(٩) ولا نَقْبٌ(١٠) إلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَكَانِ يَحْرُسَانِها حَتَّى تَقْدُمُوا إِلَيْهَا**»(١١). أخرجه مسلم عن أبي سعيد.

١- أَيْ أَظْهَرَ حُرْمَتَها بِأَمْرِ الله فَلا يُسْفَكُ فِيها دمُ إِنسانٍ، وَلاَ يُظْلَمُ فِيها أَحَدٌ ولا يُصَادُ صَيْدُهُ، ولا يُخْتلَى خَلاَهُ اهـ مناوي. ٢- أي جَعَلْتُها حَرَاماً اهـ مناوي. ٣- تَثْنِيَةُ مَأْزم بالهَمْز وَزَاي مَكسُورَة الجَبَلُ أو المضيقُ بَيْنَ جَبَلَيْن اهـ منه. ٤- أيْ لا يُقْتَلُ فِيها آدَمِيٌّ مَعْصُومٌ بِغَيْرِ حَقٍّ اهـ منه. ٥- أَيْ عِنْدَ الاضطِرارِ. اهـ منه. ٦- تُضْرَبُ. ٧- كَثِّرْ خَيرَها: ا هـ عزيزي. والذِي كَتَبَ عليه المَنَاوِي

والحفْني (مُدَّنا) وفسَّرَهُ المناوِي: بِحَيْثُ يَكْفِي الْمُدُّ فيها لِمَنْ لا يَكْفِيهِ فِي غَيْرِهَا اهـ منه. ٨- فِيها فتَصِيرُ البَرَكَةُ مُضاعَفَةً اهـ مناوي. ٩- فُرْجَةٌ نَافِذَةٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ اهـ منه. ١٠- طَرِيقٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ اهـ منه. ١١- وَكَانَ هَذَا القَوْلُ حِينَ كانُوا مُسَافِرِين لِلغزوِ، وبلغهُمْ أَنَّ العَدُوَّ يُرِيدُ الهُجُومَ، أَوْ هَجَمَ عَلَيْها. اهـ منه.

٣٨- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ والهَرَمِ والْمَأْثَمِ(١) والْمَغرمِ(٢)، ومِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ(٣) وعَذَابِ القَبْرِ(٤)، ومِنْ فِتْنَةِ النَّارِ(٥) وَعَذَابِ النَّارِ(٦)، ومِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى(٧)، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ(٨)، وأَعُوذُ بِك مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ(٩)».

١- أَيْ مِمْا يَأْثَمُ بِهِ الإِنْسَانُ، أَوْ مِمَّا فِيه إِثْمٌ، أَوْ مِمَّا يُوجِبُ الإِثْمَ، أَوْ الإِثْمِ نَفْسِهِ. اهـ منه.

٢- أيْ مَغْرَم الذُّنوبِ، أَوْ الدَّيْن فيما لا يَحِلُّ، أَوْ فِيما يَحِلُّ لَكِنْ يَعْجِزُ عَنْ وَفَائِهِ، أَوْ مِنَ الحَاجَةِ إليهِ، وذا تعليم أو إظهار لِلعُبُوديَّةِ والافْتِقَارِ اهـ منه. ٣- الْحَيْرَةِ في جَوَابِ الملكين اهـ منه. ٤- عَطْفُ عَامٍّ عَلى خَاصٍّ، فَعَذَابُهُ قَدْ يَنْشَأُ عَنْ فِتْنَتِهِ بِأن يتحير فَيُعَذَّبَ، وَقَدْ يَكُونُ لِغَيْرِهَا بِأَنْ يُجِيب بالْحَقِّ ثُمَّ يُعذَّبَ عَلى تَفْرِيطِهِ في مَأْمُور أَوْ مَنْهِيٍّ ا هـ منه. ٥- سُؤَالِ خَزَنَتِها وتَوْبِيخِهِمْ. ٦- إِحْرَاقِها بَعْدَ فِتْنَتِها. ٧- البَطَر والطُّغْيَانِ. ٨- حَسَدِ الأَغْنيَاءِ والطَّمَعِ فِي مَالِهِمْ والتَّذَلُّلِ وَعَدَمِ الرِّضَا بِالْمَقْسُوم. ا هـ مناوي. ٩- لِكَوْنِ إِحْدَى عَيْنَيْهِ مَمْسُوحةً، أَوْ لِمَسْحِ الْخَيْرِ مِنْهُ، أَوْ لِمَسْحِهِ الأَرْض أَيْ قَطْعِها فِي أَمَدٍ قَليلٍ. والدَّجَّالُ مِنَ الدَّجَلِ: الْخَلْطِ والكذِبِ. واسْتَعاذَ مِنْهُ مَعَ كَوْنِهِ لا يُدْرِكُهُ نَشْراً لِخَبَرِهِ لِئلاً يَلْتَبِسَ كُفْرُهُ عَلى مُدْرِكِهِ. اهـ (التيسير).

٣٩- «اللَّهُمَّ اغْسِلْ(١) عَنِّي خَطَايَايَ بالمَاءِ والثَّلْجِ والبَرَدِ(٢)، ونَقِّ قَلْبِيَ مِنَ الْخَطَايا كَمَا يُنَقَّى الثَّوبُ الأَبيضُ مِنَ الدَّنَسِ(٣)، وبَاعِدْ بَيْني وبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ(٤)» [٣٨-٣٩] متفق عليه.

١- أَزِلْ. ٢- مُبَالَغَةٌ، والْمُرَادُ مِنْهَا طَهِّرْنِي مِنْها بِأَنْوَاعِ مَغْفِرَتِك اهـ منه

باختصار. ٣- الوَسَخِ. ٤- أي امْحُ ما حَصَلَ مِنْ ذُنُوبِي، وحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ ما يُخَافُ مِنْ وُقُوعِها حتَّى لا يَبْقى لَها مِنِّي اقْتِرابٌ بالكُلِّيَّةِ اهـ منه.

٤٠- «اللَّهُمَّ إِنِّي أسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عاجِلِهِ وآجِلِهِ ما عَلِمْتُ منه وما لَمْ أَعْلَمْ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عاجِلِهِ وآجِلِهِ ما عَلِمتُ مِنْهُ وما لَمْ أَعْلَمْ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْراً»* أخرجه ابن ماجة عن عائشة.

* القَصْدُ بِهِ طَلَبُ دَوَام شُهُودِ القَلْبِ أَنَّ كُلَّ وَاقع فَهُوَ خَيْرٌ، وَيَنْشَأُ عَنْهُ الرِّضَا، فَلا يُنَافِي حَدِيثَ «عَجَباً لِلْمُؤمِنَ لا يَقْضِي الله لَهُ قَضَاءً إِلاَّ كَانَ لَهُ خَيْراً». اهـ منه.

٤١- «اللَّهُمَّ إِنِّي أسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطَّاهِرِ(١) الطيِّبِ(٢) الْمُبَارَكِ(٣) الأَحَبِّ إِلَيْكَ(٤)، الذي إذا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ، وَإِذا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ، وَإِذَا اسْتُرْحِمْتَ بِهِ رَحِمْتَ، وَإِذَا اسْتُفْرِجْتَ(٥) بِهِ فرَّجْتَ(٦») أخرجه ابن ماجة عن عائشة.

١- الأقْدَسِ الأَنْفَسِ الْمُنَزَّهِ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ اهـ منه. ٢- النَّفِيس. ٣- الزَّائِدِ خَيْرُهُ، العَمِيم فَضْلُهُ. اهـ منه. ٤- مِنْ جَمِيعِ الأَسْماءِ. ٥- أيْ طُلِبَ مِنْكَ. ٦- عَمَّنْ اسْتَفْرَجَ بِهِ وَلَمْ تَرُدَّهُ خَائِباً. اهـ منه.

٤٢- «اللَّهُمَّ مَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي، وَعَلِمَ أَنَّ ما جِئْتُ بِهِ هُو الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَقْلِلْ مالَهُ وَوَلَدَهُ(١) وحَبِّبْ إِلَيْهَ لِقَاءَكَ، وعَجِّلْ لَهُ القَضَاءَ(٢)، وَمَنْ لَمْ يُؤمِنْ بِي ولَمْ يُصَدِّقْنِي وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ما جِئْتُ بِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَكْثِرْ لَهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَأَطِلْ عُمُرَهُ(٣») أخرجه ابن ماجة عن عمرو بن غيلان الثقفي والطبراني عن معاذ.

١- لأنَّ مَنْ كَانَ مُقِلاًّ مِنهُما سَهُلَ عَلَيْهِ التَّوَسُّعُ فِي عَمَلِ الآخِرَةِ. اهـ مناوي. ٢- أيْ الْمَوْتَ. ٣- أيْ كَثِّرْ عَلَيْهِ أَسْبَابَ العِقَابِ، وَلاَ يُعارِضُهُ خَبَرُ أَنَّهُ ﷺ دَعا

لأنَس بِتَكثِيرِ مَالِهِ وَوَلَدِهِ، لاختِلافِ ذَلِكَ باخْتِلافِ الأشْخَاصِ كَمَا يُفِيدُهُ الخَبَرُ القُدْسِيُّ: إنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لاَ يُصْلِحُهُ إلاَّ الغِنَى.. الحدَيث. اهـ مناوي.

٤٣- «اللَّهُمَّ مَنْ آمَنَ بِكَ وَشَهِدَ أَنِّي رَسُولُكَ فَحَبِّبْ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ، وسَهِّلْ عَلَيْهِ قَضَاءَكَ(١)، وأَقْلِلْ لَهُ مِنَ الدُّنْيا، ومَنْ لَمْ يُؤمِنْ بِك وَلَمْ يَشْهَدْ أَنِّي رَسُولُكَ فَلا تُحَبِّبْ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ، ولا تُسَهِّلْ عَلَيْهِ قَضَاءَكَ، وكَثِّرْ لَهُ مِنَ الدُّنيا»(٢) أخرجه الطبراني عن فضالة بن عبيد، قال الهيثمي: رجاله ثقات.

١- فَيَتَلَقَّاهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَصَدْرٍ مُنْشَرِحٍ. اهـ منه. ٢- وذَلِكَ هُوَ غَايَةُ الشَّقاءِ. اهـ منه.

٤٤- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ(١)، وأسألكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ(٢)، وأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وأَسْأَلُكَ لِسَاناً صَادِقاً، وقَلْباً سَلِيماً(٣)، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما تَعْلَمُ، وأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ ما تَعْلَمُ، وأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ(٤)» أخرجه الترمذي والنَّسائي عن شداد بن أوس.

١- الدَّوَامَ عَلى الدِّينِ وَلُزُومَ الاسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ اهـ منه. ٢- حُسْنَ التَّصَرُّفِ فِي الأَمْرِ والإِقَامَةَ عَلَيْهِ اهـ منه. ٣- أَيْ مِنَ الحَسَدِ والحِقْدِ والكِبْرِ، وَفِي نُسْخَةٍ: حَلِيماً بَدَلَ سَلِيماً، وعليهِ يَدُلُّ ظَاهِرُ شَرْحِ المناوِيّ، قالَ بِحَيْثُ لا يَقْلَقُ وَلاَ يَضْطَرِبُ عِنْدَ هَيَجَانِ الغَضَبِ. اهـ عزيزي. ٤- أَيِ الأَشْيَاءِ الخَفِيَّةِ اهـ عزيزي.

٤٥- «اللَّهُمَّ لكَ أَسْلَمْتُ، وبِكَ آمَنْتُ، وعَلَيْكَ تَوَكلتُ، وإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ(١)، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعزَّتِكَ(٢) لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي(٣)، أَنْتَ الحَيُّ القَيُّومُ(٤) الذِي لا يَمُوتُ، والجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُونَ» أخرجه مسلم عن ابن عباس

١- أَيْ بِكَ أَحْتَجُّ وَأُدافِعُ وأُقَاتِلُ. اهـ مناوي. ٢- بِقُوَّةِ سُلْطَانِكَ اهـ مناوي. ٣- أَيْ تُهْلِكَنِي بَعَد التَّوْفِيقِ والرَّشَادِ اهـ مناوي. ٤- الدَّائِمُ القَائِمُ بِتَدْبِيرِ الخَلْق.

٤٦- «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كالَّذي نَقُولُ(١)، وخَيْرٍ مِمَّا نَقُولُ(٢). اللَّهُمَّ

لَكَ(٣) صَلاَتِي ونُسُكِي(٤) وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي(٥)، وإلَيْكَ مَآبِي، ولَكَ رَبِّ تُرَاثِي(٦). اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَوَسْوَسَةِ الصَّدْرِ(٧) وَشَتَاتِ الأَمْرِ(٨)، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيَاحُ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ(٩)» أخرجه الترمذي والبيهقي في الشُّعَبِ عن علي.

١- أَيْ كالَّذي نَحْمَدُكَ بِهِ مِنَ المَحَامِدِ ا هـ مناوي. ٢- أَيْ مِمَّا حَمِدْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أو اسْتَأْثَرْت بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ اهـ منه. ٣- لاَ لِغَيْرِكَ. ٤- عِبَادَتِي، أَوْ ذَبائِحِي فِي الْحَجِّ وَالعُمْرَةِ اهـ مناوي. ٥- أَيْ لَكَ مَا فِيهما مِنْ جَمِيعِ الأَعْمَالِ. ٦- مَا يُخَلِّفُهُ الإنْسَانُ لِوَرَثَتِهِ، فَبَيَّنَ أَنَّهُ لاَ يُورَثُ، وَأَنَّ مَا يُخَلِّفُهُ صَدَقَةٌ لله ا هـ مناوي. ٧- حَدِيثِ النَّفْسِ مِمَّا لاَ يَنْبَغِي. ٨- تَفَرُّقِهِ وَتَشَعُّبِه. ٩- سَأَلَ الله خَيْرَ الْمَجموعَةِ لأَنَّها لِلرَّحْمَةِ، وَتَعَوَّذَ بِهِ مِنْ شَرِّ الْمُفْرَدَةِ لأَنَّها لِلْعَذَابِ اهـ مناوي.

٤٧- «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي جَسَدِي، وعَافِنِي فِي بَصَرِي، واجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنِّي(١)، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الكَرِيمُ الحَكِيمُ(٢)، سُبحانَ ربِّ العَرْشِ العَظِيمِ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ» أخرجه الترمذي والحاكم عن عائشة.

١- بِأَنْ يُلاَزِمَني حتَّى عِنْدَ الْموتِ لُزُومَ الوَارِثِ لِمُوَرِّثِهِ اهـ منه. ٢- وَفِي نُسْخَةِ المَنَاوِي: (الحَلِيمُ الكريمُ).

٤٨- «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنا مِنْ خَشْيَتِكَ ما يَحُولُ بَيْنَنا وبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنا بِهِ جَنَّتَكَ(١) (أَيْ اجْعَلْ لَنا قَسْماً)، وَمِنَ اليَقِينِ ما يُهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيا(٢)، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنا وأَبْصَارِنا وَقُوَّتنا ما أَحْيَيْتَنا، واجْعَلْه الوَارِثَ مِنَّا(٣)، واجْعَلْ ثَأْرَنا على مَن ظَلَمَنا(٤)، وانْصُرْنا على مَنْ عَادَانا، ولا تَجْعَل مُصِيبَتنا فِي دِينِنا(٥)، ولاَ تَجْعَلْ الدُّنيا أَكْبَرَ هَمِّنا(٦)، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنا(٧)، ولا تُسَلِّطْ عَلَيْنا مَنْ لا يَرْحَمُنا(٨)» أخرجه الترمذي والحاكم عن ابن عمر.

١- أَيْ مَعَ شُمولِنا بِرَحْمَتِكَ، وَلَيْسَتِ الطَّاعَةُ وَحْدَهَا مَبْلَغَهُ اهـ مناوي. ٢- بِأَنْ نَعْلَمَ أَنَّ مَا قَدَّرْتَهُ لاَ يَخْلُو مِنْ حِكْمَةٍ وَمَصْلَحَةٍ، وَأَنَّه لاَ يَفْعَلُ بالعَبْدِ شَيْئاً،

إلاَّ وفِيه صَلاَحُهُ، اهـ منه. ٣- أيْ اجْعَل تَمَتُّعَنا بها بَاقِياً عَنَّا مَوْرُوثاً لِمَنْ بَعْدَنا أَوْ مَحْفُوظاً لَنَا لِيَوْم الحاجة اهـ منه. ٤- أيْ مَقْصُوراً عَلَيْهِ ولاَ تَجْعَلْنا مِمَّنْ تَعدَّى في طَلَبِ ثَأْرِهِ فَأَخَذَ بِهِ غَيْرَ الجَانِي ا هـ منه. ٥- أيْ لا تُصِبْنا بِمَا يُنْقِصُ دِينَنا مِنْ أَكْلِ حَرَام أَوْ غَيْرِهِ اهـ منه. ٦- فَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ فِي الْهَلاَكِ ا هـ. ٧- أيْ بِحَيْثُ تكُونُ جَمِيعُ مَعْلُومَاتِنا الطُّرُقَ الْمُحَصِّلَةَ لِلدُّنيا ا هـ. ٨- أيْ لا تجعَلْنا مَغْلُوبِينَ لِلظَّلَمَةِ والكَفَرَةِ، أَوْ لاَ تَجْعَلِ الظَّالِمِينَ حَاكِمِينَ عَلَيْنا. من المناوي.

٤٩- **«اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أُعَظِّمُ شُكْرَكَ*، وأُكْثِرُ ذِكْرَكَ، وأَتْبَعُ نَصِيحتَكَ، وأَحْفَظُ وَصِيتَكَ»** أخرجه الترمذي عن أبي هريرة.

* أيْ وَفِّقْنِي لإِكْثَارِهِ والدَّوَامِ على اسْتِحْضَارِهِ اهـ (التيسير).

٥٠- **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحمدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يا مُحمدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ* بِكَ إِلى رَبِّي فِي حَاجَتِي هذِهِ لِتُقْضَى لِي، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ»** أخرجه الترمذي وابن ماجة والحاكم عن عثمان بن حُنَيْفٍ.

* أيْ اسْتَشْفَعْتُ.

- روَاهُ التِّرْمِذِيُّ وابْنُ ماجَةَ والحاكِمُ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْف قالَ: جَاءَ رَجُلٌ ضَرِيرٌ إِلى النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ: «ادْعُ الله أنْ يُعافِيَنِي قالَ: إنْ شِئْتَ أُخَّرْتُ لكَ، وَهُوَ خَيْرٌ، وإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، قالَ: فَادْعُهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يَتوضَّأَ وَيُصَلِّيَ رِكْعَتَيْنِ ويَدْعُوَ بِهذا الدُّعاءِ: قالَ عُمَرُ: فَوالله ما تَفرَّقْنا حتَّى دَخلَ عَلَيْنا الرَّجُلُ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضَرَرٌ».

٥١- **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، ومِنْ شَرِّ بَصَرِي، ومِنْ شَرِّ لِسانِي، ومِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي»*** أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم عن شكل بن حميد العبسي.

*- أيْ مِنْ شَرِّ شِدَّةِ الغِلْمَةِ وسَطْوَةِ الشَّبَقِ إلى الجِمَاعِ الذِي إذَا أَفْرَطَ يُوقِعُ فِي الزِّنَا، وخَصَّ المذْكُوَارتِ لأَنَّها أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ اهـ مناوي.

٥٢- **اللَّهُمَّ عَافِنِيَ في بَدِنَي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي،**

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ مِنَ الكُفْرِ والفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ(*)» أخرجه أبو داود والحاكم والنسائي في اليوم والليلة عن أبي بكْرة.

*- فَلاَ يُسْتَعَاذُ مِنْ جَمِيعِ المَخَاوِفِ إِلاَّ بِكَ أَنْتَ اهـ مناوي.

٥٣- «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً نَقِيَّةً(١)، ومِيتَةً سَوِيَّةً، ومَرَدّاً(٢) غَيْرَ مُخْزٍ(٣) وَلاَ فَاضِحٍ(٤)**» أخرجه البزار في مسنده، والطبراني والحاكم عن ابن عمر.

١- زَكِيَّةً رَاضِيةً مَرْضِيَّةً. ٢- أَيْ مُرْتَجَعاً إِلى الآخِرَةِ. ٣- أَيْ غَيْرَ مُذِلٍّ وَلا مُوقِعٍ فِي بَلاَءٍ. ٤- أَيْ كاشِفٍ لِلمَساوِي وَالعُيُوب ا هـ

٥٤- «**اللَّهُمَّ إِنَّ قُلُوبَنا وَجَوَارِحَنا بِيَدِكَ(١)، لَمْ تُمَلِّكنَا مِنْها شَيْئاً، فَإِذا(٢) فعَلْتَ ذَلِكَ بِهِما فَكُنْ أَنْتَ وَلِيَّهُما**» أخرجه أبو نعيم في الحلية عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه.

١- أَيْ في تَصَرُّفِكَ، تُقَلِّبُها كَيْفَ تَشَاءُ اهـ منه. ٢- وَفِي رِوَايةٍ (فَإِنْ). ٣- مُتَوَلِّياً حِفْظَهُمَا وَتَصْرِيفَهُما فِي مَرْضَاتِكَ اهـ.

٥٥- «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي قَلْبِي نوراً، وفِي لِسَانِي نُوراً، وفِي بَصَرِي نُوراً، وفِي سَمْعِي نُوراً، وعَنْ يَمِينِي نُوراً، وعَنْ يَسَارِي نُوراً، ومِنْ فَوْقِي نُوراً، ومِنْ تَحْتِي نُوراً، ومِنْ أَمَامِي نُوراً، ومِنْ خَلْفِي نُوراً، واجْعَلْ لِي فِي نَفْسِي نُوراً(١)، وأَعْظِمْ لِي نُوراً(٢)**» أخرجه أحمد في مسنده والشيخان عن ابن عباس.

١-قَالَ القُرْطُبِيُّ: هَذِهِ الأَنوارُ التِي دَعَا بِها رَسُولُ الله ﷺ يُمْكِنُ حَمْلُها عَلى ظَاهِرِهَا، فَيَكُونُ سَأَلَ الله أَنْ يَجْعَلَ لَهُ فِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ نُوراً يَسْتَضِيءُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي تِلْكَ الظُّلَمِ، هُوَ ومَنْ تَبِعَهُ أَو مَنْ شَاءَ الله تَعالَى مِنْهُم. قَالَ: وَالأَوْلى أَنْ يُقَالَ: هِيَ مُسْتَعَارَةٌ لِلعِلْمِ والهِدَايَةِ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٣٩/٢٢] وقَولِهِ تَعالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُوراً يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام: ٦/١٢٢] ثُمَّ قَالَ: وَالتَّحْقِيقُ فِي مَعْنَاهُ أَنَّ النُّورَ مَظْهَرٌ لِمَا يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَخْتَلِفُ بِحَسْبِهِ، فَنُورُ السَّمْعِ مَظْهَرٌ لِلْمَسْمُوعَاتِ، ونُورُ البَصَرِ كاشِفٌ لِلْمُبْصَرَاتِ، ونورُ القَلْبِ كاشِفٌ عَنِ المَعْلُومَاتِ، ونُورُ الجَوَارِحِ ما يَبْدُو عَلَيْها

مِنْ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: قَالَ العُلَمَاءُ: طَلَبَ النُّورَ فِي أَعْضَائِهِ وَجِسْمِهِ وتَصَرُّفَاتِهِ وتَقَلُّبَاتِهِ وحَالاَتِهِ وُجُمْلَتِهِ فِي جِهَاتِهِ السِّتّ حَتّي لاَ يَزِيغَ شَيءٌ مِنْهَا عَنْهُ اهـ عزيزي. ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا مِنْهُ ﷺ دُعَاءٌ بِدَوَام ذَلِكَ لأَنَّه حَاصِلٌ لَهُ، أَوْ هُوَ تَعْلِيمٌ لأُمَّتِهِ اهـ. ٢- أَيْ شَامِلاً لِلأَنْوَارِ السَّابقَةِ وغَيْرِهَا أ هـ مناوي.

٥٦- «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الذِي هُوَ عِصْمَةُ(١) أَمْرِي، وأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ التِي فِيها مَعَاشِي(٢)، وأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي التِي إِلَيْها مَعَادِي(٣)، واجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً(٤) لِيَ فِي كُلِّ خَيْرٍ، واجْعَلِ المَوْتَ راحَةً(٥) لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

١- أَيْ الذي هُو حَافِظٌ لِجَمِيعِ أُمُورِي، فَإِنَّ مَنْ فَسَدَ دِينُهُ فَسَدَتْ أُمُورُهُ وَخَابَ وخَسِرَ اهـ مناوي. ٢- أَيْ بِإِعْطَاءِ الكفَافِ إلخ. من المناوي. ٣- أيْ مَا أَعُودُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ اهـ . ٤- أَيْ اجْعَلْ حَيَاتِي زِيَادَةً فِي طَاعَتِي اهـ . ٥- أَيْ اجْعَلْ مَوْتِي سَبَبَ خَلاصي مِنْ مشَقَّةِ الدُّنْيا والتَّخَلُّصِ مِنْ غُمُومِها. اهـ.

٥٧- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدى(١) والتُّقَى(٢) والعَفَافَ(٣) والغِنى(٤)» أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجة عن ابن مسعود.

١- الهِدَايَةَ إِلى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيم. ٢- الخَوْفَ مِنَ الله والحَذَرَ مِنْ مُخَالَفَتِهِ. اهـ . ٣- الصِّيَانَةَ مِنْ مَطَامِعِ الدُّنْيا ا هـ منه. ٤- غِنَى النَّفْسِ والاسْتِغْنَاءَ عَنِ النَّاسِ اهـ منه.

٥٨- «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي(١) وآمِنْ رَوْعَتِي(٢)، واقْضِ عَنِّي دَيْنِي(٣)» أخرجه الطبراني عن خباب.

١- ما يَسُوءُنِي إِظْهَارُهُ ا هـ. ٢- خَوْفِي وَفَزَعِي أ هـ. ٣- بِأَنْ تُقْدِرَنِي عَلَى وَفَائِهِ اهـ.

٥٩- «اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ(١) أَحَبَّ الأَشْيَاءِ إِلَيَّ(٢)، واجْعَلْ خَشْيَتَكَ أَخْوَفَ الأَشْيَاءِ عِنْدِي، واقْطَعْ عَنِّي حَاجَاتِ الدُّنْيا(٣) بِالشَّوْقِ إِلى لِقَائِكَ(٤)، وَإِذَا أَقْرَرْتَ أَعْيُنَ أَهْلِ الدُّنْيا مِنْ دُنْيَاهُمْ(٥) فَأَقْرِرْ عَيْنِي مِنْ عِبَادَتِكَ(٦)» أخرجه أبو نعيم في الحلية عن الهيثم بن مالك الطائي.

١- أيْ حُبِّي لَكَ. ٢- وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ التَّرَقِّي فِي مَدَارِجِ مَعْرِفَةِ الحَقِّ، فَكُلَّما ازْدَادَتِ الْمَعْرِفَةُ تَضَاعَفَتِ الأَحَبِّيَّةُ. اهـ منه. ٣- إِمْنَعْها وادْفَعْها اهـ منه. ٤- بِسَبَبِ حُصُولِ التَّشَوُّقِ إلى النَّظرِ إلى وَجْهِكَ الكَرِيم اهـ ٥- أَيْ فَرَّحْتَهُمْ بِمَا آتَيْتَهُمْ مِنْها اهـ (التيسير). ٦- أَيْ فَرِّحني بِها، وذَلِكَ لأَنَّ المُسْتَبْشِرَ الضَّاحِكَ يَخْرُجُ مِنْ عَيْنِهِ مَاءٌ بَارِدٌ، والبَاكِي جَزَعاً يَخْرُجُ مِنْ عَيْنِهِ ماءٌ سَخِنٌ مِنْ كَبدِهِ أ هـ (التيسير).

٦٠- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الأَعْمَيَيْنِ: السَّيْلِ وَالبَعِيرِ الصَّؤُولِ(*)» أخرجه الطبراني عن عائشة بنت قدامة.

*- فَعُولٌ مِنَ الصَّوْلَةِ، وَهِيَ الحَمْلَةُ والوَثْبَةُ؛ سَمَّاهُما أَعْمَيَيْنِ لِمَا يُصِيبُ مَنْ يُصِيبانِهِ مِنَ الْحَيْرَةِ فِي أَمْرِهِ اهـ. التيسير

٦١- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصِحَّةَ(١) والعِفَّةَ(٢) والأَمَانَةَ وحُسْنَ الخُلُقِ(٣)، والرِّضَا بِالقَدرِ(٤)» أخرجه البزار والطبراني عن ابن عمرو.

١- العافِيَةَ مِنَ الأَمْرَاضِ والعَاهَاتِ اهـ. ٢- عَنْ كُلِّ مُحَرَّمٍ ومَكْرُوهٍ وَمُخِلٍّ بِالْمُرُوءَةِ ا هـ. ٣- بِالضَّمِ أَيْ مَعَ الخَلْقِ. ٤- أَيْ بِما قَدَّرْتَهُ فِي الأَزَلِ، وَهَذَا تَعْلِيمٌ لِلأُمَّةِ ا هـ.

٦٢- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ(١)، ومَنْ لَيْلَةِ السُّوءِ، ومِنْ سَاعَةِ السُّوءِ، ومِنْ صَاحِبِ السُّوءِ(٢)، ومِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ(٣)» أخرجه الطبراني عن عقبة بن عامر.

١- أَيْ اليَوْمِ الذي يَقَعُ فِيه مِنِّي سُوءٌ وَفُحْشٌ، أَو الذي يَحْصُلُ لِي فِيه ضَرَرٌ فِي بَدَنِي أَوْ مَالِي، أَو الذِي يَحْصُلُ فِيه غَفْلَةٌ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ، وَلاَ مَانِع مِنْ إِرَادَةِ الكُلِّ اهـ حفني. ٢- مُفْرَدُ الصَّحَابَةِ، ولَمْ يُجْمَع فَاعِلٌ عَلَى فَعَالَةِ إِلاَّ هَذا اهـ مناوي. ٣- بِضَمِّ المِيم، أَيْ الإِقَامَةِ، فَإِنَّ الضَّرَرَ فِيها يَدُومُ، بِخِلاَفِ السَّفَرِ، وتَقَدَّمَ أَنَّ جَارَ السُّوءِ هُوَ الذِي إِذا رَأَى خَيْراً كَتَمَهُ، أَوْ شَرّاً أَذَاعَهُ. اهـ عزيزي.

٦٣- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ(١)، وبِمُعَافَاتِكَ مِنْ

عُقوبتِكَ(٢)، وأعُوذُ بِكَ مِنكَ(٣) لا أُحصِي(٤) ثَناءً عَلَيْكَ أَنتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلى نَفْسِكَ(٥)» أخرجه مسلم وأصحاب السنن الأربعة عن عائشة.

١- أيْ بِما يُرْضِيكَ عَمَّا يُسْخِطُكَ اهـ مناوي. ٢- اسْتَعاذَ بِمُعَافَاتِهِ بَعْدَ اسْتِعَاذَتِهِ بِرِضَاهُ لأَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ مِنْ جِهَةِ حُقُوقِهِ، ويُعَاقِبَهُ عَلى حَقِّ غَيْرِهِ اهـ مناوي. ٣- أيْ بِرَحْمَتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ. ٤- أيْ لا أُطِيقُ ثَنَاءً عَلَيْكَ فِي مُقَابَلَةِ نِعْمَةٍ واحِدَةٍ اهـ. ٥- بِقَوْلِكَ: فَلِلَّهِ الحَمْدُ.. الآية. وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا حَمِدْتَ بِهِ نفسك اهـ.

٦٤- **«اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ شُكْراً(١)، ولَكَ المَنُّ فَضْلاً(٢)»** أخرجه الطبراني عن كعب بن عُجْرة.

١- عَلى نَعْمَائِكَ التِي لا تَتَنَاهَى اهـ مناوي. ٢- أَيْ زِيَادَةً، وذَا قَالَهُ لَمَّا بَعَثَ بَعْثاً وقَالَ: إنْ سَلَّمَهُمُ الله فَلِلَّهِ عَلَيَّ شُكْراً، فَسَلِمُوا وَغَنِمُوا اهـ مناوي.

٦٥- **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ(١) لِمَحَابِّكَ(٢) مِنَ الأَعْمَالِ(٣)، وصِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ(٤)، وحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ(٥)»** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

١- خَلْقَ قُدْرَةِ الطَّاعَةِ اهـ مناوي. ٢- لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ. ٣- أَيْ الصَّالِحَةِ، لا تَرَقِّ فِي الأَفْضَلِ فَالأَفْضَلِ إِلاَّ بِها اهـ. ٤- أَيْ إِخْلاصَهُ ومُطابَقَتَهُ لِلوَاقِعِ اهـ منه. ٥- أَيْ يَقِيناً جَازِماً يَكُون سَبَباً لِحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ.

٦٦- **«اللَّهُمَّ افْتَحْ مَسَامِعَ قَلْبِي لِذِكْرِكَ(١)، وارْزُقْنِي طَاعَتَكَ(٢) وطَاعَةَ رَسُولِكَ، وعَملاً بِكِتَابِكَ(٣)»** أخرجه الطبراني في الأوسط عن علي.

١- لِيُدْرِكَ لَذَّةَ مَا نَطَقَ بِهِ اهـ. ٢- أَيْ كَمَالَ لُزُومِ أَمْرِكَ اهـ. ٣- القُرْآنِ أَيْ العَمَلَ بِما فِيهِ مِن أحكام اهـ منه.

٦٧- **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمَانٍ(١)، وإِيمَاناً فِي حُسْنِ خُلُقٍ، ونَجَاحاً يَتْبَعُهُ فَلاَحٌ(٢)، وَرَحْمَةً مِنْكَ وعافِيَةً ومَغْفِرَةً مِنْكَ ورِضْوَاناً(٣)»** أخرجه الطبراني في الأوسط والحاكم عن أبي هريرة.

١- يَعْنِي صِحَّةً فِي بَدَنِي مَعَ تَمَكُّنِ التصدِيق من قلبي اهـ. ٢- فَوْزٌ بِبُغْيَةِ الدُّنْيا والآخِرَة اَهـ. ٣- فَإِنَّهُ مَنَاطُ الفَوْزِ بِخَيْرِ الدارَينِ اهـ.

٦٨- «**اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَخْشَاكَ حَتَّى كَأَنِّي أَرَاكَ، وأَسْعِدْنِي بِتَقْوَاكَ ولا تُشْقِنِي بِمَعْصِيَتِكَ(١)، وخِرْ(٢) لِي فِي قَضَائِكَ، وَبَارِكْ لِي فِي قَدَرِكَ حَتَّى لا أُحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، وَلاَ تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ(٣)، واجْعَلْ غِنَايَ فِي نَفْسِي، وأَمْتِعْنِي بِسَمْعِي وبَصَرِي واجْعَلْهُما الوَارِثَ مِنِّي وانْصُرْنِي عَلى مَنْ ظَلَمَنِي، وَأَرِنِي فِيهِ ثَأْرِي، وأَقِرَّ بِذَلِكَ عَيْنِي(٤)**» أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة.

١- قَالَهُ مَعَ عِصْمَتِهِ اعْتِرَافاً بالعَجْزِ، وخُضُوعاً لله، وتَوَاضُعاً بِعِزَّتِهِ، وتَعْلِيماً لأُمَتِهِ. اهـ منه. ٢- اجْعَلْ لِي خَيْرَ الأَمْرَيْنِ اهـ منه. ٣- فَإِنَّ الخَيْرَ كُلَّهُ فِي الرِّضَا بِالقَضَاءِ والتَّسْلِيم اهـ. ٤- أَيْ فَرِّحْنِي بالظَّفَرِ اهـ.

٦٩- «**اللَّهُمَّ الْطُفْ بِي فِي تَيْسِيرِ كُلِّ عَسِيرٍ(١)، فَإِنَّ تَيْسِيرَ كُلِّ عَسِيرٍ عَلَيْكَ يَسِيرٌ(٢)، وأَسْأَلُكَ اليُسْرَ(٣) والْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ(٤)**» أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة.

١- أَيْ تَسْهِيلَ كُلِّ صَعْبٍ شَدِيدٍ اهـ منه. ٢- فَإِنَّكَ خَالِقُ الكلِّ وَمُقَدِّرُ الجَمِيعِ اهـ منه. ٣- سُهُولَةَ الأُمُورِ وَحُسْنَ انْقِيَادِهَا اهـ ٤- بِأَنْ تَصْرِفَ عَنِّي أَذَى النَّاسِ، وتَصْرِفَ أَذَايَ عَنْهُمْ اهـ.

٧٠- «**اللَّهُمَّ اعْفُ عَنِّي فَإِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ**»* أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد.

* - أَيْ كَثيرُ العَفْوِ وَالكَرَمِ اهـ عزيزي.

٧١- «**اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ(١)، وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ، ولِسَانِي مِنَ الكَذِبِ، وَعَيْنِي مِنَ الخِيَانَةِ(٢)، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ(٣) وما تُخْفِي الصُّدُورُ(٤)**» أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر، والخطيب في تاريخه عن أم معبد الخزاعية.

١- أَيْ مِنْ إِظْهَارِ خِلاَفِ مَا فِي البَاطِنِ، قَالَهُ تَعْلِيماً لِغَيْرِهِ اهـ مناوي. ٢-

أَيْ النَّظَرِ إلى مَا لاَ يَجُوزُ اهـ مناوي. ٣- أَيْ الرَّمْزَ بِها أَوْ مُسَارَقَةَ النَّظَرِ أَوْ تَقْدِيمُهُ الأَعْيُنَ الخَائِنَةَ اهـ. ٤- أَيْ الوَسْوَسَةَ أَوْ مَا يُضْمَرُ مِنْ أَمَانَةٍ وَخِيَانَةٍ اهـ.

٧٢- **«اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ(١) تَشْفِيَانِ القَلْبَ بِذُرُوفِ(٢) الدُّمُوعِ مِنْ خَشْيَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ الدُّمُوعُ دَماً والأَضْرَاسُ جَمْراً(٣)»** أخرجه ابن عساكر عن ابن عمر والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية.

١- أي ذَرَّافَتَيْنِ بالدُّموعِ. ٢- أيْ بِسَيَلانِ الدُّمُوعِ اهـ مناوي. ٣- مِنْ شِدَّةِ العَذَابِ، وهَذَا تَعْلِيمٌ لِلأُمَّةِ. اهـ.

٧٣- **«اللَّهُمَّ عَافِنِي في قُدْرَتِكَ(١)، (٢)واقْضِ أَجَلِي في طَاعَتِكَ(٣)، واخْتِمْ لِي بِخَيْرِ عَمَلِي(٤)، واجْعَلْ ثَوَابَهُ الجَنَّةَ».** أخرجه ابن عساكر عن علي.

١- أَيْ بِقُدْرَتِكَ، أَوْ فِيمَا قَضَيْتَهُ عَلَيَّ. اهـ ٢- وَفِي نُسْخَةِ العزيزي «وَأَدْخِلْنِي فِي رَحْمَتِكَ» وفي نسخةٍ «في جَنَّتِكَ» أيْ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ سَبْقِ عَذَابٍ، وإِلاَّ فَكُلُّ مَنْ مَات عَلى الإِسْلاَمِ لابُدَّ لَهُ مِنْ دُخُولِها وَإِنْ طُهِّرَ بالنَّارِ. اهـ عزيزي. ٣- أي اجعل انقضاء أجلي حال كوني ملازماً على طاعتك اهـ مناوي. ٤- فَإِنَّ الأعمالَ بِخَواتِيمها اهـ منه. ٥- يَعْنِي رَفْعَ الدَّرَجَاتِ، وإلا فالدُّخُول بالرحمة اهـ منه.

٧٤- **«اللَّهُمَّ أَغْنِنِي بالعِلْمِ(١)، وزَيِّنِّي بالحِلْمِ(٢)، وأَكْرِمْنِي بالتَّقْوَى(٣)، وجَمِّلْنِي بالعَافِيَةِ(٤)»** أخرجه ابن النجار في تاريخه عن ابن عمر.

١- أَيْ عِلْم طَرِيقِ الآخِرَةِ؛ إذْ لَيْس الغِنَى إِلاَّ بِهِ، وَهُوَ القُطْبُ وَعَلَيْهِ المدار اهـ. ٢- أَيْ اجْعَلْهُ زِينَةً لِي. اهـ منه. ٣- لأَكُونَ مِنْ أَكْرَم النَّاسِ عَلَيْكَ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣/٤٩] اهـ ٤- فَإِنَّهُ لاَ جَمَالَ كَجَمَالِها اهـ.

٧٥- **«اللَّهُمَّ حَجَّةً لاَ رِيَاءَ(١) فِيها ولا سُمْعَةَ(٢)»** أخرجه ابن ماجة عن أنس.

١- أَيْ أَسْأَلُكَ حَجَّةً مَبْرُورةً اهـ. ٢- بِأَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لِوَجْهِكَ مُقَرِّبَةً إلى حَضْرَتِكَ.

٧٦- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، فَإِنَّهُ لاَ يَمْلِكُهُما إِلاَّ أَنْتَ» أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود وأبو نعيم في الحلية.

* أَيْ لاَ يَمْلِكُ الفَضْلَ والرَّحْمَةَ غَيْرُكَ، فَإِنَّكَ مُقَدِّرُهُما وَمُرْسِلُهُما اهـ مناوي.

٧٧- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ خَلِيلٍ مَاكِرٍ(١): عَيْنَاهُ تَرَيَانِي(٢)، وقَلْبُهُ يَرْعَانِي(٣)؛ إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَها(٤)، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَها(٥)» أخرجه ابن النجار في تاريخه عن سعيد المَقبري مرسلاً.

١- أَيْ يُظْهِرُ المَحَبَّةَ والوِدَادَ وَهُوَ فِي بَاطِنِ الأَمْرِ مُحْتَالٌ مُخَادِعٌ اهـ. ٢- أَيْ يَنْظُرُ إِلَيَّ بِهِما نَظَرَ الخَلِيلِ لِخَلِيلِهِ خِدَاعاً وَمُدَاهَنَةً. اهـ. ٣- يُرَاعِي إِيذَائِي اهـ منه. ٤- أَيْ إِنْ عَلِمَ مِنِّي بِفِعْلِ حَسَنَةٍ سَتَرَهَا وغَطَّاهَا، كَمَا يُدْفَنُ المَيِّتُ اهـ. ٥- أَيْ إِنْ عَلِمَ مِنِّي بِفِعْلِ خَطِيئَةٍ زَلَلْتُ بِها (أَذَاعَها) نَشَرَهَا وأَظْهَرَ خَبَرَهَا بَيْنَ النَّاسِ. قِيلَ أَرادَ الأَخْنَس بْنَ شُرَيْقٍ، وَقِيلَ: عَامٌّ فِي المُنَافِقِين اهـ منه. أَقُولُ: السَّيِّئَةُ هِيَ فِي حُسْبَانِ المَاكِرِ، وَإِلاَّ فالنَّبي عَلَيْه وآلِهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لا يُنَازِلُ السَّيِّئَاتِ مُنَازَلَةَ الغَافِلِينَ (محمد الحامد).

٧٨- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وخَطَايَايَ كُلَّها، اللَّهُمَّ أَنْعِشْنِي* وأَجِرْنِي واهْدِنِي لِصَالِحِ الأَعْمَالِ والأَخْلاَقِ، فَإِنَّهُ لا يَهْدِي لِصَالِحِها وَلا يَصْرِفُ سَيِّئَها إِلاَّ أَنْتَ» أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي أُمامة.

* - أَنْعِشْنِي: أَيْ ارْفَعْنِي وقَوِّ جَأشِي. ا هـ منه.

٧٩- «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ(١) وقُدْرَتِكَ عَلى الخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْراً لِي، وتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْراً لِي(٢). اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ والشَّهَادَةِ(٣)، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الإِخْلاصِ(٤) فِي الرِّضَا والغَضَبِ(٥)، وأَسْأَلُكَ القَصْدَ(٦) فِي الفَقْرِ والغِنَى(٧)، وأَسْأَلُكَ نَعِيماً لا يَنْفَدُ(٨)، وأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لا تَنْقَطِعُ(٩)، وأَسْأَلُكَ الرِّضَا بالقَضَاءِ(١٠)، وأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلى وَجْهِكَ والشَّوْقَ إِلى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ولا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ(١١)، اللَّهُمَّ زَيِّنَا

بِزِينَةِ الإيمان(١٢)، واجْعَلْنا هُدَاةً مُهْتَدِينَ(١٣») أخرجه النسائي والحاكم وأحمد عن عمار بن ياسر.

١- البَاءُ لِلاسْتِعْطَافِ، أَيْ أُنْشِدُكَ بِحَقِّ عِلْمِكَ مَا خَفِيَ عَلَى خَلْقِكَ مِمَّا اسْتَأْثَرْتَ بِهِ اهـ. ٢- عَبَّرَ بِ(ما) في الحَيَاةِ لاتِّصَافِهِ بالحَيَاةِ حَالاً، وَبِ(إذا) الشَّرطِيَّة في الوَفَاةِ لانْعِدَامِها حَالَ التَّمَنِّي اهـ. ٣- في السِّرِّ وَالعَلانِيةِ فَإِنَّ خَشْيَةَ الله رَأسُ كُلِّ خَيْرٍ اهـ. ٤- أَيْ النُّطْقَ بِالحَقِّ. ٥- أَيْ رِضَايَ وَغَضَبِي أَوْ رِضَا النَّاسِ عَنِّي وغَضَبِهِمْ عَلَيَّ، وَلاَ مَانِعَ مِنْ إرَادَةِ الأَمْرَيْنِ مَعاً، أَيْ أَسْأَلُكَ أَنْ لا أَخْرُجَ عَنْ الْحَقِّ في جَمِيعِ الأَحْوَالِ اهـ حفني. ٦- أَيَّ التَّوَسُّطَ اهـ مناوي. ٧- وَهُوَ الذِي لاَ إِسْرَافَ مَعَهُ وَلاَ تَقْتِيرَ اهـ مناوي. ٨- لا يَنْقَضِي وذَلِكَ لَيْسَ إلا نَعِيمَ الآخرةِ اهـ. ٩- بِكَثْرَةِ النَّسْلِ الْمُسْتَمِرِّ بَعْدِي، أَوْ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلاَةِ (لا تَنْقَطِعُ بَلْ تَسْتَمِرُّ ما بَقِيتِ الدُّنيا) اهـ منه. أَقُولُ: لَعَلَّ الْمُرادَ قُرَّةُ العَيْنِ في الآخِرةِ فَهِي التي لا تَنْقَطِعُ اهـ (محمد الحامد). ١٠- لأتَلَقَّاهُ بِوَجْهٍ مُنْبَسِطٍ وخَاطِرٍ مُنْشرِحٍ اهـ. ١١- أَيْ مُوقِعَةٍ في الحَيْرَةِ مُفْضِيةٍ إلى الهَلاَكِ اهـ مناوي. ١٢- وَهِي زِينَةُ البَاطِنِ وَلا مُعَوَّلَ إلاَّ عَلَيْها اهـ. ١٣- وَصَفَ الهُدَاةَ بالمُهْتَدِينَ لأَنْ الهادِي إذا لَمْ يَكُن مُهْتَدِياً فِي نَفْسِهِ لاَ يَصْلُحُ كَوْنُهُ هَادِياً لِغَيْرِهِ، لأَنَّهُ يُوْقِعُ الخَلْقَ فِي الضَّلاَلِ.

٨٠- **«اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ ومِيكَائِيلَ وَرَبَّ إِسْرَافِيلَ*، أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ ومِنْ عَذَابِ القَبْرِ»** أخرجه الترمذي وأحمد والبيهقي عن عائشة.

* أضِيفَ الرَّبُّ لِهَؤُلاءِ لأَنَّهُمْ رُؤَسَاءُ المَلاَئِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ. ا هـ حفني.

٨١- **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ(١)، وغَلَبَةِ العَدُوِّ(٢)، وشَمَاتَةِ الأَعْداءِ(٣»)** أخرجه الترمذي والحاكم عن ابن عمر، **«ومِنْ بَوَارِ الأَيِّمِ(٤)، ومِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ(٥»)** طرف حديث أخرجه الدارقطني في الأفراد، والطبراني عن ابن عباس.

١- ثِقَلِهِ وَشِدَّتِهِ اهـ مناوي. ٢- هُوَ مَنْ يَفْرَحُ بِمُصِيبَتِهِ وَيَحْزَنُ بِمسرته اهـ مناوي. ٣- فَرَحِهِمْ بِبَلِيَّةٍ تَنْزِلُ بِعَدُوِّهِمْ اهـ مناوي. ٤- أَيْ كَسَادِها، والأَيِّمُ مَنْ

لا زَوْجَ لَها بِكْراً أَوْ ثَيِّباً، وَبَوَارُهَا أَنْ لا يَرْغَبَ فِيها أَحَدٌ اهـ مناوي. ٥- التي لا فتنة أكبر منها اهـ مناوي.

٨٢ - «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي(١) والهَدْمِ(٢) والغَرَقِ(٣) والحَرَقِ(٤)، وأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي(٥) الشَّيْطانُ عِنْدَ المَوْتِ(٦)، وأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِراً(٧)، وأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَديغاً(٨)**» أخرجه النَّسائي والحاكم عن أبي اليسير كعب ابن عمر.

١- السُّقُوطِ مِنْ عَالٍ كَشَاهِقٍ أَوْ فِي بِئْرٍ ا هـ مناوي. ٢- بِسُكُونِ الدَّالِ، سُقُوطُ البِنَاءِ عَلَى الإِنْسَانِ اهـ ٣- مَصْدَرُ غَرِقَ يَغْرَقُ غَرَقاً إِذَا مَاتَ فِي الماءِ وَنَحْوِهِ مِنَ المَائِعاتِ. ا هـ حفني. ٤- بِفَتْحِ الحَاءِ والرَّاءِ: الالْتِهَابِ بالنَّارِ ا هـ مناوي. وَقَالَ العزيزيّ: وَإِنَّمَا اسْتعاذَ مِنَ الهَلاكِ بِهذِهِ الأَسْبَابِ مَعَ مَا فيهِ مِنْ نَيْلِ الشَّهادةِ لأَنَّها مُجْهِدَةٌ مُقْلِقَةٌ لا يَكَادُ الإِنْسَانُ يَصْبِرُ عَلَيْها وَيَثْبُتُ عِنْدَهَا، فَرُبَّمَا اسْتَزَلَّهُ الشَّيْطَانُ فَحَمَلَهُ عَلَى مَا يُخِلُّ بِدِينِهِ. ا هـ. ٥- يُفْسِدَ دِينِي أَو عَقْلِي اهـ منه. ٦- بِنَزَغاتِهِ التي تَزِلُّ بِها الأَقْدَامُ وتُصْرَعُ العُقُولُ والأَحْلاَمُ ا هـ مناوي. ٧ - عَنْ قِتَالِ الكُفَّارِ حَيْثُ حَرُمَ الفِرارُ ا هـ مناوي. وَهَذَا تَعْلِيمٌ لِلأُمَّةِ، وإلا فَرَسُولُ الله ﷺ آمِنٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَلاَ يَجُوزُ لَهُ الفِرارُ مُطْلَقاً ا هـ عزيزي. ٨- بِدَالٍ مُهْمَلَةٍ وغَيْنٍ مُعْجَمَةٍ: فَعِيل بِمَعْنَى مَفْعُولَ واللَّدْغُ يُسْتَعْمَلُ فِي ذَوَاتِ السُّمِّ ا هـ مناوي.

٨٣- «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الكريمِ، واسْمِكَ العَظِيمِ مِنَ الكُفْرِ والفَقْرِ**»* أخرجه الطبراني في كتاب السنة عن عبد الرحمن بن أبي بكر.

* فَقْرِ المَالِ، أَوْ فَقْرِ النَّفْسِ عَلَى مَا مَرَّ، وَذَا تَعْلِيمٌ لأُمَّتِهِ اهـ مناوي. وزَادَ الحفني: قِلَّةَ العَمَلِ الصَّالِحِ أَوْ قِلَّةَ المُعاوِنِينَ عَلَى الخَيْرِ وَلاَ مَانِعَ مِنْ إِرَادَةِ الكُلِّ اهـ.

٨٤- «**اللَّهُمَّ لا يُدْرِكُنِي(١) زَمانٌ ولاَ تُدْرِكُوا زَمَاناً(٢) لا يُتَّبَعُ فِيهِ العَلِيمُ(٣)، ولا يُسْتَحْيا فِيهِ مِنَ الحَلِيمِ(٤)، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الأعاجِمِ(٥)، وَأَلْسِنَتُهُم أَلْسِنَةُ العَرَبِ(٦)**». أخرجه أحمد والحاكم.

١- أيْ أَسْأَلُكَ أَنْ لا يَلْحقَنِي وَلاَ يَصِلَ إِلَيَّ. ٢- يَعْنِي وَأَسْأَلُ الله أَنْ لا تُدْرِكُوا زَمَاناً ا هـ مناوي. ٣- لاَ يَنْقَادُ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ إِلَى العُلَمَاءِ وَيَتَّبِعُونَهُمْ فِيما يَقُولُونَ إِنَّهُ الشَّرْعُ. ا هـ مناوي. ٤- العاقِلِ المُتَثَبِّتِ فِي الأمُورِ ا هـ مناوي. ٥- أَي كَقُلُوبِهِمْ بَعِيدَةِ مِنَ الأَخْلاَقِ مَمْلُوءَةً مِنَ الرِّيَاءِ وَالنِّفَاقِ ا هـ منه. ٦- مُتَشَدِّقُونَ مُتَفَصِّحُونَ يَتَلوَّنُونَ فِي المَذَاهِبِ وَيَرُوغُونَ كالثَّعالِبِ ا هـ مناوي.

٨٥- «اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي* الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي يَرْوُون أَحَادِيثِي وَسُنَّتِي، وَيُعَلِّمُونَها النَّاسَ» أخرجه الطبراني في الأوسط عن علي.

* فَهُمْ خُلَفَاؤُهُ عَلَى الحَقِيقةِ بَيَّنَ بِهِ أَنَّهُ لَيْسَ مُرَادُهُ الخِلافَةَ الحَقِيقيةَ الَّتِي هِيَ الإِمَامَةُ العُظْمَى اهـ مناوي، وهذا الحديثُ قِيلَ بضَعْفِهِ، وقيل بوَضْعِهِ.

٨٦- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ(١)، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ(٢)» أخرجه الخرائطي في كتابه (اعتلال القلوب) عن سعد.

١- الامْتِحَانُ بِهِنَّ والابْتِلاءُ بِمَحَبَّتِهِنَّ ا هـ ٢- هَذَا تَعْلِيمٌ لِلأُمَّةِ ا هـ.

٨٧- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ وَالقِلَّةِ(١) والذِّلَّةِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ(٢)، أَوْ أُظْلَمَ(٣)» أبو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة.

١- بِكَسْرِ القَافِ، قِلَّةِ المَالِ الَّتِي يُخَافُ مِنْها قِلَّةُ الصَّبْرِ عَلى الإِقْلاَلِ وتَسَلُّطُ الشَّيْطَانِ بِذِكْرِ تَنَعُّم الأَغْنِيَاءِ. أ هـ مناوي. ٢- أَيْ أَجُورَ وأَعْتَدِيْ. ٣- فِيهِ نَدْبُ الاسْتِعَاذَةِ مِنَ الظَّلَمَةِ ا هـ مناوي.

٨٨- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّقَاقِ(١) والنِّفَاقِ(٢) وسُوءِ الأَخْلاَقِ(٣)» أخرجه أبو داود والنسائي عن أبي هريرة.

١- النِّزَاع والخِلاَفِ، أو التَّعَادِي، أوِ العَدَاوَةِ ا هـ . ٢- نِفَاقِ العَمَلِ ا هـ مناوي. ٣- لأَنَّ صَاحِبَ سُوءِ الخُلُقِ لا يَفِرُّ مِنْ ذَنْبٍ إلاّ وَقَعَ فِي آخَرَ ا هـ مناوي.

٨٩- «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ(١)، مُذْهِبَ البَأْسِ(٢)، اشْفِ أَنْتَ(٣) الشَّافِي(٤)، لا شَافِيَ إِلاَّ أَنْتَ، اشْفِ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَماً(٥)» متفق عليه.

١- أَيْ الذي رَبَّاهُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَعَادَ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِهِ وامْتِنَانِهِ ا هـ مناوي. ٢- شِدَّةِ المَرَضِ ا هـ منه. ٣- لاَ غَيْرُكَ. ٤- المُدَاوِي مِنَ المَرَضِ ا هـ. ٥- لا يَتْرُكُ، وَفَائِدَتُهُ أَنَّهُ قَدْ يَحْصُلُ الشِّفَاءُ مِنْ ذَلِكَ المَرضِ فَيَخْلُفُهُ مَرَضٌ آخَرُ ا هـ منه.

٩٠- «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً(١) وفِي الآخِرَةِ حَسَنةً(٢)، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ(٣)» متفق عليه.

١- يَعْنِي الصِّحَّةَ والكَفَافَ والعَفَافَ والتَّوفِيقَ ا هـ. ٢- يَعْنِي الثَّوَابَ والرَّحْمَةَ. ٣- الذي اسْتَوجَبْنَاهُ بِسُوءِ أَعْمَالِنَا ا هـ.

٩١- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ(١) والعَجْزِ(٢) والكَسَلِ والجُبْنِ والبُخْلِ وَضَلَعِ(٣) الدَّيْنِ وغَلَبَةِ الرِّجالِ(٤)» متفق عليه عن أنس بن مالك.

١- وَالهَمُّ يكُونُ فِي أَمْرٍ مُتَوَقَّعٍ، والحَزَنُ فِيمَا وَقَعَ، فَلَيْس العَطْفُ لاخْتِلاَفِ اللَّفْظَيْنِ مَعَ اتِّحَادِ المَعْنى ا هـ مناوي. ٢- القُصُور عَنْ فِعْلِ الشَّيْءِ ا هـ. ٣- بِفَتْحَتَيْنِ ثِقَلهِ الذِي يَمِيلُ بِصَاحِبِهِ عَنِ الاسْتِوَاءِ ا هـ. ٤- شِدَّةِ تَسَلُّطِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ا هـ مناوي.

٩٢- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْداً لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ(١)؛ فَأَيُّمَا مُؤمِنٍ آذَيْتُهُ، أَوْ شَتمتهُ، أو جَلَدْتُهُ، أَو لَعَنْتُهُ فاجْعَلْهَا لَهُ صَلاَةً(٢) وزَكَاةً(٣) وقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِها إِلَيْكَ يَوْمَ القِيَامَةِ(٤)» متفق عليه عن أبي هريرة.

١- أَيْ يَقَعُ مِنِّي مَا يَقَعُ مِنَ البَشَرِ فِي حَالِ الغَضَبِ، كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةٍ. وَهَذَا تَوَاضُعٌ مِنْهُ ﷺ، وَإِلاَّ فَهُوَ مَعْصُومٌ، فَمَا وَقَعَ مِنْهُ ﷺ مِنْ لَعْنٍ أَوْ شَتْمٍ أَوْ جَلْدٍ فَهُوَ لِمُسْتَحِقٍّ ذلِكَ، وحِينئِذٍ يُشْكِلُ الدُّعَاءُ لَهُ بِجَعْلِ ذَلِكَ رَحْمَةً وَتَطْهِيراً لَهُ مَعَ اسْتِحْقَاقِهِ ذَلِكَ، ويُجَابُ بِأَنَّ المُرادَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ مُسْتَحِقَّ ذَلِكَ فِي الظَّاهِرِ فَقَطْ، وفِي نَفْسِ الأَمْرِ لا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ بِكَونِكَ قَدْ عَفَوْتَ عَنْهُ أَوْ لِكَوْنِهِ أُقِيمَتْ عَلَيْهِ بَيِّنَةُ زُورٍ بِالزِّنا مَثَلاً فَجُلِدَ بِغَيْرِ حَقٍّ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، فَإِنَّهُ ﷺ قَدْ يَحْكُمُ بِحَسْبِ الظَّاهِرِ لِعَدَمِ نزُولِ الوَحْيِ بِمَا فِي نَفْسِ الأَمْرِ، ولَذَا حَكَمَ لِشَخْصٍ، وقَالَ لَهُ لاَ تَغْتَرَّ بِكُونِي قَدْ حَكَمْتُ لَكَ، فَرُبَّمَا قَطَعْتُ لَكَ قِطَعَةٍ مِنَ النَّارِ تَحْتَرِقُ بِهَا، أَيْ

إنْ كُنْتَ كَاذِباً. ا هـ حفني. ٢- رَحْمَةً وَإِكْرَاماً وَتَعَطُّفاً. ا هـ مناوي. ٣- طَهَارَةً مِنَ الذُّنُوبِ أ. هـ ٤- وَلاَ تُعَاقِبُهُ بِها فِي العُقْبَى.

٩٣- «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا(١)، وَزَكِّهَا(٢) أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا(٣)، أَنْتَ وَلِيُّهَا(٤) ومَوْلاَهَا(٥)» طرف من حديث أخرجه مسلم وأحمد وعبد بن حميد في مسنده والنسائي.

١- تَحْرزُها عَنْ مُتَابَعَةِ الهَوى وارْتِكَابِ الفُجُورِ ا هـ. ٢- طَهِّرْهَا مِنْ كُلِّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ. ٣- أَيْ مَنْ جَعَلَها زَكِيَّةً يَعْنِي لاَ مُزَكِّي لَهَا إِلاَّ أَنْتَ ا هـ. ٤- الذِي يَتَوَلاَّهَا بالنِّعْمَةِ فِي الدَّارَيْنِ ا هـ منه. ٥-سَيِّدُهَا.

٩٤- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي(١) وَجَهْلِي(٢) وَإِسْرَافِي(٣) فِي أَمْرِي، ومَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَئِي وَعَمْدِي(٤) وَهَزْلِي وَجِدِّي(٥)، وَكُلُّ ذَلِك عِنْدِي(٦)، اللَّهُمَّ اغْفِرَ لِي مَا قَدَّمْتُ(٧) وما أَخَّرْتُ(٨)، ومَا أَسْرَرْتُ(٩) وما أَعْلَنْتُ(١٠) أَنْتَ الْمُقَدِّمُ(١١) وأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ(١٢)، وَأَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١٣)» أخرجه الشيخان عن أبي موسى.

١- ذَنْبِي. ٢- مَالَمْ أَعْلَمْهُ مِنْ أَمْرِي. ٣- مُجَاوَزَتِي الحَدَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ. ا هـ منه. ٤- هُمَا مُتَقَابِلاَنِ ا هـ منه. ٥- هُمَا مُتَضَادَّانِ ا هـ منه. ٦- أَيْ مُمْكِنٌ أَوْ مَوْجُودٌ، أَيْ أَنَا مُتَّصِفٌ بِهِ فَاغْفِرْهُ لِي، قَالَهُ تَوَاضُعاً أَوْ تَعْلِيماً ا هـ مناوي. وَقَالَ العَلْقَمِيُّ: أَوْ عَدَّ فَوَاتَ الكَمَالِ وَتَرْكَ الأَوْلى ذُنُوباً. اهـ عزيزي. ٧- قَبْلَ هَذَا الوَقْتِ. ٨- عَنْهُ. ٩- أَخْفَيْتُ. ١٠- أَظْهَرْتُ أَيْ مَا حَدَّثْتُ بِهِ نَفْسِي، وَمَا يَتَحَرَّكُ بِهِ لِسَانِي. ١١- أَيْ بَعْضَ العِبَادِ إِلَيْكَ بالتَّوفِيقِ لِمَا تَرْضَاهُ. ا هـ مناوي. ١٢- بِخُذْلاَنِ بَعْضِهِمْ عَنِ التَّوْفِيقِ، أَوْ أَنْتَ الرَّافِعُ والخَافِضُ، أَوْ الْمُعِزُّ والْمُذِلُّ. ا هـ منه. ١٣- أَنْتَ الفَعَّالُ لِكُلِّ مَا تَشَاءُ. اهـ مناوي وَقَدِيرٌ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٌ ا هـ عزيزي.

٩٥- «اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُها وَمَحْيَاهَا(١)، إِنْ أَحْيَيْتَها فاحْفَظْها(٢)، وإِنْ أَمَتَّهَا فاغْفِرْ لَهَا(٣)، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ(٤)» أخرجه مسلم عن ابن عمر.

١- أيْ أَنْتَ المَالِكُ لإِحْيَائِها ولإِمَاتَتِها، أَيَّ وَقْتٍ تَشَاءُ، لاَ مَالِكَ لَهُمَا غَيْرُكَ ا هـ. ٢- صُنْهَا عَنِ التَّوَرُّطِ فِيمَا لا يُرْضِيكَ ا هـ. ٣- ذُنُوبَهَا، فَإِنَّه لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ا هـ. ٤- السَّلامَةَ فِي الدِّينِ مِنَ الافْتِتَانِ وكَيْدِ الشَّيْطَانِ، والدُّنْيا مِنَ الآلاَمِ والأَسْقَامِ. ا هـ.

* * *

فَرَغْتُ مِنْ شَرْحِ هَذِهِ الأدعِيَةِ لَيْلَةَ الأَرْبِعَاءِ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ ١٣٨٧هـ الموافِقَةَ ١٥ مِنْ تَشْرِينَ الأَوَّل ١٩٥٧م فِي جَامِعِ السُّلْطَانِ بِحَمَاةَ.

فَوائدُ نَبويَّةٌ

أ- «**أَلْبَانُ البَقَرِ شِفَاءٌ(١)، وسَمْنُها دَوَاءٌ(٢)، ولُحُومُهَا دَاءٌ(٣)**» أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي عن مُلَيكة بنت عمرو.

١- مِنَ الأَمْرَاضِ السَوْداوِيَّةِ والغَمِّ والوِسْوَاسِ وغَيْرِ ذَلِكَ ا هـ. ٢- فَإِنَّهُ تِرْيَاقُ السُّمُوم المَشْرُوبَةِ كَمَا في (المُوجَز) وغَيْرِهِ، وإِنَّمَا كانَ كَذَلِكَ لأَنَّهَا تَرُمُّ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ، كَمَا فِي الخَبَرِ، فَتَأْكُلُ الضَّارَّ والنَّافِعَ، فَانْصَرَفَ الضَّارُّ إِلى لَحْمِها لأَنَّهَا تَأْكُلُ بالنَّهْمِةِ والشَّرَهِ، والنَّافِعُ إلى لَبَنِها. ذَكَرَهُ الحَكِيمُ. ا هـ مناوي. ٣- مُضِرَّةٌ بِالبَدَنِ، جَالِبَةٌ لِلسَّوْدَاءِ، عَسِرَةُ الهَضْمِ ا هـ.

ب- «**اِلْبَسِ الخَشِنَ(١) الضَّيِّق حَتَّى لا يَجِدَ العِزُّ(٢) والفَخْرِ(٣) فِيكَ مَسَاغاً(٤)**» أخرجه أبو نعيم في الحلية والديلمي من حديث أبي ذر، وأخرجه ابن مندة في الصحابة.

١- مِنَ الثِّيَابِ ا هـ منه. ٢- البَطَرُ والأَشَرُ والتَّرَفُّعُ عَلى النَّاسِ ا هـ. ٣- اِدِّعَاءُ العِظَمِ ا هـ منه. ٤- أَيْ مَدْخَلاً، ومِنْ ثَمَّ قَالَ بَعْضُ أَكَابِرِ السَّلَفِ - كَمَا نَقَلَهُ الغَزَالِيُّ-: مَنْ رَقَّ ثَوْبُهُ رَقَّ دِينُهُ، فَلا تَكُنْ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِ: ثَوْبٌ رَقِيقٌ نَظِيفٌ، وَلَكِنْ لا يُبَالِغُ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ الله يُحِبُّ أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلى عَبْدِهِ حَسَناً، كَمَا مَرَّ. ا هـ مناوي.

ج- «اِلْبَسُوا الثِّيَابَ البِيضَ(١) فَإِنَّهَا أَطْهَرُ(٢) وَأَطْيَبُ(٣)، وكَفِّنُوا فِيها مَوْتَاكُم(٤)» أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم عن سمرة

١- أَيْ آثِرُوا نَدْباً الْمَلْبُوس الأَبْيَضَ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ نَحْوِ ثَوْبٍ وعَمَامَةٍ وَإِزَارٍ وَرِدَاءٍ. ا هـ مناوي. ٢- لأَنَّهَا تَحْكِي ما يُصِيبُها مِنَ النَّجَسِ عَيْناً أَوْ أَثراً ا هـ. ٣- لِدَلاَلَتِها على التَّواضُع والتَّخَشُّعِ وَعَدَمِ الكِبْرِ والعُجْب ا هـ. ٤- نَدْباً مُؤَكَّداً، وَيُكْرَهُ التَّكْفِينُ فِي غَيْرِ أَبْيَض ا هـ.

د- «الْتَمِسْ(١) وَلَوْ خاتَماً مِنْ حَدِيدٍ(٢)» أخرجه الستة بألفاظ متقاربة عن سهل بن سعد.

١- أَيُّها الطَّالِبُ التَّزْويجَ الْتَمِسْ شَيْئاً تَجْعَلُهُ صَدَاقاً. ٢- كَأَنَّهُ قَالَ: الْتَمِسْ شَيْئاً عَلَى كُلِّ حَالٍ وَإِنْ قَلَّ فَيَنْبَغِي أَنْ لاَ يُعْقَدَ نِكَاحٌ إِلاَّ بِصَدَاقٍ، وَإِنَّهُ غَيْرُ مُقَدَّرٍ، فَيَجُوزُ بِأَقَلِّ مُتَمَوَّلٍ ا هـ مناوي.

هذا عِنْدَ الشَّافعيَّةِ، أَمَّا الحَنَفيَّةُ فَمَذْهَبُهُمْ أَنَّ أَقَلَّهُ عَشَرَةُ دَرَاهِمَ، عَمَلاً بالحَدِيثِ الشَّرِيفِ. هَذا وَإِنَّ خَاتَمَ الحَدِيد مَمْنُوعٌ عِنْدَ الحَنَفِيَّةِ كَخَاتَمِ الصُّفْرِ، لِلْحَدِيثِ الشَّرِيفِ النَّاهِي عَنْهُمَا، فَلَعَلَّ هَذَا الذِي هُنا كَانَ قَبْلَ النَّهْيِ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ. وأَسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ.

الفقير إلى الله تعالى

محمد الحامد

مدرس وخطيب جامع السلطان بحماة

المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

من آثار الشيخ محمد الحامد المطبوعة

- مجموعة رسائل الشيخ محمد الحامد.
- ردود على أباطيل (القسم الثاني).
- ردود على أباطيل (القسم الثالث).
- كلمات وأحاديث الجمعة.